المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ



المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة في مكة المكرمة خلال الفترة

(٩٢٣ هـ - ١٣٤٣ هـ / ١٥١٧ م - ١٩٢٤ م)

دراسة تاريخية تحليلية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب

حمد بن عبدالله الحزيمي

المشـــرف

أ. د. يوسف بن علي الثقفي

جمادي الأخرة ١٤٣٧هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تشتمل هذه الرسالة المعنونة بـ « **المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة في مكة المكرمة خلال الفترة : ٩٢٣ – ١٣٤٣هـ / ١٥١٧ – ١٩٢٤م** » ، على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

ففي **المقدمة** تم التعريف بالمقامات وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ، وفي **التمهيد** ركزت الرسالة على موضوع المقامات قبيل فترة الدراسة ، أما **الفصل الأول** ومباحثه الخمسة فقد اختصت بدراسة « أماكن المقامات في المسجد الحرام ومصادر الإنفاق عليها» ، واختص **الفصل الثاني** في مبحثيه بموضوع « دور المقامات في الحياة العلمية خلال العهد العثماني » ، بينما ركز **الفصل الثالث** في مباحثه الثلاثة على « دور المقامات في الحياة الدينية والاجتماعية في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة » ، وركز **الفصل الرابع** في مباحثه الثلاثة على « دور المقامات في الأوضاع السياسية خلال فترة الدراسة »، أما **الفصل الخامس** فقد ركز في مبحثيه على « المقامات في العهد السعودي ».

وبعد ذلك أتت خاتمة البحث لتحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي لهذا الموضوع ، ثم تأتي الملاحق والمصادر في نهاية البحث.

وختاماً ، أسأل الله التوفيق والسداد فيما قدمته ، وأرجو أن أكون وفقت للصواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

In the name of Allah, theMost Gracious, theMost Merciful

Abstract

All praise is due to Allah, and Allah's Peace and Blessings be upon His Final Messenger, his family and his companions, and all those who follow them in righteousness until the Day of Judgment.

The study is entitled “The Maqamat (fixed-places) in the Holy Mosque and their role in public life in Makkah during the period (923 - 1343 AH / 1517 - 1924 AD)”. It is divided into an introduction and a preface in addition to five chapters and a conclusion. Additionally, the study includes appendicesand a list of references.

The **introduction** sectionincludes the definition of the topic and the rationale for its choice. **The Preface** discusses Maqamat before the time of the period of investigation.**Chapter I**focuses on the locations of Maqamat in the Holy Mosque and the sources of funds.**Chapter II** discusses the role of Maqamat in the scientific life during the Ottoman era.**Chapter III** discusses the role of Maqamat in the religious and social life in Makkah during the period of investigation.**Chapter IV** discusses the role of Maqamat in relation to the political situations during the period of the investigation. **Chapter V**it discusses the role of Maqamat in the Saudi era. The **Conclusion** part presents the main findings. The study closes with appendices and a list of references.

Finally, I ask Allah for help and guidance. I hope that I have succeeded in providing accurate findings. Blessings and peace be upon our Prophet Muhammad and upon his family and companions and those who follow them in righteousness until the Day of Judgment.

المقدمـــة

- التعريف بالموضوع وأهميته .
- أسباب اختياره .
- أهداف البحث .
- الدراسات السابقة .
- منهج البحث .
- محتوى البحث .
- أهم المصادر والمراجع.

التعريف بالموضوع وأهميته:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مكة المكرمة؛ قبلة المسلمين منذ أن شع فيها نور الإسلام وإلى ما شاء الله تعالى، كان فيها أول بيت وضع للناس كما في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]، يتوجه المسلمون إليها في صلواتهم من جميع أنحاء الدنيا، والصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة.

في المسجد الحرام مقام إبراهيم عليه السلام، آية من آياته سبحانه وتعالى ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2]، أمرنا سبحانه باتخاذه مصلى في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[3]، تأكيداً على جمع كلمة المسلمين وتوحيداً لصفهم .

وفي المسجد الحرام مورست المذاهب السنية الأربعة في أداء الصلوات، وتبعاً لذلك نشأت مقامات الأئمة الأربعة، وتفرقت جماعة المسلمين، فأقيمت أربع جماعات لتأدية الصلاة. ولا شك أن هذه المقامات التي نشأت في المسجد الحرام كان لها أنصارها من العلماء وكان لهؤلاء دورهم البارز في الحياة العامة في مكة المكرمة على مر العصور الإسلامية، مما يستدعي اهتمام الباحثين بدراسة تاريخ هذه المقامات ودور أئمتها وعلمائها في شؤون الحياة الدينية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى إلغائها.

وبذلك تتجلى أهمية هذا البحث الذي جاء بعنوان: **(المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة خلال الفترة ٩٢٣- ١٣٤٣هـ/ ١٥١٧ -١٩٢٤م).**

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦) .

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧) .

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥) .

ويقتصر هذا البحث في حدوده الزمنية على الفترة الممتدة من عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) وهو عام دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية، إلى عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، وهو تاريخ دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، وأمره بإلغاء المقامات الأربعة وتوحيد الصلاة خلف إمام واحد. ولا يمنع ذلك من تناول بعض الموضوعات المتقدمة لهذه الفترة كتمهيد للمقامات، أو الفترة اللاحقة لها استكمالاً لبعض جوانب الموضوعات الأخرى، وحسب الحاجة الفعلية لذلك.

أما الحدود المكانية فتقتصر على مكة بمفهومها الجغرافي .

أسباب اختيار الموضوع:

لما اتجهت إلى هذا الموضوع وجدته جديراً بالبحث لعدة أمور، أهمها:

١- حظيت المقامات الأربعة بدراسة الباحثة فوزية بنت فارع اللحياني باختيارها موضوع رسالتها للدكتوراة عن هذه المقامات منذ النشأة حتى نهاية الدولة المملوكية، مما كان دافعاً للباحث لدراسة هذا الموضوع عبر حقبة تاريخية مختلفة، ليأتي هذا البحث استكمالاً لما سبق في هذا المجال، ومتزامناً معه في نفس الوقت .

٢- أن موضوع المقامات في المسجد الحرام في هذه الفترة لم أجد أحداً اختصه بالبحث.

٣- الحاجة إلى إبراز الدور الفعال لعلماء المقامات في مكة المكرمة في جوانب الحياة العامة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- إثراء المكتبة العامة بدراسة علمية أكاديمية عن تاريخ المقامات في المسجد الحرام.

٢- إلقاء الضوء على مصادر الإنفاق على المقامات، والتي تأتي ضمن الموارد المالية والعينية المنصرفة على منطقة الحجاز زمن الدولة العثمانية.

٣- إعطاء صورة واضحة عن جهود العلماء ودورهم في الحياة العامة .

٤- تتبع المراحل التي نهجها الملك عبدالعزيز لإلغاء المقامات الأربعة في المسجد الحرام، وتوحيد المصلين خلف إمام واحد.

الدراسات السابقة:

من خلال ما أشارت إليه الخطابات الواردة من الجامعات السعودية، وما أصدره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، اتضح لي أن هذا الموضوع لم يختصه أحد بدراسة، وهناك دراسات وكتب علمية تناولت المقامات من زوايا مختلفة أعرضها كما يأتي:

أولاً: الرسائل العلمية:

١- رسالة الماجستير التي أعدتها فاطمة بنت عبدالله الشهري، بعنوان: (الحياة العلمية في مكة المكرمة، ١٢٥٦هـ - ١٣٣٤هـ / ١٨٤٠م - ١٩١٦م)، جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، (١٤٢١هـ) .

٢- رسالة الدكتوراه التي أعدتها الدكتورة آمال رمضان عبدالحميد، بعنوان: (الحياة العلمية في مكة المكرمة، ١١١٥هـ - ١٣٣٤هـ / ١٧٠٣م - ١٩١٦م)، جامعة أم القرى، (١٤٣٢هـ).

٣- رسالة الماجستير التي أعدتها حمساء بنت حبيش الدوسري، بعنوان :(العلاقات بين مصر والحجاز، ٩٢٣هـ - ١٠٠٣هـ / ١٥١٧م - ١٥٩٤م)، كلية التربية بالرياض، (١٤٢٣هـ).

٤- رسالة الماجستير التي أعدتها منى بنت قايد القحطاني، بعنوان: (التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود، ١٣٤٣هـ - ١٣٥١هـ / ١٩٢٤م - ١٩٣٢م)، كلية التربية للبنات بجدة، (١٤٢٥هـ).

ثانياً: المؤلفات:

من المؤلفات التي أشارت إلى المقامات في المسجد الحرام وفيها معلومات تُفيد الرسالة:

١- كتاب محمد طاهر الكردي، بعنوان: (مقام إبراهيم عليه السلام)، دراسة وتكملة: الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، إصدارات مركز تاريخ مكة المكرمة، (١٤٣٣هـ).

٢- كتاب عبدالله بن سعيد الزهراني، بعنوان: (أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي)، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ويقع في (١٢٥) صفحة.

٣- بحث في الشبكة العنكبوتية، للدكتور فوزي الساعاتي، بعنوان: (المقامات الأربعة في المسجد الحرام)، ويعتمد في ذلك على كتابه – لا يزال تحت الطبع – (الصحن المحيط بالكعبة المشرفة، دراسة تاريخية عن مكوناته، ومن درَّس من العلماء في حصواته).

٤- كتاب الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، بعنوان: (تاريخ أمة في سِيَر أئمة)، الطبعة الأولى، إصدارات مركز تاريخ مكة المكرمة، (١٤٣٣هـ)، (٥) أجزاء.

منهج البحث:

سرت في بحثي على المنهج التاريخي الاستقرائي المبني على استقصاء كل معلومة تتعلق بالمقامات في الحرم المكي، فجمعت المادة العلمية الخاصة بموضوع البحث من منابعها الأصلية، الموجودة في عدد من الوثائق، بالإضافة إلى المصادر والمراجع من كتب عربية وأجنبية، وكذلك الدوريات والتقارير الرسمية. ثم قمت بتنظيمها وتحليلها مع المقارنة والنقد للآراء ذات العلاقة بالموضوع، واستخلاص النقاط التي تثري البحث وتثبت الحقائق التاريخية.

خطة البحث:

تشتمل هذه الرسالة المعنونة بـ « **المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة في مكة المكرمة خلال الفترة : ٩٢٣ – ١٣٤٣هـ / ١٥١٧ – ١٩٢٤م** »، على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

ففي **المقدمة** تم التعريف بالمقامات وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ، وفي **التمهيد** ركزت الرسالة على موضوع المقامات قبيل فترة الدراسة ، أما **الفصل الأول** ومباحثه الخمسة فقد اختصت بدراسة « أماكن المقامات في المسجد الحرام ومصادر الإنفاق عليها» ، واختص **الفصل الثاني** بمبحثيه بموضوع «دور المقامات في الحياة العلمية خلال العهد العثماني » ، بينما ركز **الفصل الثالث** في مباحثه الثلاثة على « دور المقامات في الحياة الدينية والاجتماعية في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة » ، وركز **الفصل الرابع** في مباحثه الثلاثة على « دور المقامات في الأوضاع السياسية خلال فترة الدراسة » ، أما **الفصل الخامس** فقد ركز في مبحثيه على « المقامات في العهد السعودي ».

وبعد هذه الفصول أتت الخاتمة وهي تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي لهذا الموضوع ، ثم تأتي الملاحق والمصادر .

أهم المصادر والمراجع:

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر الأولية، التي أفادت الدراسة، ومنها:

الوثائق: وشملت الوثائق العربية والأجنبية الخاصة بتلك الفترة، تتمثل في وثائق دارة الملك عبدالعزيز التي حصلت منها على مجموعة كبيرة من وثائق الأرشيف العثماني، ووثائق معهد الإدارة العامة. وقد أفدت من هذه الوثائق في مراحل البحث، وذكرتها في الهامش.

أما **المخطوطات،** فكان من أهمها؛ مخطوطات مكتبة الحرم المكي، ومكتبة مكة المكرمة، ومكتبة جامعة الملك سعود، ومكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومنها:

- مخطوطة (إنباء البرية)، للشيخ محب الدين عبدالقادر الطبري (ت:١٠٣٣هـ) وتحدث فيها عن تراجم أسرة الطبري.
- مخطوطة (خبايا الزوايا)، للشيخ حسن العجيمي (ت: ١١١٣هـ)، وتحدث فيها عن تراجم بعض العلماء، وبعض الفرق الدينية في تلك الفترة.

وهاتان المخطوطتان من مخطوطات مكتبة الحرم المكي، وقد أفادتني في الفصلين الثاني والثالث حول الأسر المنتسبة إلى المذاهب الأربعة، بالإضافة إلى دور المقامات في الحياة الدينية والاجتماعية.

- مخطوطة (فتاوى بعض علماء البلد الحرام)، للشيخ عبدالرحمن المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ)، وهي أيضاً من مخطوطات مكتبة الحرم المكي، وقد ورد فيها نماذج من الفتاوى، وقد أفدت منها في التعرف على القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية التي عالجها علماء المقامات.

أما ما يتعلق **بالمصادر والمراجع** المنشورة، فقد اعتمد البحث على مجموعة كبيرة، منها ما ذُكِرَ سابقاً في هذه المقدمة، إضافة إلى بعض الكتب المعاصرة أو شبه المعاصرة لفترة البحث، ومنها:

- كتاب (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام)، للمؤرخ تقي الدين محمد الفاسي ، (ت: ٨٣٢هـ)، في جزأين، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ)، والذي يعتبر من أهم مصادر تاريخ مكة المكرمة، وفي الجزء الأول ذكَر شيئاً من أخبار مقام إبراهيم عليه السلام والمقامات الأربعة، أفدت منها في التمهيد حول نشأة المقامات.
- كتاب (الجامع اللطيف)، للمؤرخ محمد بن ظهيرة، (ت: ٩٨٦هـ)، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ)، وقد كان معاصراً لبداية فترة البحث ويسجل مشاهداته، فوجدت في الكتاب معلومات قيمة أفادتني في الفصل الأول الخاص بأماكن المقامات والإنفاق عليها.

- كتاب (إعلام العلماء الأعلام)، للشيخ عبدالكريم القطبي، (ت: ١٠١٤هـ)، الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ). وتكمن قيمة هذا الكتاب في أن مؤلفه كان معاصراً للعقود الأولى لحكم العثمانيين في مكة، وقد استفدت منه في توضيح علاقة العلماء بالخلافة العثمانية، ودعمها لهم .
- كتاب (الأرج المسكي)، للمؤرخ علي الطبري، (ت: ١٠٧٠هـ)، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ)، وقد تضمن كذلك معلومات قيمة أفادتني في أغلب فصول البحث.

أما **كتب التراجم** فقد أفدت من كثير منها، وعلى رأسها كتاب (مختصر نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر)، للشيخ عبدالله أبو الخير، (ت: ١٣٤٣هـ)، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ)، ومما أفدت منه معرفة علماء المقامات، ويعطي في كثير من الأحيان تفصيلات عن علاقاتهم بالسياسة وعامة الناس وحياتهم العلمية.

كذلك أفدت من كثير من **كتب الرحالة** لأنهم يعتبرون شاهد عيان بالنسبة لأحداث تلك الفترة، ومن أهم هذه الكتب:

- كتاب (رحلة ابن جبير) لأبي الحسن محمد بن جبير الكناني، (ت: ٦١٤هـ)، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ)، ويُعد أول من ذكر المقامات الأربعة في المسجد الحرام وأئمتها، واعتمد عليه من جاء بعده من المؤرخين. وقد أفدت منه في التمهيد فيما يتعلق بنشأة المقامات.
- وكتاب (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) للمستشرق كرستيان سنوك هورخرونيه، ويقع في جزأين، طبعة دارة الملك عبدالعزيز، (١٤١٩هـ)، وقد أفدت من جزأيه في عدة مباحث.

أما ما يتعلق **بالدوريات،** فقد اعتمدت على مجموعة كبيرة مما تضمنته من الأبحاث والمقالات، من أهمها:

أم القرى، المنار، مجلة المنهل، مجلة الحج، كما استفدت من الأبحاث المقدمة للندوة الكبرى بمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية.

ومن الصعوبات التي واجهتني في سبيل إنجاز هذا البحث ما يأتي:

١- جمع الوثائق والكتب تطلب مني السفر لأماكن تواجدها العديد من المرات للبحث عنها.

٢- جاءت المادة العلمية المتعلقة بالمقامات متناثرة في هذه المصادر مما أخذ مني جهداً ووقتاً كبيراً في جمعها وترتيبها.

٣- قلة بضاعتي من اللغات الأجنبية التي أستطيع من خلالها الكشف عن ما كتب حول المقامات في الدوريات والكتب الأجنبية، وقد استعنت بالوثائق المترجمة لما أحتاجه منها.

ولا يفوتني التنبيه إلى أنني عزوت الآيات، وخرجت الأحاديث الواردة في البحث.

كما شرحت بعض المصطلحات العثمانية، وعملت ترجمة مختصرة لكثير من الأعلام من العلماء والخلفاء والأمراء وغيرهم.

كما ذيلت البحث بثلاثة ملاحق، يضم الأول منها صور بعض الوثائق التي أفدت منها في إعداد البحث، أما الملحق الثاني لجداول بأسماء علماء المقامات، وأمراء مكة المكرمة، بينما جعلت الملحق الثالث للخرائط وصور المقامات في المسجد الحرام.

وختاماً، أشكر الله سبحانه الذي أعانني على إنجاز هذا العمل، وأحتسبه عنده، ثم أشكر كل من أسهم معي بمجهوده وتوجيهه في إخراج هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذي سعادة الأستاذ الدكتور يوسف بن علي الثقفي المشرف على هذه الرسالة، الذي سهل عليَّ الكثير بدءاً باختيار الموضوع وإجراءات تسجيله، كما منحني من وقته وجهده وكان لتوجيهاته الدور الكبير في إنجاز هذا العمل.

كما أتقدم بوافر الشكر للجنة التحكيم على قبولها مناقشة الرسالة.

وأشكر جامعة أم القرى وكليات بريدة الأهلية على إتاحة الفرصة لي لتقديم هذا العمل الذي أرجو أن يكون إسهاما نافعاً في تراثنا المجيد ومشاركة في رصيد البحث العلمي.

وعلى أية حال فقد بذلت ما استطعت من جهد في هذا البحث، فإن كان فيه شيء من التوفيق لبلوغ القصد فمن الله سبحانه وتعالى، وإن قصر عن ذلك فهي طبيعة الجهد البشري وخاصة لإنسان مثلي في بداية خطواته نحو الطريق العلمي، والحمد لله رب العالمين.

حمد بن عبدالله بن محمد الحزيمي

١٤٣٧هـ

التمهيد

المقامات قبيل فترة الدراسة

المبحث الأول : نشأة المذاهب الفقهية .

المبحث الثاني : حالة المقامات قبل فترة الدراسة .

المبحث الأول

نشأة المذاهب الفقهية

المقصود بالمذاهب الفقهية، مذاهب الفقهاء المجتهدين الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وهي المذاهب المعمول بها عند جمهور المسلمين إلى اليوم، وكتب لها البقاء بخلاف مذاهب أهل السنة الأخرى[1]، التي لم يطل العمل بها ودَرَسَت خلال فترات مبكرة من التاريخ[2] .

وكانت الفُتيا قبل حدوث هذه المذاهب تؤخذ في عصر الصحابة عن القراء منهم، وفي عصر التابعين، اتبع أهل كل مصر فُتيا من كان عندهم من الصحابة، فاتبع أهل مكة فتاوى عبدالله بن عباس[3]، وأهل المدينة في الغالب فتاوى عبدالله بن عمر[4]، وأهل الكوفة فتاوى عبدالله بن مسعود[5]، وأهل مصر عبدالله[6] بن عمرو بن العاص[7].

وبعد عصر التابعين أتى فقهاء الأمصار الأربعة، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من الفقهاء كما أسلفنا. ثم قضت أسباب بانتشار المذاهب الفقهية

---

(١) كمذهب سفيان الثوري بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، والأوزاعي بالشام والأندلس، وابن جرير الطبري وأبي ثور في بغداد، وداود الظاهري في كثير من البلدان. انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٦٩؛ أحمد تيمور: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية، ص ١٢.

(٢) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٢.

(٣) هو عبدالله بن عباس القرشي الهاشمي، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوَّة، توفي بالطائف عام (٦٨هـ / ٦٨٧م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٤ / ٩٥.

(٤) هو أبو عبدالرحمن، عبدالله بن عمر بن الخطاب، صحابي، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، توفي بمكة عام (٧٣هـ / ٦٩٢م). انظر: ابن سعد: الطبقات، ٤ / ١٠٦ .

(٥) هو أبو عبدالرحمن، عبدالله بن مسعود الهذلي، صحابي، من السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة، سيَّره عمر بن الخطاب إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، توفي بالمدينة عام (٣٢هـ / ٦٥٣م). انظر: ابن سعد: الطبقات، ٣ / ١١١؛ الزركلي: الأعلام، ٤ / ١٣٧.

(٦) هو عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي، القرشي، صحابي، ولد عام (٧ق هـ / ٦١٦م)، وهو أحد المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، أسلم قبل أبيه، وتوفي عام (٦٥هـ / ٦٨٤م). انظر: ابن سعد: الطبقات، ٤ / ١٩٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣ / ٧٩؛ الزركلي: الأعلام، ٤ / ١١١.

(٧) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٣.

الأربعة[1]، وهي المذاهب التي لها علاقة بالمقامات في المسجد الحرام التي نحن بصدد دراستها، ولذلك سنتناول بالبحث هذه المذاهب كما يأتي:

أولاً: المذهب الحنفي .

ثانياً: المذهب المالكي .

ثالثاً: المذهب الشافعي .

رابعاً: المذهب الحنبلي .

نناقش في هذه المذاهب – بإيجاز وحسب طبيعة البحث – الجوانب الآتية: حياة الأئمة الأربعة، وأصول مذهبهم، وانتشار المذهب في الأمصار.

المطلب الأول: المذهب الحنفي :

أولاً: حياة الإمام أبي حنيفة :

أ – اسمه ونسبه:

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان[2]. وقيل: النعمان بن ثابت ابن زُوطَى أو (زوطا)[3]. من أسرة فارسية.

وقد أنكر مصطفى الشكعة أن جد أبي حنيفة يسمى زُوطَى، كما أنكر أنه كان مملوكاً لبني تيم الله، وأن ذلك مما ادعاه عليه خصومه لينالوا من قدره ويغضوا من مكانته[4].

ب – مولده ونشأته:

ولد بالكوفة عام (٨٠هـ / ٦٩٩م)، وتوفي ببغداد عام (١٥٠هـ / ٧٦٧م) على الأصح[5].

---

(١) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٧٠؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٣.

(٢) مصطفى الشكعة: الإمام أبو حنيفة، ص ١٧.

(٣) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، م (١)، ٣ / ٣١؛ مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٣٢٨.

(٤) انظر: مصطفى الشكعة: الإمام أبو حنيفة، ص ١٧ .

(٥) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٥ .

وقد نشأ أبوحنيفة في الكوفة، وكان أكثر اهتمامه بالتردد إلى السوق وممارسة التجارة مع أبيه، فقد كان أبوه خَزَّازاً يبيع الأثواب في دكان له بالكوفة.

حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم حدث التحول إلى طلب العلم وهو شاب، فيُذْكَر أن العالم الشَّعْبي[١] نصح أباحنيفة وأشار عليه بمجالسة العلماء وسماع دروسهم وحضور حلقاتهم، لما رأى فيه من اليقظة.

فكان أول ما اتجَّه إليه من العلوم علم أصول الدين، ومناقشة أهل الإلحاد والضلال، وأمضى في ذلك زمناً. ثم اتجَّه إلى الفقه ولزم الشيخ حمَّاد بن أبي سليمان[٢] وصحبه ثماني عشرة سنة، حتى مات حمَّاد رحمه الله، واتَّفق أصحاب حلقة الدرس على أن يخلفه أبو حنيفة في الدَّرس، وما زال على ذلك حتى صار إمام أهل الرأي[٣].

ج – عصره:

كانت ولادة أبي حنيفة في زهرة شباب الدولة الأموية، في عهد عبدالملك بن مروان[٤]، وعاصر ضعف الدولة، وشهد مصرعها، وقيام الدولة العباسية، ولم يتوفَّ إلا في أيام المنصور[٥].

---

(١) هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل الشَّعْبي الحميري، ولد عام (١٩هـ / ٦٤٠م)، من التابعين، كان فقيهاً، شاعراً، توفي عام (١٠٣هـ / ٧٢١م). انظر: ابن سعد: الطبقات، ٦ / ٢٥٩.

(٢) أبو سليمان، حَمَّاد بن أبي سليمان الأشعري، الكوفي، كان تابعياً، من أوائل من أدخلوا " الرأي " في الفقه بالكوفة، ويُعَد أبوحنيفة أشهر تلاميذه، توفي عام (١٢٠هـ / ٧٣٨م).
انظر: ابن سعد: الطبقات، ٦ / ٣٢٤؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ٢٠.

(٣) انظر: مصطفى الشكعة: الإمام أبو حنيفة، ص ٢٠ – ٢٧؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٢٨.

(٤) هو أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، تولى الخلافة عام (٦٥هـ / ٦٨٥م)، وفي أيامه عُرِّبَت الدواوين، وهو أول من سك الدنانير، توفي في دمشق عام (٨٦هـ / ٧٠٥م).
انظر: الزركلي: الأعلام، ٤ / ١٦٥ .

(٥) انظر: مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٢٥.

وقد بلغت الدولة الإسلامية في عصر أبي حنيفة أوج عظمتها، فاتسعت رقعة الدولة، وتباعدت أقاليمها شرقاً وغرباً، واختلفت أجناس أبنائها، وتعددت ثقافتهم. وهذا يحتاج إلى جهد علمي من الفقهاء لاستنباط الأحكام والفتوى والقضاء.

أما الناحية العلمية، فقد كانت العراق أهم مركز للنشاط العلمي، لاسيما عندما اتخذه العباسيون عاصمة لهم، فازدهرت فيه الحركة العلمية، وكان للفرق الدينية نشاطها، وبدأ تدوين العلم، وظهرت حركة الترجمة، ونما الفقه، خاصة أن العراق كان مهد مدرسة أهل الرأي وكبار شيوخه. وقرب الخلفاء العباسيون إليهم الفقهاء احتراماً لهم وحفظاً لمكانتهم ودعماً للحكم ليقوم على أساس من الدين[١].

وإذا عرفنا أن أبا حنيفة عاش في العراق، ندرك أنه استمد من هذه العوامل منهج تفكيره وأصول مذهبه .

ثانياً : أصول مذهب أبي حنيفة :

المذهب الحنفي هو أقدم المذاهب الفقهية الأربعة، ويقال لأصحابه أهل الرأي لاستكثارهم من القياس، وقد استمد أبو حنيفة أصول مذهبه من سبعة مصادر هي :

١- كتاب الله ٢- سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٣- فتوى الصحابة

٤- الإجماع ٥- القياس ٦- الاستحسان ٧- العرف[٢] .

ثالثاً : انتشار مذهب أبي حنيفة :

كان منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الإمام، ثم انتشر في سائر بلاد العراق، ومصر، وبلاد فارس، والروم، وبلخ وبخارى وفرغانة، وأكثر بلاد الهند والسند، وبعض بلاد اليمن، وإفريقية (طرابلس وتونس والجزائر)، وغيرها من البلاد الإسلامية[٣].

---

(١) انظر: مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ص ٣٢٥ — ٣٢٨ .

(٢) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٥؛ مصطفى الشكعة: الإمام أبوحنيفة، ص ١٨٠ .

(٣) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٧٠؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٥.

وقد أدى إيثار الخلفاء العباسيين لعلماء الحنفية بالقضاء عاملاً مهماً في انتشار المذهب الحنفي، ففي خلافة هارون الرشيد[1]، ولَّى القضاء أبا يوسف[2] الكوفي، بعد سنة سبعين ومئة، وأصبحت تولية القضاء بيده، ولم يكن يولَّى ببلاد العراق، وخراسان، والشام، ومصر، وإفريقية إلا من المنتسبين للمذهب الحنفي، ففشا المذهب في هذه البلاد حتى زاحمته المذاهب الثلاثة قريب من سنة أربع مئة[3].

وفي مصر، دخلها المذهب الحنفي بعد أن وُلِّيَ قضاؤها إسماعيل الكوفي[4] عام (١٤٦هـ / ٧٦٣م)، وهو أوَّل قاضٍ حنفي بمصر، ثم فشا المذهب بعد ذلك مع مزاحمة المذهبين المالكي والشافعي في القضاء، إلى أن استولى عليها الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة، وولوا القضاء منهم، وغضوا من المذهب الحنفي مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم[5].

وفي إفريقية وصقلية، انتشر المذهب وغلب عليها لما وُلِّيَ قضاؤها أسدٌ بن الفرات[6]، واستمر ظاهراً إلى قريب من عام (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، حيث نافسه المذهب المالكي وغلب على إفريقية[7].

---

(١) هو هارون بن مُحَّد بن عبدالله، خامس خلفاء الدولة العباسية، ولد بالري عام (١٤٩هـ / ٧٦٦م)، وتوفي عام (١٩٣هـ / ٨٠٩م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٨ / ٦٢.

(٢) هو أبو يوسف الكوفي، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، ولد عام (١١٣هـ / ٧٣١م) بالكوفة، من تلاميذ أبي حنيفة، تولى القضاء ببغداد، ويقال أنه أول من خوطب "بقاضي القضاة" توفي ببغداد عام (١٨٢هـ / ٧٩٨م). انظر: ابن سعد: الطبقات، ٧ / ٢٤٧؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ٥١.

(٣) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٦.

(٤) هو إسماعيل بن اليسع الكندي الكوفيّ، أول قاضي حنفي عراقي ولِّي بمصر القضاء، وعُزل عام (١٦٧هـ / ٧٨٤م). انظر: الزركلي: الأعلام، ١ / ٣٢٩.

(٥) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ص ٢٢ – ٢٤.

(٦) هو أبو عبدالله، أسد بن الفرات بن سنان، ولد بحران عام (١٤٥هـ / ٧٦٢م)، ثم انتقل إلى القيروان، رحل إلى المدينة وسمع من الإمام مالك الموطأ، ثم اتجه إلى العراق حيث التقى بأصحاب أبي حنيفة، فجمع بين إجادة المذهبين المالكي والحنفي، تولى قضاء القيروان، واقتصر في أحكامه على المذهب الحنفي، توفي عام (٢١٣هـ / ٨٢٨م). انظر: مصطفى الشكعة: الإمام مالك، ص ١٦٤.

(٧) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٧٠؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٩.

وفي القرن الرابع الهجري كان المذهب الحنفي هو الغالب على أهل صنعاء وصعدة باليمن، وفي إقليم أرمينية وأذربيجان وتبريز والري وخوزستان[١] .

المطلب الثاني: المذهب المالكي :

أولاً : حياة الإمام مالك :

أ – اسمه ونسبه :

هو أبو عبدالله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي[٢] .

والأصبحي نسبة إلى (ذي أصبح)، وهي قبيلة عربية يمنية[٣]. ولم يختلف علماء النسب في نسب مالك هذا أو اتصاله بذي أصبح ما عدا ما ادعاه محمد بن اسحاق في السيرة من أن مالكاً مولى لبني تيم بن مرة، وهو ما تعده المصادر وَهْمٌ من ابن اسحاق، وذلك لما بين جد مالك وقبيلة تيم بن مرة من مصاهرة وحلف[٤] .

ب – مولده ونشأته :

ولد الإمام مالك عام (٩٣هـ / ٧١١م) على الأشهر، مع اختلاف الروايات في سنة ولادته فتذكرها بين سنتي (٩٠هـ / ٧٠٨م) و (٩٧هـ / ٧١٥م). وكانت ولادته بالمدينة المنورة. وتوفي بها عام (١٧٩هـ / ٧٩٥م) على الصحيح[٥] .

كما نشأ في بيت علم وصلاح، فأبوه وأعمامه من العلماء، وجده مالك كان من كبار التابعين[٦] .

---

(١) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٢٦.

(٢) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٨٦؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ٢٧.

(٣) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٨٦؛ مصطفى الشكعة: الإمام مالك، ص ٢٠ .

(٤) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٨٦؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٤٥ .

(٥) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٩١، ١٢٦؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ٢٧ .

(٦) انظر: مصطفى الشكعة: الإمام مالك، ص ١٩ وما بعدها؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٤٣ وما بعدها .

ج- عصره:

يشبه عصر الإمام مالك عهد الإمام أبي حنيفة، عاصر الدولة الأموية في عنفوان شبابها ثم تداعيها وقيام الدولة العباسية على أنقاضها، واتساع رقعة الدولة الإسلامية وعظمة حضارتها التي امتزجت في مبادئها الإسلامية الحضارات الفارسية، والهندية، والرومانية.

وازدهرت الحركة العلمية وأثر ذلك في حيوية الفقه وازدهاره، فكثرت الأحداث، وتفرعت المسائل، واستنبط العلماء لكل مسألة حكماً.

وفي المدينة المنورة، دار الهجرة، اتسم عصر الإمام مالك بالهدوء، بعيداً عن المنازعات الفكرية التي راجت في العراق، فالمدينة زمن طفولة مالك كانت تعج بالعلماء من التابعين، وعاش فيها نحو من أربعين من الفقهاء المرموقين حتى عهد مالك. وفي المدينة كانت المدرسة الفقهية الأولى المعروفة بمدرسة الفقهاء السبعة[١] حيث تلقى مالك العلم.

ثانياً: أصول مذهب الإمام مالك:

المذهب المالكي هو ثاني المذاهب الأربعة في القدم، ويقال لأصحابه أهل الحديث، وقد استمد المذهب المالكي أصوله من سبعة مصادر هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل أهل المدينة، وقول الصحابة، والمصالح المرسلة، والقياس، وسد الذرائع.

وهناك من يصنفها إلى مصادر أساسية وفرعية. ومنهم من يعدُّها أربعة مصادر: الكتاب، والسنة، والإجماع، والرأي، وتشمل السنة: عمل أهل المدينة، وقول الصَّحابيِّ،

---

(١) اشتهر من مدرسة الحجاز الفقهاء السبعة، وهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمَّد، وخارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هاشم، وسليمان بن يسار، وعبيدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود. هؤلاء هم الفقهاء السبعة مع اختلاف المصادر في تعيينهم وترتيبهم.
انظر: مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٢٤٩.

ويشمل الرأي: المصالح المرسلة، وسد الذرائع، والعادات، والاستحسان، والاستصحاب. وقد اختص الإمام مالك بأصل غير الأصول المعتبرة عند غيره من الأئمة وهو عمل أهل المدينة[١].

ثالثاً: انتشار المذهب المالكي:

نشأ المذهب المالكي في المدينة موطن الإمام مالك، ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه، ثم انتقل إلى مصر، واليمن، وبلاد العراق، ثم إفريقية (تونس) وما وراءها من بلاد المغرب والأندلس. وذكر ابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م) في الديباج، البلاد التي انتشر فيها المذهب المالكي، فيقول: «غلب مذهب مالك على: الحجاز، والبصرة، ومصر، وما والاها من بلاد إفريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً، وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وظهر بنيسابور، وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون»[٢].

ففي مصر، كانت أول بلد انتشر فيها المذهب المالكي بعد الحجاز، واستمرت له الغلبة حتى جاء الإمام الشافعي ونشر مذهبه بها فشاركه الشهرة واقتسما القضاء حتى غلب الفاطميون عليها، فانتشر مذهب الشيعة، وأبطلوا العمل بمذاهب أهل السنة، ثم عاد المذهب المالكي إلى الظهور في عهد الدولة الأيوبية[٣] .

وفي إفريقية (تونس)، كانت الغلبة للمذهب الحنفي حتى تولى عليها المعز بن باديس[٤]عام (٤٠٧هـ) فحمل أهلها وما والاها من بلاد المغرب على المذهب المالكي، واستمرت له الغلبة على سائر بلاد المغرب إلى اليوم[٥].

---

(١) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٢٧، مصطفى الشكعة: الإمام مالك، ص ١٢٤ .

(٢) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٧١ .

(٣) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٣٠ وما بعدها .

(٤) هو المعز بن باديس، أمير إفريقية نيابة عن الفاطميين، ولد عام (٣٩٨هـ / ١٠٠٧م)، وتوفي عام (٤٥٣هـ / ١٠٦١م). انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨ / ٨٩، ٣٥٤.

(٥) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٨ / ٨٩؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ٣٢.

وفي الأندلس، كان الغالب على أهلها مذهب الأوزاعي[١] إلى زمن الأمير هشام ابن عبدالرحمن[٢] حيث قدم إليهم الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام مالك، فانقطع مذهب الأوزاعي منها بعد المئتين، وغلب عليها المذهب المالكي[٣].

وخلاصة القول، أن هذه الفترة تمايز فيها منهجان وظهرت معالم مدرستين:

الأولى: مدرسة «أهل الرأي»، وأصحابها أهل الكوفة بالعراق.

والثانية: مدرسة «أهل الحديث»، وأصحابها أهل المدينة بالحجاز.

وكان بين أهل الرأي وأهل الحديث منافسة شديدة، وعاب كل فريق منهم طريقة الآخر. ثم اكتملت المذاهب الفقهية، الشافعي والحنبلي.

المطلب الثالث: المذهب الشافعي:

أولاً: حياة الإمام الشافعي:

أ - اسمه ونسبه:

هو أبو عبدالله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف.

وشافع جده الثالث، نشأ على الإسلام ولقي النبي ﷺ وهو يافعٌ، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الإمام يقصر نسبه عليه.

وأما المطلب الذي ينتهي إليه الشافعي هو أحد أولاد عبدمناف الأربعة: المطلب، وهاشم، وعبد شمس، ونوفل، فهو يلتقي مع النبي ﷺ في عبدمناف. فنسبه من قبيلة قريش[٤].

---

(١) هو أبو عمرو، عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد عام (٨٨هـ / ٧٠٧م)، وتوفي عام (١٥٧هـ / ٧٧٤م). انظر: ابن سعد: الطبقات، ٧ / ٣٣٩؛ الزركلي: الأعلام، ٣ / ٣٢٠.

(٢) هو أبو الوليد، هشام بن عبدالرحمن الداخل، ثاني ملوك الدولة الأموية بالأندلس، ولد عام (١٣٩هـ / ٧٥٦م) وتوفي بقرطبة عام (١٨٠هـ / ٧٩٦م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٨ / ٨٦.

(٣) انظر: ابن فرحون: الديباج، ١ / ٧٠؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ٣٣.

(٤) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠ / ٥-١٠؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ٤١؛ مصطفى الشكعة: الإمام الشافعي، ص ص ٢١ — ٢٢؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ١٧٩.

ب – مولده ونشأته:

ولد بغزة عام (١٥٠هـ / ٧٦٧م)، وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة، وتوفي بمصر عام (٢٠٤هـ / ٨٢٠م)[١].

جاء مع أمه إلى مكة المكرمة عندما كان في الثانية من عمره، ونشأ بها فقيراً، يتيماً، فظهرت ألمعيته في وقت مبكر، وحفظ القرآن الكريم ولما يتجاوز عمره سبع سنين، وأقام مع قبيلة هذيل يطلب الشِّعر والأدب حتى صار حُجَّة في العربية. ثم تحول إلى الفقه فبدأ يطلب العلم على الفقهاء والمحدثين في مكة المكرمة، ثم رحل إلى الإمام مالك بالمدينة، وقرأ عليه الموطأ، وتفقه عليه ولازمه إلى أن مات عام (١٧٩هـ / ٧٩٥م)، واستمر في قيامه برحلات علمية ظهرت فيها شخصيته ومذهبه الفقهي[٢].

ج – عصره:

ولد الشافعي وعاش في عصر استقرار الدولة العباسية، وتمكين سلطانها، وقوة حكمها، وازدهار الحياة الإسلامية فيها، حيث كانت المدن الإسلامية تموج بنشاط العلماء، واقتباسهم من الفلسفة اليونانية، وآداب الفرس، وعلم الهند، في حركة الترجمة التي تولاها الخلفاء العباسيون بالتنمية والتشجيع، وكان لها أثرها في الفكر الإسلامي .

أما الحالة الدينية في عصر الشافعي، فإضافة إلى الفرق الموجودة قبل عهد العباسيين مثل الشيعة والخوارج نشأت فرقة المعتزلة[٣] التي خاضت مع الفرق الأخرى جدلاً، وأثاروا مسائل فلسفية. وقد كره الشافعي تعاليم المعتزلة وأساليبهم، واستنكر الاشتغال بطريقتهم.

---

(١) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٤١؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ١٧٩.

(٢) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠ / ٦؛ مصطفى الشكعة: الإمام الشافعي، ص ٢٥ وما بعدها؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ١٧٩؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٥٨ وما بعدها.

(٣) المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. انظر: ابن أبي يعلي: الاعتقاد، ١ / ٤٤.

وقد دُوِّن في عصر الشافعي جانبٌ كبيرٌ من الفقه، وكثرت المناظرات الفقهية بين العلماء في مسائل الخلاف، فأثر هذا عليه، وانتفع به في وضع أصول الفقه[١].

ثانياً: أصول مذهب الشافعي:

المذهب الشافعي هو ثالث المذاهب الأربعة في القدم، ويقال لأصحابه أهل الحديث كالمالكية، أخذ الشافعي عن الإمام مالك، ورحل إلى العراق بعد مالك، ولقي أصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم، ومزج بين مدرسة أهل الحجاز ومدرسة أهل العراق، واستقل بمذهب خاص، ثم انتقل إلى مصر عام (١٩٩هـ / ٨١٤م) وقد تكامل نموه، ونضجت آراؤه الفقهية.

ويُعَدُّ الشافعي مؤسس علم « أصول الفقه »، إذ أَلَّف كتاباً سُمي بـ « الرسالة » أو «الكتاب » وهو أول كتاب أُلِّفَ في أصول الفقه، ويتضمن قواعد مذهبه[٢].

ويُستَمَدُ المذهب الشافعي من عدة أصول هي:

١ – الكتاب والسنة: ويقرن الشافعي السنة بالكتاب، كأنهما في مرتبة واحدة.

٢ – الإجماع　　　٣ – قول الصحابي　　　٤ – القياس[٣].

ثالثاً: انتشار مذهب الشافعي:

كَثُر أتباع المذهب الشافعي، وظهر مثل ظهور مذهبي مالك وأبي حنيفة، وكان أول ظهوره بمصر، ثم العراق، وبلاد فارس، وما وراء النهر، والشام، واليمن، والحجاز، وإفريقية والأندلس بعد سنة (٣٠٠هـ) مع غلبة المالكي على إفريقية[٤].

ذكر ابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م) في الديباج ابتداء مذهب الشافعي وانتشاره، فقال: « وأما الشافعي – رحمه الله – فكثر أتباعه، وظهر مذهبه ظهور مذهبي

---

(١) انظر: مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٦٣ وما بعدها.

(٢) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٤١؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٦٦ وما بعدها.

(٣) انظر: مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٧١ وما بعدها.

(٤) انظر: ابن فرحون: الديباج، ص ٧١؛ ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٦٧؛ تيمور: نظرة تاريخية، ص ٤٢.

مالك وأبي حنيفة قبله وكان أول ظهوره بمصر، وكثر أصحابه بها مع المالكية، ثم بالعراق وبغداد، وغلب عليها وعلى كثير من بلاد خراسان، والشام، واليمن، إلى وقتنا هذا، ودخل ما وراء النهر، وبلاد فارس، ودخل شيء منه إفريقية والأندلس بِأَخَرَةٍ بعد الثلاثمائة »[١] .

ففي مصر انتشر الشافعي وكَثُر وزاحم المالكي والحنفي حتى ظهور الدولة الفاطمية على مصر وانتشار المذهب الشيعي، فضعفت مذاهب أهل السنة، ولما خلفتها الدولة الأيوبية أخذت في إنعاش المذاهب السُنِّيَة بمصر، ببناء المدارس لفقهائها، وجعلت للشافعي الحظ الأكبر من عنايتها فخصت به القضاء لكونه مذهب الدولة الرسمي[٢].

وفي الشام كان الغالب على أهلها مذهب الأوزاعي، حتى دخلها مذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري، وفي بغداد كان المذهب الحنفي غالباً ثم زاحمه الشافعي، وكانت له كثرة لتقليد بعض الخلفاء للشافعي، كما انتشر المذهب في تهامة[٣].

المطلب الرابع: المذهب الحنبلي:

أولاً: حياة الإمام ابن حنبل:

أ- اسمه ونسبه:

هو أبو عبدالله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

والشيباني نسبة إلى قبيلة شيبان من ربيعة، عدنانية، اشتهرت بالإباء، والهمة، والصبر، كانت منازلها بالبصرة وباديتها[٤] .

---

(١) ابن فرحون: الديباج، ص ٧١.

(٢) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٤٢ وما بعدها .

(٣) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٤٦ وما بعدها.

(٤) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ٢١٥؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٧٩.

ب- مولده ونشأته:

ولد ببغداد عام (١٦٤هـ / ٧٨٠م)، وقيل: ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع، وتوفي عام (٢٤١هـ / ٨٥٥م). فهو بغدادي المولد والنشأة والوفاة[(١)] .

نشأ منكباً على طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، وتزود من علوم العربية، واهتم بالفقه، ثم مال إلى الحديث ولم ينقطع عن الفقه، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة، منذ عام (١٨٦هـ / ٨٠٢م) إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والثغور، وكان من خواص أصحاب الإمام الشافعي، أخذ منه، ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وعني الإمام أحمد بتدوين ما يسمع من أحاديث ولم يكتف بالحفظ، ولم يجلس للحديث والفتوى إلا بعد أن بلغ الأربعين؛ عام (٢٠٤هـ / ٨٢٠م)، فجلس للدرس والإفتاء في المسجد الجامع ببغداد[(٢)].

ج- عصره:

هو عصر الإمام الشافعي، عصر استقرار الأمور للدولة العباسية، إلا أن بوادر التنافس بين العباسيين أنفسهم، قد بدأت تطل في فتنة الأمين[(٣)]والمأمون[(٤)]، والتي انتهت بغلبة المأمون معتمداً على جيش من العنصر الفارسي، ومنذ ذلك الحين أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة العباسية، ثم خلفه المعتصم[(٥)] واعتمد على عنصر الترك، الذين أخذ نفوذهم يقوى حتى استبدوا بالأمر. وأمام هذه الفتن التزم الإمام أحمد الصمت، فلم يحرِّض على فتنة، ولم ينتقد خليفة، وانصرف إلى حياته العلمية.

---

(١) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٥٣ .

(٢) انظر: الزركلي: الأعلام، ١ / ٢٠٣؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٨٠ وما بعدها.

(٣) هو الأمين، محمد بن هارون الرشيد، ولد عام (١٧٠هـ / ٧٨٧م)، وقُتِل ببغداد عام (١٨٩هـ / ٨١٣م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٧ / ١٢٧.

(٤) هو المأمون، عبدالله بن هارون الرشيد، ولد عام (١٧٠هـ / ٧٨٧م)، وتوفي عام (٢١٨هـ / ٨٣٣م). انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠ / ٢٧٢؛ الزركلي: الأعلام، ٤ / ١٤٢.

(٥) هو أبو إسحاق، المعتصم بالله، محمد بن هارون الرشيد، ولد عام (١٧٩هـ / ٧٩٥م)، وتوفي عام (٢٢٧هـ / ٨٤١م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٧ / ١٢٧ .

لكن حكم المأمون قد قارنه نفوذ علمي للمعتزلة، فأخذ الإمام أحمد يحذر منهم ومن بدعهم، كما ظهر في هذا العصر الزنادقة[1]، ووقع بين الإمام أحمد والخليفتين المأمون والمعتصم محنة عندما رفض الإمام رأي المعتزلة حول القول بخلق القرآن[2].

ثانياً: أصول المذهب الحنبلي:

المذهب الحنبلي هو رابع المذاهب السُنِّية المعمول بها عند جمهور المسلمين، وأهم الأصول التي بُني عليها المذهب خمسة أصول:

١- النصوص: فنصوص الكتاب والسنة في مرتبة واحدة عند الإمام أحمد.

٢- فتاوى الصحابة.

٣- الاختيار من فتاوى الصحابة إذا اختلفوا.

٤- الأخذ بالحديث المرسل والضعيف.

٥- القياس[3].

ثالثاً: انتشار المذهب الحنبلي:

كان منشأ المذهب ببغداد في القرن الثالث الهجري، ثم شاع في غيرها في القرن الرابع الهجري، ولكن دون شيوع المذاهب السابقة.

وذكر ابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م) في كتاب الديباج انتشار المذهب الحنبلي فقال: « وأما مذهب أحمد بن حنبل – رحمه الله – فظهر ببغداد، ثم انتشر بكثير من بلاد الشام، وغيرها، وضعف الآن »[4]. أي في القرن الثامن الهجري.

---

(١) الزِنديق، بالكسر: أُطلق على الزرادشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة أو من لايؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وتُوُسِّع فيه فأطلق على كل شاكٍّ، أو ضال، أو ملحد. انظر: ابن حنبل: الرد على الجهمية، ص ٥٨، غازي: إفادة الأنام، ٣ / ٨٠.

(٢) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث، م (١)، ٣ / ٢١٥؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٧٨.

(٣) انظر: تيمور: نظرة تاريخية، ص ٥٣؛ مناع القطان: تاريخ التشريع، ص ٣٨٥ وما بعدها.

(٤) ابن فرحون: الديباج، ص ٧١.

وقال ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): «وأما أحمد بن حنبل فمقلدوه قليل، لبعد مذهبه عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية، وللأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشام والعراق في بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث»(١).

وفي القرن الرابع الهجري ظهر المذهب في مصر إلا أن أتباعه قليل جداً، وبالبصرة، وبإقليم قور والديلم والرحاب، وبالسوس من إقليم خوزستان. وكان الحنابلةُ قليلين في كل عصر، يقول الشيخ أحمد تيمور (ت: ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م) عن انتشار المذهب الحنبلي: «مهما يكن من انتشاره في كثير من البلدان، فإن مقلديه فيها قليلون في كل عصر»(٢). فلم يكن له غلبة إلا في بغداد حوالي عام (٣٢٣هـ / ٩٣٥م).

ومما سبق دراسته من نشأة المذاهب الفقهية وانتشارها تتضح لنا الجوانب التالية:

١- في القرنين الثاني والثالث للهجرة ظهرت المذاهب الفقهية السُنِّيَة الأربعة كمذهب الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد.

٢- ساعد على انتشار هذه المذاهب عدة أسباب، منها:

أ- تمكين الحكام لأتباع المذهب الذي اعتنقوه: فقد تبنى الحكام في كل مصر مذهباً من المذاهب واتخاذه مذهباً للدولة، ومكَّنوا له ونشروه، وقصروا مناصب القضاء والإفتاء عليه، مثل تولِّي أبي يوسف(٣) تلميذ الإمام أبي حنيفة القضاء في بغداد، ويحيى بن يحيى بن كثير(٤) تلميذ الإمام مالك القضاء في الأندلس، وغيرهم، فكانوا سبباً في شيوع المذهب الحنفي والمالكي. حتى قال ابن حزم (ت: ٤٣٨هـ

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٦٦.

(٢) تيمور: نظرة تاريخية، ص ٥٥ .

(٣) أبو يوسف: سبقت ترجمته في هذا المبحث، ص (٢٠).

(٤) هو أبو محمد، يحيى بن يحيى بن كثير بن وِسْلاس الليثي، ولد عام (١٥٢هـ / ٧٦٩م)، رحل إلى المشرق شاباً، فسمع الموطأ من الإمام مالك وأخذ عن علماء مكة ومصر، وعاد إلى الأندلس، توفي عام (٢٣٤هـ / ٨٤٩م). انظر: ابن فرحون: الديباج، ٢ / ٢٨١؛ الزركلي: الأعلام، ٨ / ١٧٦ .

/ ١٠٤٧م): «مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان: الحنفي بالمشرق والمالكي بالأندلس»[١].

وبعض أهل الثراء كانوا يبنون المدارس ويوقفون الأوقاف على مدرسيها ومشايخها، ويشترطون ألا يتولى ذلك إلا أصحاب مذهب من المذاهب يسمونه.

ب – وجد بعض التلاميذ النجباء الذين لهم منزلة بين الناس دوَّنوا أقوال مشايخهم وآراءهم ونشروها، فتلقتها الأمة بالقبول الحسن، وهم كُثر .

ج – أما بالنسبة لمكة المكرمة فلا شك أن أهلها كانوا يتمذهبون بمذاهب متعددة، سواء من أبنائها، أو الوافدين عليها من العالم الإسلامي، بحكم مكانتها وقدسيتها في نفوس المسلمين، فكان أتباع المذاهب يحرصون على التواجد في مكة. مع غلبة المذهب الشافعي على الأهالي.

(١) نقلاً عن: تيمور: نظرة تاريخية، ص ١٧ .

المبحث الثاني

حالة المقامات قبل فترة الدراسة

المَقَامُ معناه في اللغة: موضع القدمين، والمجلس، والجماعة من الناس[١].

وهذه التسمية جاءت متطابقة مع المعنى الاصطلاحي لمقام إبراهيم – عليه السلام – وهو: الحجر الذي وقف عليه إبراهيم. والمصادر على تنوعها متفقه على هذه التسمية، وقل كتاب أن يخلو من ذكره فنجده في القرآن الكريم، وكتب السنة، والفقه، واللغة، والتاريخ. أما تسمية مقامات الأئمة الأربعة بهذا الاسم «مقامات» فهي تسمية غير دقيقة، وتحتاج إلى إعادة نظر. فالمصادر التي ذكرتها أوردت تسميات عديدة، منها: المحاريب، الحطيم، المصلى، المقامات، فهي تسمية متباينة في المصادر، نظراً للزاوية التي ينظر منها كل مصدر[٢]، وأرى أن تسميتها بـ «المحاريب» هو الأقرب، لأن المحراب هو مكان إقامة الإمام للصلاة. وقد جرى عرف كثير من المصادر على تسميتها بـ «المقامات» فآثرنا إبقاءها على هذه التسمية.

المطلب الأول: نشأة مقام إبراهيم عليه السلام:

ذكر الله سبحانه وتعالى مقام إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٤] وقد تعددت الآراء والأقوال في المراد «بمقام إبراهيم» في الآيات.

قيل: هو الحرم كله.

وقيل: مشاعر الحج، كعرفة، ومزدلفة، ومنى، ورمي الجمار، وسائر أماكن المناسك.

---

(١) المعجم الوسيط، ٢ / ٧٦٨، مادة (قوم).

(٢) انظر على سبيل المثال: ابن جبير: الرحلة، ص ٦٢؛ الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٦ – ٣٢٧؛ صالح ابن حميد: تاريخ أمة، ١ / ١٨١.

(٣) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

وقيل: هو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم – عليه السلام –.

وذُكِرَ في سبب وقوفه عدة أسباب:

قيل: وقف عليه حين غسلت زوجة ابنه إسماعيل – عليه السلام – رأسه لمّا جاء يسأل عن ولده إسماعيل.

وقيل: وقف عليه حينما أذن للحج، استجابة لأمر الله، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(١).

وقيل: هو الحجر الذي وقف عليه حين بنى الكعبة المشرفة(٢). وهو مقام إبراهيم المعروف في المسجد الحرام.

وقد رجَّح المحققون – المتقدمون منهم والمتأخرون – القول الأخير، فقد نقل إبراهيم رفعت في المرآة رأي ابن جرير الطبري في هذه الأقوال وترجيحه القول الأخير، فقال: « وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام إبراهيم هو مقامه المعروف في المسجد الحرام »(٣).

وقد أكد على هذا الرأي المؤرخ محمد طاهر الكردي في قوله: « فهذا القول الأخير هو الصحيح المعوَّل عليه »، وقوله: « نحن نجزم بهذا القول جزماً أكيداً »(٤).

---

(١) سورة الحج: الآية رقم (٢٧).

(٢) انظر: الأزرقي: أخبار مكة، ٢ / ٣٠ – ٣٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٢٧٠، ٢٧٩؛ ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٣٥؛ مكتبة الحرم المكي: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم (٣٤٨٨ / ١)، ص ١٢، بعنوان: رسالة في أخبار عمارة الكعبة؛ ومخطوطة رقم (٤٢٦٩)، ص ٢١؛ السنجاري: منائح الكرم، ١ / ٢٩٧؛ إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٢٤٢؛ باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٧٣، ٧٦؛ باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٣٦، ١٤٠؛ الكردي: مقام إبراهيم، ص ١٨٩؛ الكردي: التاريخ القويم، ٣ / ٣٠٠.

(٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٢٤٢.

(٤) الكردي: مقام إبراهيم، ص ١٩٠؛ الكردي: التاريخ القويم، ٣ / ٣٠١.

فمقام إبراهيم – عليه السلام –: هو الحجَر الذي كان يقوم عليه إبراهيم – عليه السلام – لبناء البيت الحرام لَّما ارتفع جداره، وكان إسماعيل يناوله الحجارة فيضعها بيده، وكلما كمُلَ من ناحية انتقل إلى ناحية أخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه، حتى انتهى إلى وجه البيت[١].

أما أصل نشأة المقام فهو من الجنة، فتذكر المصادر أن المقام والركن نزلا مع أبينا آدم – عليه السلام – من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها. ففي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص[٢] – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الحجَر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما، ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب »[٣].

فالمقام جعله الله آية من آياته، فلما أُمر إبراهيم – عليه السلام – أن يؤذن في الناس بالحج قام عليه، وكان أثر قدميه فيه، ولما فرغ – عليه السلام – من بناء البيت والأذان للحج أمر بالمقام فجعله قبلة، فكان يصلي إليه مستقبلاً الباب فهو قبلة إلى ما شاء الله. ثم كان إسماعيل بعدُ يصلي إليه إلى باب الكعبة. ثم كان النبي ﷺ لما قدم مكة المكرمة يصلي إليه[٤].

ويلزمني هنا التنبيه على بعض الكتابات التاريخية المتعلقة بنشأة مقام إبراهيم – عليه السلام –، المخالفة للحقيقة، ومنها:

---

(١) انظر: الأزرقي: أخبار مكة، ٢ / ٣٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٢٧٠؛ ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٣٥؛ النهروالي: كتاب الإعلام، ص ٦٢؛ باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٧٣، ٧٦، ٨٠؛ باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ١٣٦، ١٤٠؛ الكردي: مقام إبراهيم، ص ١٩١؛ الكردي: التاريخ القويم، ٣ / ٣٠١؛ مكتبة الحرم المكي: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم (٣٤٨٨ / ١) بعنوان: رسالة في أخبار عمارة الكعبة؛ ومخطوطة رقم (٤٢٦٩) .

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص، سبقت ترجمته في هذا المبحث، ص (١٦) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١١ / ٥٧٧)، والحاكم في المستدرك (١ / ٤٥٦) .

(٤) انظر: الأزرقي: أخبار مكة، ٢ / ٣١ – ٣٢ .

ما ذكره الرحالة التركي أوليا جلبي[١] في رحلته المسماة "بالرحلة الحجازية"، حينما حج عام (١٠٨٢هـ / ١٦٧١م)، وهي زيارته الوحيدة لمكة المكرمة على ما يظهر، ذكر فيها أن المقام هو البيت الذي يسكنه إبراهيم – عليه السلام –. قال: "البيت الذي كان يقيم فيه سيدنا إبراهيم قبل أن يبني الكعبة الشريفة، ولقد كان الخليل إبراهيم يسكن فيما بين قبيلة بني جرهم. وقد سكن هذا المكان، ومن هنا يسمونه مقام إبراهيم"[٢].

وإننا بالوقوف أمام عبارات جلبي ندرك خطأها، ويمكن الرد عليها من عدة جوانب:

١- لم يبن هذه المعلومات على أسس علمية. ويذكر أنه نقلها عن كتب التاريخ إلا أنه لم يسم هذه المصادر التي نقل عنها، ولو رجع إلى الكتب المعتمدة لعلماء المسلمين والمؤرخين ما كتب ذلك.

٢- لم أجد أحداً وافق جلبي فيما قاله، من العلماء المتقدمين أو المتأخرين.

٣- يتضح أنه لم ير المقام، وإنما رأى مقصورته ووصفها على عجل، قال: "وعليه تاريخ ولكن لم أتمكن من تحريره، ولم يتيسر الوقت بعد ذلك، لذلك"[٣] .

٤- لم تكن هذه المعلومات هي الوحيدة الخاطئة، فالقارئ لكتاب الرحلة يجد معلومات تاريخية غير صحيحة، وهذه أمثلة لبعضها دون استقصاء، ففي ذكره لفتح مكة المكرمة[٤]، ذكر أنها في السنة السابعة عشرة للهجرة !. وعدد المسلمين

---

(١) هو أوليا جلبي بن درويش مُحَمَّد ظلي، ولد عام (١٠٢٠هـ / ١٦١١م)، قام برحلته للحج في موسم عام (١٠٨٢هـ / ١٦٧١م)، انظر: أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص ص ٥٣، ٦٦ .

(٢) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص ٢٤٤.

(٣) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص ٢٤٤.

(٤) فتح مكة: حدث في السنة الثامنة من الهجرة، وكان عدد المسلمين مع النبي ﷺ (١٠) الاف وقيل (١٢) ألف. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٤ / ٣١٧ – ٣٢٥.

مع الرسول ﷺ أربعة وسبعون ألفاً !. وفي غزوة مؤتة[1] يذكر أن الرسول ﷺ عيَّن خالد بن الوليد[2] قائداً للجيش المتجه إلى بلاد الروم !. ففتح الشام الشريف !. وهزم الروم شر هزيمة ! [3].

فيظهر من ذلك أن أوليا جلبي بعيد عن معرفة التاريخ الإسلامي. والرحلة على ما فيها من فوائد تتعلق بوصف مكة المكرمة والمسجد الحرام. إلا أنها تدل على عدم تمكن صاحبها من العلم، وبالتالي عدم صحة ما ذكره عن نشأة مقام إبراهيم – عليه السلام – .

المطلب الثاني: نشأة المقامات الأربعة:

للتعرف على نشأة هذه المقامات وتعددها في المسجد الحرام، فإن هذا الأمر يستوجب منا الإلمام بالظروف الدينية والسياسية حول مكة المكرمة في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مما كان له أكبر الأثر في نشأة المقامات، وهما جانبان مرتبطان مع بعضهما يقومان على التنافس المذهبي السياسي .

أولاً: الظروف الدينية والسياسية:

١- **الصراع بين المذاهب الفقهية:**

أخذت المذاهب السنية الأربعة -وبعض المذاهب غير السنية مثل فرق الشيعة - تتغلب مع الزمن، ومن القرن الرابع الهجري، شاع الانتصار للمذاهب وتأييدها والمدافعة عنها، وكثر الجدل والمناظرة التي كانت تعقد لا لبيان الحق، وإنما انتصاراً للمذهب، ورداً لأقوال الخصوم من أصحاب المذاهب الأخرى، وظهر القول بسد باب

---

(١) غزوة مؤته: حدثت في السنة الثامنة من الهجرة، وقد أَمَّرَ النبي ﷺ ثلاثة قادة، زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبدالله بن رواحة، فإن قتل فيرتضي المسلمون بينهم رجلاً يجعلوه عليهم. وبعد استشهاد القادة الثلاثة ارتضى المسلمون خالد بن الوليد، الذي انحاز بالجيش وعاد إلى المدينة المنورة. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٤ / ٢٧٥ – ٢٨٢.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، من كبار الصحابة، كان إسلامه بين الحديبية والفتح، توفي سنة إحدى وعشرين للهجرة. انظر: ابن سعد: الطبقات، ٤ / ١٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١ / ٣٦٦.

(٣) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص ٢٤٧ .

الاجتهاد، فصار كل طالب علم يقتصر على دراسة كتب المذهب الذي ينتحله[1]، فازداد التعصب للمذاهب وأدى إلى الخصومات والعداوات وسفك الدماء بين أصحابها، فتارة يكون الخلاف بين الشافعي والمالكي وتارة بين الشافعي والحنفي، وتارة بين السنة والشيعة.

فمن شواهد التفرق بين المذاهب السنية، التي يألم المسلم لمجرد ذكرها، ما يورده بعض أتباع المذاهب تجاه المذاهب الأخرى من آراء وفتاوى، فقد ألف أبو المعالي الجويني الشافعي[2] (ت: ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) كتاباً سماه «مغيث الخلق»، عاب فيه مذهب أبي حنيفة وخطأه وشنَّع عليه في مسائل، كما أفتى بعض الشافعية ببطلان من اقتدى بالحنفي في الصلاة[3].

وفي المقابل كان بعض علماء الحنفية يبادلون الشافعية التعصب، ورد في ترجمة قاضي دمشق الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني[4] (ت: ٥٠٦هـ / ١١١٢م) قوله: « لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية ». وأفتى كثير من فقهاء الأحناف ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي، وأن اقتداء الحنفي بشافعي غير جائز[5]. ومثل ذلك بين المذاهب السنية الأخرى، إضافة إلى ما يحصل بينهم من فتن.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٦٦ .

(٢) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، الفقيه الشافعي، ولد في نيسابور، رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور بها أربع سنين، ينشر العلم، ثم رحل إلى بغداد فتولى التدريس بالمدرسة النظامية، توفي عام (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م). انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ١ / ٩٨؛ الزركلي: الأعلام، ٤ / ١٦٠.

(٣) عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤) نسبة إلى بلاساغون: بلدة من ثغور الترك، وراء نهر سيحون، تفقه البلاساغوني ببغداد الفقه الحنفي، ثم خرج إلى الشام، وولي القضاء بدمشق، ولم تحمد سيرته في ولايته، توفي بدمشق عام (٥٠٦هـ / ١١١٢م). انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٩ / ٢٤٥ .

(٥) عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص ١٧٣ .

من أجل ذلك ترى في بعض البلاد الإسلامية الصلاة تقام، فلا يصلي مجموعة من الناس خلف الإمام، فإذا أتمت الجماعة الأولى الصلاة، أقيمت الصلاة مرة أخرى ليصلي أتباع المذهب الثاني، وقد تقام ثالثة ورابعة بحسب ما يوجد من أتباع المذاهب[١].

هذا قليل من كثير مما أدى إليه التعصب المذهبي المقيت، وفي هذا الجو لايستغرب التفرق في المسجد الحرام وتعدد الجماعات في الصلاة.

٢- مكة المكرمة بين التبعية للعباسيين والفاطميين:

في عام (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) نجح الفاطميون في مد نفوذهم إلى مصر، وفي هذا العام أعلن شريف مكة المكرمة استقلاله عن العباسيين وتبعيته للفاطميين، فبدأ النفوذ الفاطمي في الحجاز عامة وفي مكة المكرمة خاصة، واستمر ذلك قرابة قرنين من الزمان إلى عام (٥٦٧هـ / ١١٧٢م) مع سقوط الدولة الفاطمية، ومن بداية هذه الفترة بدأت ظاهرة جديدة في التاريخ الإسلامي وهي التنافس بين الخلافة العباسية السنية والدولة الفاطمية الشيعية على إقامة الخطبة لأي منهما على منابر الحرمين الشريفين، فحرص كل طرف على دعم نفوذه بإرسال الأموال والأعطيات والهدايا إلى حكام مكة المكرمة والأهالي، وأدت هذه الأعطيات دوراً بالغ الأهمية في تحديد واستمرار العلاقة المذهبية والسياسية في مكة المكرمة لكل من الخلافة العباسية والدولة الفاطمية. وقد تدعم النفوذ الفاطمي في مكة المكرمة بضعف الخلافة العباسية في بغداد وظهور النفوذ البويهي[٢] الشيعي الذي جرد الخليفة العباسي من كل سلطانه وحقوقه طيلة الفترة البويهية (٣٣٤- ٤٤٧هـ).

---

(١) عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص ١٧٥ .

(٢) ظهرت الأسرة البويهية في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وتزعم هذه الأسرة علي بن أبي شجاع بويه، إلى جانب أخويه الحسن وأحمد، فاستولوا على فارس، وإقليم الجبال، ودخول بغداد عام (٣٣٤هـ / ٩٤٥م). انظر: إبن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧ / ٢٠٦.

استمر ولاء الأشراف حكام مكة المكرمة للدولة الفاطمية والدعوة باسمهم على المنابر، واستمرت الأعطيات، وفي حال انقطاعها في فترات قصيرة تتغير الدعوة إلى العباسيين.

ومع ظهور أسرة الهواشم[1] عام (٤٥٤هـ /١٠٦٢م) وحكمها لمكة المكرمة اختلفت سياستهم عن بني سليمان[2] في علاقتها مع الخلافة السنية والدولة الشيعية فاحتفظوا بعلاقات طيبة مع الجانبين، فكانوا يعوضون نقص الأعطيات من مصر بقبول أعطيات أخرى ترسلها الخلافة العباسية، مع احتفاظهم بالمظاهر الشيعية في الأذان والخطبة بذكر عبارة «حي على خير العمل».

وقد ارتبط النفوذ الفاطمي على الحجاز بظهور كثير من البدع في مكة المكرمة، ويؤكد هذه البدع ما قاله مؤرخ مكة في العصر الحديث أحمد السباعي عن ظهور بدعة تعدد المقامات: «إني أعتقد أنها أحدثت في العهد الفاطمي مع ما أحدث من بدع غريبة»[3]. وليس من قبيل المصادفة أن يكتب صلاح الدين الأيوبي[4] (ت: ٥٨٩هـ /١١٩٣م) كتاباً إلى شريف مكة المكرمة ينهاه عن نشر البدع في أرض الحرمين الشريفين[5] . ففي هذا الكتاب إشارة إلى إنتشار البدع في الحجاز زمن النفوذ الفاطمي.

(١) نسبة إلى هاشم بن الحسين الأمير بن مُحَّد الثائر بن موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون، الطبقة الثالثة من الأشراف. انظر: غازي: إفادة الأنام، ٣ / ٧٤؛ والسباعي: تاريخ مكة، ١ / ٢٤٤ .

(٢) نسبة سليمان بن عبدالله بن موسى الجون، الطبقة الثانية من الأشراف. انظر: غازي: إفادة الأنام، ٣ / ٧٤؛ والسباعي: تاريخ مكة، ١ / ٢٣١.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ١ / ٢٥٣ .

(٤) السلطان صلاح الدين، يوسف بن نجم الدين أيوب، ولد عام (٥٣٢هـ / ١١٣٨م)، بعثه نور الدين في عسكره مع عمه أسد الدين شيركوه، فحكم شيركوه على مصر، فما لبث أن توفي، فقام بعده صلاح الدين، وأنهى الدولة الفاطمية، وبدأت الدولة الأيوبية، توفي عام (٥٨٩هـ / ١١٩٣م).
انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢١ / ٢٧٨.

(٥) انظر: مُحَّد بن هزاع الشهري: شاهد قبر من أول القرن السابع الهجري، (بحوث مجلة دارة الملك عبدالعزيز)، عدد خاص، ص ٢١٩.

ثانياً: نشأة المقامات السنية الأربعة:

اتفقت المصادر على أن المقامات أنشئت في مكة المكرمة في العهد الفاطمي، إلا أنها لم تُعيِّن السنة التي أُنشئت فيها أو اسم أول من أنشأها .

وقد اجتهد المؤرخون في معرفة بدايتها فلم يظفروا بمعلومة مؤكدة، قال الفاسي: «وأما وقت حدوثهم فلم أعرفه تحقيقاً»[1]، وأيده في هذه النتيجة الشيخ حسين باسلامة، فقال: «لم أوفق للوقوف على ذلك»[2] .

وتباينت المصادر حول فترة ظهور هذه المقامات في المسجد الحرام، مثلاً: الفاسي ذكر أن مقامات الحنفي والمالكي كانت موجودة مع الشافعي في آخر القرن الخامس الهجري والحنبلي في النصف الأول من القرن السادس، دون أن يحدد تاريخاً لحدوثها. أما حسين باسلامة فقد رجحها بين القرنين الرابع والخامس الهجريين. كما رجحها الدكتور محمد بن هزاع الشهري في نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري[3].

وبعد تتبع المصادر، ليس في تاريخ الأزرقي المتوفى عام (٢٢٤هـ / ٨٥٨م) تقريباً، ولا في « أخبار مكة » للفاكهي (ت: ٢٧٢هـ / ٨٨٥م)، أدنى إشارة إلى هذه المقامات، مع أن أخبارهما محصورة في ذكر ما يتعلق بمكة المكرمة. كما لم يذكرها ابن عبد ربه عند وصفه الدقيق للمسجد الحرام عام (٣٢٨هـ / ٩٤٠م)، ولم يذكرها ناصر خسرو في «سفر نامة» الذي زار مكة عام (٤٤٢هـ / ١٠٥٠م)، وفي ذلك ما يدل على أن أرض المسجد الحرام بقيت من دون مقامات حتى منتصف القرن الخامس الهجري.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٦.

(٢) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٢٤.

(٣) انظر: الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٦ – ٣٢٧؛ باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٢٤؛ محمد ابن هزاع الشهري: شاهد قبر، ص ٢١٨ .

وأول ذكر للمقامات الأربعة كان عند ابن جبير في رحلته التي حج فيها عام (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)[١]، فلا بد أنها أُحدثت قبل ذلك التاريخ. كما أنها لم تحدُث في وقت واحد، بل في أوقات مختلفة من القرن الخامس الهجري، كما يأتي:

١- **المقام الشافعي**، وهو أول الأئمة السنيَّة حدوثاً في المسجد الحرام، والمقدم من الخليفة العباسي، وإمام مذهب غالب أهل مكة المكرمة، إلا أن المصادر لم تحدد السنة التي تحول فيها من إمام للمسجد الحرام لجميع المذاهب، إلى إمام للصلاة بأتباع المذهب الشافعي. وقد جاء عند الفاسي أنه موجود في المسجد الحرام عام (٤٩٧هـ / ١١٠٤م)[٢]، وذكر ابن فهد بأن محمد بن عبدالله المكناسي المالكي ولِّي إمامة المقام المالكي عام (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)[٣]، وهذا يعني أن المقام الشافعي حدث قبل هذا التاريخ.

٢- أما **المقام الحنفي** فهو ثاني أئمة أهل السنة حدوثاً في المسجد الحرام بعد المقام الشافعي وقبل المقام المالكي، أي قبل عام (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) للأسباب الآتية:

أ) المنافسة في القرنين الرابع والخامس الهجريين كانت محصورة بين المذهبين الحنفي والشافعي.

ب) الدعم الذي يقف وراء إمام المقام الحنفي كان أعظم من دعم المقامات الأخرى، يقول عنه ابن جبير: «إنه أعظم الأئمة أبهة وأفخرهم آلة من الشمع وسواها»[٤]. فهو يستمد قوته من كثرة أتباعه من خارج حدود الدولة العباسية.

ج) وهذا ما يُفهم من رأي محمد طاهرالكردي الذي يرى أن المقام الحنفي أول ما اتخذ كان بمثابة المكبرية للتبليغ، وكان مسقوفاً، يرقى عليه المكبرون لتبليغ الناس

---

(١) انظر: ابن جبير: الرحلة، ص ٦١ .

(٢) انظر: الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٦ .

(٣) انظر: ابن فهد: اتحاف الورى، ٢ / ٤٨٧.

(٤) ابن جبير: الرحلة، ص ٦٢.

بحركات الإمام، ولم يكن في ابتداء الأمر ينسب للحنفي، وكان إمام المسجد الحرام يصلي تحته في بعض الأحيان، ولا يبعد أن يكون حنفي المذهب، فنسب المقام إليه تفريقاً بينه وبين المقام الشافعي، ومع التعصب للمذاهب أُحدثت المقامات الأربعة[١] .

٣- أما **المقام المالكي**، فكان حدوثه في المسجد الحرام متأخراً عن المقام الحنفي، وقبل عام (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) وهو العام الذي ذكر فيه ابن فهد أن محمد بن عبدالله المكناسي ولِّي إمامة المقام المالكي[٢]. وهو أقل المقامات في الإمكانيات المادية، فإنه أقل شمعاً وأضعف حالاً، لأن مذهبه في تلك البلاد غريب على حد قول ابن جبير[٣] .

٤- أما **المقام الحنبلي** فلم يُعرف في المسجد الحرام إلا في عام (٥٤٠هـ / ١١٤٥م)، عند ذكر الفاسي للمقامات، حيث قال: « وأما وقت حدوثهم فلم أعرفه تحقيقاً، ورأيت ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين في سنة سبع وتسعين وأربع مئة، وأن الحنبلي لم يكن فيه موجوداً، وذلك لأن الحافظ أبا طاهر السلفي حج في هذه السنة، ورأى فيها أبا محمد بن العرضي القروي المقرئ إمام مقام الخليل -عليه السلام- وذكر أنه أول من يصلي من أئمة الحرم المقدس قبل الحنفية والمالكية والزيدية » [٤]. فاستدل من عدم ذكر السلفي له أنه غير موجود ثم قال: « ووجدت ما يدل على أنه موجوداً في عُشر الأربعين وخمسمائة»[٥]. وفي نظري أن عدم ذكر السلفي للمقام الحنبلي عام (٤٩٧هـ / ١١٠٤م) لا يمكن الجزم به بأنه

---

(١) انظر: الكردي: التاريخ القويم، ٥ / ٩٢.

(٢) انظر: ابن فهد: اتحاف الورى، ٢ / ٤٨٧ .

(٣) انظر: ابن جبير: الرحلة، ص ٦٣.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٦.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٦.

غير موجود، فالسلفي ذكر الأئمة الذين يصلون في المسجد الحرام، والمقام الحنبلي عادة ما يكون معطلاً لا يُصلى فيه كما ذكر ذلك ابن جبير والفاسي[1]. ولذا أرجح أن حدوث المقام الحنبلي في المسجد الحرام كان في آخر القرن الخامس الهجري، بعد المقامات الثلاثة.

ويتبين مما سبق حول نشأة المقامات الأربعة في المسجد الحرام ما يأتي :

١- أن ظهورها قد جاء مع النفوذ الفا طمي في الحجاز، وذيوع مذهب الشيعة، وظهور التعصب بين المذاهب السنية الأربعة، وتنازع أتباعها كل يروم تولي إمامة المسجد الحرام.

٢- لم يتبين لي من المصادر التي اطلعت عليها تحديد وقت إنشائها على وجه التحقيق، وأغلب المصادر ترجح حدوثها في القرن الخامس الهجري، إلا أنني أميل إلى ترجيح حدوثها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، للأسباب الآتية:

أ) ظهور أسرة الهواشم في حكم مكة المكرمة، وأولهم الشريف أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد، الذي حكم فترة طويلة، قرابة ثلاثين سنة، من عام (٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) إلى عام (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، وتصفه المصادر بأنه متلَوِّن تارة مع العباسيين وأخرى مع الفاطميين، وفي عهده أعيدت الخطبة للعباسيين بعد انقطاعها من الحجاز نحو مئة سنة[2] .

ب) تزامن مع ظهور أسرة الهواشم في مكة المكرمة، ظهور السلاجقة في الدولة العباسية، الذين سعوا لإعادة هيبة المذاهب السنية بعد سيطرة الشيعة في كثير من ديار الإسلام، وخاصة في العصر البويهي .

---

(١) انظر: ابن جبير: الرحلة، ص ٦٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٧.

(٢) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٣ / ٩٤؛ السباعي: تاريخ مكة، ١ / ٢٣٦.

ج) ويسند هذا الرأي ما وجد من أقدم رسم إسلامي معروف للمسجد الحرام، والذي يعود تاريخه إلى نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وقد نقل من على جدار «مسجد إبراهيم»[1] الموجود بالموصل، ويظهر الرسم محاريب المقامات[2].

---

(١) بنى هذا المسجد الأمير إبراهيم بن قريش الجراحي، المعروف أيضاً باسم «أبو سليم العقيلي»، وهو آخر حكام أسرة العقيلي الذين حكموا الموصل من عام (٣٨١هـ / ٩٩١م) إلى عام (٣٨٦هـ / ١٠٩٣م) انظر: معراج بن نواب مرزا وآخر: الأطلس المصور لمكة المكرمة، ص ١٠.

(٢) انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص ١٠، انظر الملحقات، لوحة رقم (١).

الفصل الأول

أماكن المقامات في المسجد الحرام، ومصادر الإنفاق عليها

المبحث الأول: مواقع المقامات في المسجد الحرام وأوصافها وعمارتها

المبحث الثاني: دعم حكام الحجاز، والدولة العثمانية

المبحث الثالث: دعم الدول الإسلامية

المبحث الرابع: دعم سكان مكة المكرمة

المبحث الخامس: دعم الأوقاف للمقامات

المبحث الأول

مواقع المقامات في المسجد الحرام

المطلب الأول: مقام إبراهيم - عليه السلام - .

مقام إبراهيم عليه السلام آية من آيات الحق -سبحانه وتعالى- ومعجزة من معجزاته الباقية، خَلّد ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[1].

ويهمنا هنا دراسة مقام إبراهيم عليه السلام خلال الفترة من عام: ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، إلى ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، من الجوانب الآتية: موقعه وأبعاده في المسجد الحرام، وصفته ومقاسه، والاهتمام به.

أولاً: موقع المقام وأبعاده في المسجد الحرام:

تتفق المصادر التاريخية[2] على أن مقام إبراهيم عليه السلام يقع في فترة البحث شمال شرق الكعبة المشرفة، أمام بابها، بجوار بئر زمزم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) اختلفت آراء العلماء والمؤرخين والباحثين في موضع مقام إبراهيم عليه السلام قبل الإسلام وبعده؛ هل كان ملصقاً بالبيت في الجاهلية، ثم أخّره عمر رضي الله عنه إلى هذا الموضع، أو أنه في هذا الموضع من زمن إبراهيم عليه السلام، والرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا أن هذا الخلاف يقع خارج حدود البحث؛ فلا نحتاج إلى مناقشته والتوسّع فيه، كما أنه يحتاج إلى باحث متخصص ناقد للروايات.

وفي المقابل اتفقت الآراء على ثبات موضع المقام من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى اليوم في هذا الموضع. وتورد الروايات التاريخية حادثة "سيل أم نهشل" وهو أحد السيول العظيمة التي كانت تداهم المسجد الحرام، وكان في رمضان عام ١٧هـ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وصل إلى مكة المكرمة فزعاً عندما بلغه خبر اقتلاع السيل للمقام، فدخلها في رمضان معتمراً. وقد وجد الناس المقام بأسفل مكة المكرمة فحُمل ورُبط بستار الكعبة في وجهها؛ أي: الجهة الشرقية قريباً من الباب. فجمع عمر الناس، وقال: "أنشد الله عبداً عنده علم هذا المقام". فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي: "أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك؛ فقد كنت أخشى عليه هذا، فأخذت قدره من موضعه إلى الركن وإلى باب الحجر وإلى زمزم بمقاط وهو عندي في البيت". قال عمر رضي الله عنه "فاجلس عندي وأرسل إليها"، فأرسل المطلب فأتى بها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا، فسأل عمر الناس وشاورهم فقالوا: " هذا موضعه". وهو في مكانه إلى الآن.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة، ٢/٣٤-٣٥، والفاسي: شفاء الغرام،١/٢٧٤؛ وابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص ١٢٨، وابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص: ٣٦، والكردي: التاريخ القويم، ٣/٣٢٢.

ومع تنوع الروايات التاريخية إلا أنها متفقة على هذا الموضع، مع اختلافها في أبعاد المقام عن الكعبة المشرفة اختلافاً يسيراً حسب تنوع الأداة[1] المستخدمة في القياس، والمكان الذي أخذ منه[2].

فمن هذه الروايات على سبيل المثال :

ما ذكره الفاسي: (ت: ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) أنه قال: ((وذرع ما بين الركن الأسود إلى مقام إبراهيم عليه السلام تسعة وعشرون ذراعاً وتسع أصابع، وما بين شاذروان الكعبة إلى المقام ستة وعشرون ذراعاً ونصف، ومن الركن الشامي إلى المقام ثمانية وعشرون ذراعاً وسبع عشرة أصبعاً، ومن المقام إلى طرف بئر زمزم أربعة وعشرون ذراعاً وعشرون أصبعاً))[3].

كما أشار علي دده البوسنوي: (ت: ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م) إلى موضع المقام في زمنه، وذكر أنه مقابلٌ لباب الكعبة المشرفة[4].

---

(١) تنوعت أدوات القياس في العصور الإسلامية؛ ومن أبرزها :

- ذراع اليد؛ واعتبره باسلامة ٤٨ سنتمتراً.
- ذراع الحديد (ذراع القماش)؛ وهو ذراع القماش المستعمل في مصر، وهو أربعة وعشرون أصبعاً مضمومة سوى الإبهام بعدد حروف "لا إله إلا الله محمد رسول الله" والأصبع ست شعيرات، والشعيرات ست شعرات من شعر البغل، وقدره باسلامة ٥٦.٥ سنتمتراً.
- المتر يساوى ١٠٠ سنتمتر وهومقياس هذا العصر.

انظر: على دده البوسنوى: تمكين المقام، ص: ١٠٥، وباسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٥٦.

(٢) معظمهم يأخذ القياس من صدر الشباك الذى داخله المقام، والآخر يأخذه من داخل الشباك.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ٢٧٣/١.

(٤) البوسنوى: تمكين المقام، ص:١٠٥، والبوسنوي هو: الشيخ على دده البوسنوي المعروف بشيخ التربة، ولد ببلدة موستار من بلاد البوسنة، وقرأ العلوم ثم سلك الطريقة على الشيخ مصلح الدين الخلوتى،كلفه السلطان مراد الثالث بترميم مقام إبراهيم عليه السلام عام (١٠٠١هـ)، له عدة مؤلفات منها: تمكين المقام فى المسجد الحرام. توفى عام: (١٠٠٧ هـ/١٥٩٨م). انظر: الهيله: التاريخ والمؤرخون: ص:٢٥٨، البوسنوي: تمكين المقام، ص: ٦.

وفي عام: (١٢٢١هـ / ١٨٠٧م) أشار الرحالة علي باي العباسي في رحلته للحج إلى موضعه بأنه وسط الحائط الموجود فيه باب الكعبة. وأخذ بعده عن باب الكعبة بنحو أربع وثلاثين قدماً (ما يعادل: ١١ متراً و٢٢ سنتمتراً)[١].

وزيادة فى التأكيد على موضع مقام إبراهيم - في فترة البحث- نورد بعض الرسوم والصور للمسجد الحرام توضح موضعه شمال شرق الكعبه المشرفه؛ فمنها على سبيل المثال:

رسم للمسجد الحرام يعود الى أواخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى[٢].

رسم على البلاط، يوضح مقام إبراهيم عليه السلام يعود للعام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م[٣].

رسم للمسجد الحرام على البلاط -أيضاً- يعود للعام: ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م[٤]، ويلاحظ على هذا الرسم عدم الدقة، فقد وضع مقام إبراهيم خارج نطاق المطاف.

رسم منظوري عام (بانورامى) لمكة المكرمة، رسمه أحد الأتراك عام ١١٩٧هـ/ ١٧٧٨م، ثم نشره دوسون[٥] عام: ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧م[٦].

---

(١) التازي: رحلة الرحلات، ٢/٤٢٦، رحلة الشريف العباسي، والعباسى هو: الرحاله الأسبانى "دومنغو باديا ليبلخ" أطلق على نفسه علي باي العباسي، أعلن اعتناقة للإسلام، وزار مكة المكرمة حاجاً عام ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، قدم وصفاً دقيقاً ورسومات وخرائط لمكة والمسجد الحرام، وتوفي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. انظر: صالح بن مُحَمَّد السنيدي: رحالة إسباني، ص ١٩، مرزا وآخر : الأطلس، ص٣٠، التازي: رحلة الرحلات، ٢/٤١٩، رحلة الشريف العباسي.

(٢) مرزا وآخر: الأطلس، ص:١٤، ١٥، انظر الملحقات لوحة رقم (٢).

(٣) مرزا وآخر: الأطلس، ص:١٨، انظر الملحقات لوحة رقم (٣).

(٤) مرزا وآخر: الأطلس، ص:١٦. كما أخطأ الرسام فوضع المقام الحنبلي قريباً من المقام الحنفي، والشافعي مكان الحنبلي.

(٥) ولد دوسون في إسطنبول عام: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م، وهو من أصل أرمني، اشتغل مترجماً في القنصلية السويدية في إسطنبول، كان له نشاط سياسي للدفاع عن حقوق الأرمن في الدولة العثمانية، ألف كتابه: ((صورة عامة للإمبراطورية العثمانية))، توفي في باريس عام: ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص:١٩.

(٦) مرزا وآخر: الأطلس، ص:٢٠، الحارثي: الآثار الإسلامية، ص:٣٨.

رسومات الرحالة الأسباني "دومنغو باديا ليبلخ" الذى يعّد أول رحالة رسام أوربي زار البلاد المقدسة حاجاً عام: ١٢٢١هـ / ١٨٠٧م، قد تميز رسمه بالدقة[١].

الرسم الذي رسمته البعثة العسكرية العثمانية عام: ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، ويظهر فيه مقام إبراهيم[٢].

ومع أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ظهر الاهتمام بالتصوير الفوتوغرافي، فتوفرت لدينا أول صور للمسجد الحرام ومكة المكرمة، التقطها الضابط المصري محمد صادق[٣] عام: ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، كذلك الصور التي التقطتها البعثة العسكرية العثمانية[٤] في السنة نفسها.

ومن ضمن هذه الصور على سبيل المثال:

الصورة التي التقطها محمد صادق في موسم حج عام: ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م،[٥] وفي العام نفسه التقطت البعثة العسكرية العثمانية عدة صور للمسجد الحرام، يظهر فيها مقام إبراهيم عليه السلام[٦].

---

(١) صالح بن مُحَمَّد السنيدي: رحالة إسباني،ص ١٨١، مرزا وآخر: الأطلس، ص:٣٣، الحارثي: الآثار الإسلامية، ص:١٦٩. وقد أشار لمقام إبراهيم بالرقم: (١١) انظر: الملحقات رقم (٤).

(٢) مرزا وآخر: الأطلس، ص٨٢. وكانت هذه البعثة مكونة من ستة ضباط، زارت مكة المكرمة: ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، بهدف أخذ صور ورسوم للبقاع المقدسة. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص:٥٤.

(٣) ولد مُحَمَّد صادق عام: ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م، وتلقى تعليمه بمصر في المدرسة الحربية بالقاهرة، ثم سافر في بعثة إلى باريس، تقلب في مناصب عسكرية ومدنية حتى حاز رتبة لواء، قام بعدة رحلات للأماكن المقدسة لتحقيق بعض الأغراض العسكرية. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص:٥٥.

(٤) يؤكد مُحَمَّد صادق أنه التقى هذه البعثة. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص:٥٤. ولذا نجد الصور التي التقطها الفريقان – للمسجد الحرام- متشابهة إلى حد كبير، وتختلف في الزاوية التي أخذت منها الصورة ليس غير.

(٥) مرزا وآخر: الأطلس، ص: ٥٩.

(٦) مرزا وآخر: الأطلس، ص: ٧٥. انظر: الملحقات رقم (٥).

ومع مطلع القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، نشر الرحالة (سنوك) بعض الصور للمسجد الحرام، من تصوير السيد عبد الغفار[١]، توضح موقع مقام إبراهيم عليه السلام شمال شرق الكعبة المشرفة[٢].

وفي عام: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م ظهرت صور للمسجد الحرام التقطها مرزا[٣].

ومن الصور التي التقطت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ بداية العشرين الميلادي، صور التقطها محمود عرب قرلي[٤] عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م تظهر المسجد الحرام ومقام إبراهيم عليه السلام [٥].

مما تقدم من الروايات والرسومات والصور الفوتوغرافية التي التقطت للمسجد الحرام يظهر بشكل قاطع أن موقع مقام إبراهيم عليه السلام يقع شمال شرق الكعبة المشرفة – في فترة البحث– وهو في هذا الموضع لم يتغير إلى اليوم.

ثانياً: صفة المقام:

ويهمنا في هذا الجانب دراسة صفة حجر المقام، ومقاسه، ولونه. وتكاد تتفق الروايات على صفته –في زمن البحث وقبله– فهو آية من آيات الله تعالى، تولى الله حفظه إلى يوم القيامة.

فتجمع الروايات على أن الحجر رخو من نوع حجر الماء، ولم يكن من حجر الصوان، فهو ليس صلباً، كما أنه مربع، ويميل لونه إلى البياض، وقد وصفه الأزرقي

---

(١) هو السيد عبد الغفار بن عبد الرحمن بن عبد الغفار بغدادي، أول مصور مكي ١٣٠٢–١٣١٨هـ/١٨٨٥–١٩٠٠م اشتهر بالتصوير، فمعظم الصور التي نشرها المستشرق سنوك هي من عمل السيد عبد الغفار. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص ص ٨٨–٨٩.

(٢) مرزا وآخر: الأطلس، ص: ٩٩. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٦).

(٣) مرزا وآخر: الأطلس، ص: ١١١. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٧).

(٤) محمود حمدي عرب قرلي، من الأتراك المقيمين بمكة المكرمة، اشتهر كرسام، ومارس التصوير الفوتوغرافي حتى عام ١٣٤٣هـ، وتوفي بعد بضع سنوات في مدينة الطائف. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ١٣٧.

(٥) مرزا وآخر: الأطلس، ص ١٣٨، الحارثي: الآثار الإسلامية، ص:٥٦. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٨).

(ت: ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م) بقوله: ((وذرع المقام ذراع، والمقام مربع سعة أعلاه أربع عشرة أصبعاً في أربع عشرة أصبعاً))(١)، وقد ((انثلم لرخاوة حجره))(٢).

أما القاضي عز الدين بن جماعة – الذي كان مجاوراً بمكة عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م – فيقول: ((وأعلى المقام مربع كل جهة ثلاثة أرباع الذراع، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط))(٣).

كما وصفه الباحث المعاصر الشيخ باسلامة، بقوله: ((وهو حجر رخو، من نوع حجر الماء، ولم يكن من حجر الصوان، وهو مربع على وجه الإجمال))(٤).

كما قال –أيضاً– ((ومساحته ذراع يد في ذراع يد، طولاً، وعرضاً، وارتفاعاً، أو نحو خمسين سنتيمتر في مثلها طولاً، وعرضاً، وارتفاعاً، وفي وسطه أثر قدمي إبراهيم الخليل عليه السلام وهي حفرتان على شكل بيضوي مستطيل قد حفرهما الناس بمسح الأيدي ووضع ماء زمزم فيهما))(٥).

أما لون المقام، فقد أشار محمد المحجوب في كتابه (قرة العينين) إلى أنه يميل إلى البياض، وقال: ((ليس به لون خضرة ولا دكنة ولكنه يضرب ببياضه إلى الحمرة فهو أصهب اللون))(٦).

وفي عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م يصف ابن بشر مقام إبراهيم عليه السلام عندما حج مع الإمام سعود بن عبدالعزيز، وكشف سعود القبة التي فوق صخرة المقام، وصارت الصخرة والقدمان بارزتين، فرآها الناس ورآها ابن بشر وأكد على صفاتها السابق

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ٣٨/٢، وانظر: ابن الضياء: تاريخ مكة، ص: ١٣١، وابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص: ٣٥، وأشموني وآخرون: مكة المكرمة، ص: ١٢٣.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ٣٧/٢.

(٣) وذرع ابن جماعة بذراع القماش المستعمل في مصر.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٥١.

(٥) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٥٢.

(٦) مُحَمَّد المحجوب: قرة العينين، (مخطوط)، دارة الملك عبد العزيز، تحت رقم ٧٣٩، ص ٢٢.

ذكرها؛ أنها بيضاء، مربعة الرأس، طولها نحو ذراع وعليها سبيكة صفراء مستديرة بالصخرة. مكتوب في السبيكة ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(١)] (النحل : الآية ١٢٠-١٢٣).

وزاد باسلامه في وصف المقام ولونه، بقوله: ((وقد رأيت حجر المقام بعيني سنة ١٣٣٢هـ، فوجدته مصفحاً بالفضة وهو موضوع على قاعدة، وشكله مربع كما وصفته، ولونه بين البياض والسواد، والصفرة، ورأيت أثر القدمين))[(٢)].

وتتعدد الروايات عند باسلامة التي تشير إلى أن لون المقام أبيض[(٣)].

قبة المقام وكسوته:

على المقام صندوق من خشب عالٍ وثابت على أربعة أعمدة من حجارة منحوتة، وعلى الصندوق قفص من حديد محيط به من الأربع الجهات، وفوقه قبة منقوشة مزخرفة من باطنها، ومما يلي السماء مبيضة بالنورة[(٤)]، ومن شرقيه باب من حديد بدرفتين يُفتح ويُدخل منه إلى المحل ثم إلى الصندوق، وعلى الصندوق كسوة من نفس مواصفات كسوة الكعبة المشرفة، ونقشت عليها آيات من القرآن الكريم الخاصة بالمقام،

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد، ٢٦٢/١، وانظر: الأزرقي: أخبار مكة، ٣٨/٢، هامش رقم (٨)، وابن بشر شاهد عيان لمقام إبراهيم عليه السلام.

الإمام سعود: هو سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولد بالدرعية سنة ١١٦١هـ /١٧٤٨م، تولى الحكم خلفاً لوالده سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، يلقب بسعود الكبير تساع الدولة في عهده، توفي سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٩).

(٢) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ١٥٢، فهو شاهد عيان لمقام إبراهيم عليه السلام. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٩، ١٠).

(٣) باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ص٧٧، ١١٥، ١٤٥.

(٤) النورة: الحجر الجيري.

تستبدل كلما بليت. وقبة المقام مثبتة في الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع أحد قلعها. والمصلى الذي خلف المقام -مصلى الشافعي- عليه مظلة قائمة على أربعة أعمدة، منها عمودان من أعمدة القبة لاتصالها بها، والمظلة مزخرف سقفها من الباطن بالذهب(١).

وطول المقام من أول الشباك إلى آخر العمود منه عشرة أذرع إلا ربع ذراع(٢).

ومن الدراسات المعاصرة التي تناولت مقام إبراهيم عليه السلام وتميزت بالدقة والشمولية واستخدام أداة قياس المتر، ما قام به الشيخ محمد طاهر الكردي (ت: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، حيث قام بدراسة للمقام في سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، وذكر معلومات دقيقة، منها:

أن حجر المقام مثبت فوق قاعدة صغيرة من الرخام بقدر قياس المقام، وارتفاعها ١٣ سنتمتراً، وقد استمسك المقام على القاعدة بواسطة الفضة التي تحيط به، والقاعدة مثبتة على قاعدة كبيرة طول ضلعها من جميع الجهات متر واحد، وارتفاعها ٣٦ سنتمتراً، ولون الرخامتين أبيض، ويحيط بالقاعدة صندوق من خشب كهيئة الهرم، ملبس بصفائح الفضة، وباب الصندوق من الجهة الشرقية، ومكتوب في الجهة الشرقية، ما يأتي: بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(٣)، وباب الصندوق

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ٢٧٦/١، القطبي: إعلام العلماء، ص ص١٤٣،١٤٤، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٥٨. انظر: الملحقات، لوحة رقم (١١، ١٢).
ويرجح الفاسي أن أول من بنى قبة الحديد التي في جوفها المقام هو الملك المسعود صاحب اليمن ومكة، كما يرجح أن أحدث تجديد لقبة المقام كان عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م زمن دولة المماليك.

(٢) القطبي: إعلام العلماء، ص ١٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٦-٩٧.

مصفح بالفضة من الظاهر، وهذا الصندوق مغطى بكسوة من الحرير مكتوب فيها بعض آيات قرآنية[(١)].

ويمكن أن نلخص المقاسات التي ذكرها الكردي في الجدول الآتي:

ارتفاع حجر المقام	طول ثلاثة أضلاعه من أعلاه	طول الضلع الرابع	مقدار المحيط من أعلاه	مقدار المحيط من القاعدة	مقدار عمق أحد القدمين	مقدار عمق القدم الآخر
٢٠ سم	٣٦ سم	٣٨ سم	١٤٦ سم	١٤٨ سم	١٠ سم	٩ سم

ثالثاً: الاهتمام بالمقام:

لقد كان مقام إبراهيم عليه السلام محل عناية قبل الإسلام، وفي الإسلام اعتنى به خلفاء المسلمين على مر العصور، وفي العصر العثماني أولاه السلاطين العثمانيون عناية كبيرة، فبرز الاهتمام به في ترميم القبة وعمارتها وزخرفتها، دون التعرض لحجر المقام إلا فيما ندر، ونعرض فيما يلي قائمة بأهم الترميمات والإصلاحات التي حدثت للمقام، كما يلي:

في عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م أمر السلطان سليمان القانوني[(٢)] بتجديد مقصورته[(٣)].

وفي عام ١٠٠١هـ/ ١٥٩٤م قام الشيخ علي البوسنوي -بأمر من السلطان مراد الثالث[(٤)]- بتغيير سقف المقام واستبدال الخشب الذي أكلته الأرضة بخشب الساج[(٥)].

---

(١) الكردي: التاريخ القويم، ٣/٣٠٩، ٣١٠، الكردي: مقام إبراهيم، ص ص٢٠٠،٢٠١، مُحَمَّد الياس عبد الغني: تاريخ مكة المكرمة، ص ٧٥. ويذكر الكردي أنه كتب هذه الآيات القرآنية سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٩، ١٠، ١١).

(٢) هو السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني، ولد سنة (٩٠٠هـ /١٤٩٥م)، اشتهر بالقانوني لما وضعه من الأنظمة الداخلية في كافة فروع الحكومة، توفي سنة (٩٧٤هـ/١٥٦٦م).
انظر: مُحَمَّد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ص ١٩٨، ٢٥١.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ٥/٥٣٢، الحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٣٥.

(٤) هو السلطان الغازي مراد خان الثالث، ولد بالقسطنطينية سنة (٩٥٣هـ /١٥٤٦م)، ومن أعماله محاربة العجم ودخول العثمانيين مدينة تبريز، توفي سنة (١٠٠٣هـ/١٥٩٥م). انظر: مُحَمَّد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ص ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٦.

(٥) السنجاري: منائح الكرم، ٥/٥٤٩، القطبي: إعلام العلماء، ض ١٣٣، البوسنوي: تمكين المقام، ص ١٠٤ وما بعدها، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٥٩، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤. والبوسنوي شاهد عيان على إصلاح المقام.

وفي عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م أبدلت أخشاب رثت من باب المقام، كما تم دهان الأخشاب التي بين الشبابيك[١].

وفي عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م أُصلح سقف المقام بأمر من السلطان مراد الرابع[٢]. وفي عام ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م جددت قبة المقام[٣]. وفي عام ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م عمّر الآغا[٤]، محمد كزلار[٥] السلطان محمد بن إبراهيم خان[٦]، قبة المقام، وعمل بعض التجديدات حيث تم تذهيبها وتلوينها بألوان متنوعة[٧].

وفي عام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م وبعد السيل الذي داهم مكة المكرمة، جددت الصباغات والنقوش التي محاها السيل في المقام[٨].

وفي عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م جدد رفرف[٩] المقام لخلل وقع فيه[١٠].

وفي عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م جدد والي الحجاز إبراهيم بيك المقام، حيث نقضه وجدده وبنى حوله بالرخام والنورة، وجدد ما كان محتوياً على موضع قدم إبراهيم عليه السلام بالفضة المطلية بالذهب، وصب الرصاص بين الفضة والحجر لإحكام أحجار موضع

---

(١) ابن علان: إنباء المؤيد، ص ٤٠٠، باسلامة: تاريخ الكعبة، ص ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) رفعت: مرآة الحرمين، ١/٢٤٥، أشموني وآخرون: مكة المكرمة، ص ١٢٥. مراد الرابع: هو السلطان مراد خان الرابع بن أحمد الأول، ولد سنة ١٠١٨هـ/١٦٠٩م، توفي سنة ١٠٤٩هـ/١٦٤٠م. انظر: مُحَمَّد فريد بك: تاريخ الدوله العلية، ص ص٢٨٠، ٢٨٥.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ٤/٢٢٦، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤.

(٤) الآغا: بمعنى السيد أو الرئيس أو الموظف الكبير. انظر: السنجاري: منائح الكرم، ٥/٦٩.

(٥) الكز□ر أو قز□ر: المقصود به آغا البنات. السنجاري: منائح الكرم، ٤/٢٢٥.

(٦) هو السلطان مُحَمَّد الرابع بن إبراهيم، ولد سنة ١٠٥١هـ/١٦٤٢م، خلعه الجيش سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م. انظر: مُحَمَّد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ص ٢٨٩، ٣٠٤.

(٧) السنجاري: منائح الكرم، ٥/٤٤،٤٥، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤.

(٨) التازي: رحلة الرحلات، ١/٢١١، رحلة العياشي، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧١.

(٩) الرفرف: هو بروز خشبي أعلى مقصورة المقام، للوقاية من المطر أو أشعة الشمس. انظر: الصباغ: تحصيل المرام، ص ٣٦٣، حاشية رقم (٣).

(١٠) السنجاري: منائح الكرم، ٥/٤٤، ٤٥، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤.

القدم، علاوة على تغيير القبة بأخشاب الساج، ورمموا الفضة التي كانت مصفحة بها، فضلاً عن تذهيبها وتلوينها[1].

وفي أواخر سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، غيّر المعمار محمد أفندي صندوق حجر المقام ووضع بدلاً منه خشباً جديداً، وجلى صفائحه الأولى ثم أعادها[2].

وفي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، كان اهتمام الإمام سعود بن عبد العزيز بالمقام خلاف اهتمام السلاطين العثمانيين، حيث كشف قبة المقام حتى رأى الناس الصخرة والقدمين[3]. ويرجح المؤرخ الكردي أن الإمام سعود لم يهدم مقصورة المقام كلها ولم يتعرض للشبابيك الحديدية، وإنما أزال القبة وسقف المقام، ورفع الستارة والتابوت الخشبي الذي فوق حجر المقام[4].

وفي سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م في عهد السلطان عبد العزيز خان[5] زيد في ارتفاع قبة المقام بمقدار ذراع ونصف ذراع، وسقفه من جديد، وذلك لأن السقف القديم كان واطئاً، بحيث إذا طاف أحد الطائفين من ذوي القامات الطويلة ربما اصطدم رأسه بالقناديل المعلقة برفرف المقام[6].

ويذكر الكردي في موضع آخر أن هذا الترميم للمقام حدث عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، بناءً على القطعة الخشبية التي وجدت في المقام تشير إلى هذا الترميم[7].

---

(١) السباعي: تاريخ مكة، ص ٥٤٥، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤، بيومي: مخصصات الحرمين، ص٢٩٥، وقد ذكر بيومي هذا التجديد في أحداث سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م.

(٢) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤، الحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٣٥.

(٣) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ٢٦٢/١.

(٤) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٥.

(٥) هو السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني، تولى السلطنة سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦١م، وتم عزله سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م. انظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ٢٨٧.

(٦) الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٣/١، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤.

(٧) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٨٤ وما بعدها.

وهذا الاختلاف في تاريخ الترميم عند الكردي يعود إلى أن ابتداء ترميم المقامات كان في ١٠ ذي القعدة سنة ١٢٨٠هـ بترميم الحنبلي ثم المالكي، وانتهى في صفر سنة ١٢٨١هـ بترميم مقام إبراهيم. انظر: الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٣/١.

وفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، أمر السلطان عبد الحميد[1] بترميم المسجد الحرام وتجديده، وشمل هذا الترميم مقام إبراهيم، فدهنوا أخشابه باللون الأخضر[2].

وكان هذا الترميم هو آخر ترميم لمقام إبراهيم حتى نهاية فترة البحث. ومع قدوم الملك عبد العزيز –رحمه الله– إلى الحجاز أولى المسجد الحرام عناية كبيرة، فتمت عمارته سنة ١٣٤٤هـ، وسنة ١٣٤٦هـ، وجددت صباغات مقام إبراهيم باللون الأخضر، وانتظمت الترميمات والإصلاحات قبل مواسم الحج.

---

(١) هو السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد الأول بن محمد الثاني، تولى السلطنة سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وأجبر على التخلي عن الحكم سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. انظر: د. آمال رمضان: الحياة العلمية في مكة، ص ٣٥.

(٢) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧٧. وباسلامة شاهد عيان على هذا الترميم.

المطلب الثاني: مقامات الأئمة الأربعة

نتعرض فيما يلي إلى مواضع المقامات في المسجد الحرام والمسافة بينها وبين الكعبة وصفتها ومساحتها والاهتمام بها كل مقام على حدة، مما أمكننا جمعه من المصادر التاريخية المهتمة بتاريخ مكة والحرم الشريف. وقد رُتّبت المقامات حسب تاريخ نشأة مذاهب الأئمة الأربعة: الحنفي، ثم المالكي، ثم الشافعي، ثم الحنبلي .

أولاً: المقام الحنفي:

أ- موضع المقام الحنفي:

تتفق النصوص التاريخية على أن المقام الحنفي – في فترة البحث وقبله – يقع بين الركنين الشامي والغربي تجاه جدار الكعبة الذي فيه الميزاب قريباً من حاشية المطاف . وهو الموضع الذي ذكره الفاسي (ت: ٨٣٢هـ / ١٤٢٩ م) بقوله: ((والحنفي بين الركنين الشامي والغربي))[١]، وأشار إلى هذا الموضع ابن الصباح[٢] في رحلته في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في رسمه للكعبة الذي تضمن المقام الحنفي[٣]، ثم تتابعت النصوص التاريخية والخرائط مؤكدة استمرار المقام الحنفي في موضعه خلال مدة الدراسة؛ فعلى سبيل المثال:

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام ، ١/٣٢٤.

(٢) هو الرحالة الأندلسي الحاج عبد الله بن الصباح، □ يُعرف عنه الكثير إ□ أنه يؤكد بأنه يمني الأصل من ذرية أبرهة بن الصباح، كما يظهر أنه من المدجنين الذين أخذت اللغة العربية تغيب عنهم، □ يعرف متى كانت رحلته للحج، ويبدو لمن تتبع مراحلها أنها في القرن التاسع الهجري. انظر: التازي: رحلة الرحلات، ١/١٦٥.

(٣) التازي: رحلة الرحلات، ١/١٦٩، رحلة ابن الصباح، ويلاحظ في رحلة ابن الصباح عدم الدقة في الرسم.

ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) في كتابه "الجامع اللطيف"[١]، وعلي الطبري (ت: ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م) في "الأرج المسكي"[٢]، ورحلة الأميرة خُناثة[٣] عام (١١٤٣هـ/ ١٧٣١م)[٤]، ورحلات الأمير عبد السلام[٥] (ت ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م).

والخريطة التي رسمها الرحالة جون لويس بوركهارت John Lewis Burchardt عندما زار مكة المكرمة عام: (١٢٢٩هـ / ١٨١٤م)[٦]، والرحالة العلمي الوزاني عام: (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢ م)[٧]، والخريطة التي رسمتها هيئة أركان الحرب العثمانية عام: (١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م)[٨]، وخريطة مكة المكرمة التي رسمها الرحالة سنوك هورخرونيه عام: (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م)[٩]، وكذلك رحلة دِنْيَة الرباطي عام: (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)[١٠]، ثم يسجل لنا الكاتب المعاصر باسلامة في "تاريخ عمارة

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص١٩١. وهو شاهد عيان على عصره.

(٢) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ص ٧١– ٧٣.

(٣) هي الأميرة خناثة بنت بكار زوجة السلطان إسماعيل مؤسس الدولة العلوية، من الأميرات العالمات، قامت بحجتها هذه سنة: ١١٤٣ هـ /١٧٣١م، توفيت بفاس سنة: ١١٥٥ هـ /١٧٤٢م. انظر: التازي: رحلة الرحلات، ٢٩١/١.

(٤) التازي: رحلة الرحلات، ١ /٣٠٠، رحلة الأميرة خناثة.

(٥) هو الأمير الضرير عبد السلام بن مُحَمَّد بن عبد الله، قام بعدة حجات، وحمل في آخرها مبالغ ضخمة من المال إلى السادات أشراف مكة والمدينة. انظر: التازي: رحلة الرحلات، ٢/ ٤٣٩، ٤٤١.

(٦) هو رحاله سويسري، ولد عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م، سافر إلى بريطانيا ثم إلى حلب وبها تعلم العربية ودرس القرآن والفقه الإسلام ، وأعلن إسلامه وتسمى بإبراهيم بن عبد الله ، دخل مكة المكرمة عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، ثم غادرها إلى القاهرة، وبها توفي عام ١٢٣٢هـ/١٨١٧م. انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص ٤٠.

(٧) هو أحمد بن العربي بن حنيني الحسني المعروف بابن حسون، رحل إلى مكة المكرمة سنة: ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م، لا يُعرف تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً بعد سنة: ١٢٨٠هـ /١٨٦٤م، انظر: التازي، رحلة الرحلات، ٢ /٥٢١،٥١٧.

(٨) الحارثي: الآثار الإسلامية، ص ٤٧.

(٩) سنوك: صفحات،٦٥٦/٢.

(١٠) هو مُحَمَّد بن علي بن أحمد دنية الأندلسي الرباطي، رحل إلى مكة المكرمة للحج سنة: ١٣٢٧هـ /١٩٠٩م، توفي سنة: ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، تاركاً عدداً من المؤلفات . انظر: التازي: رحلة الرحلات، ٥٩١/٢، ٥٩٤.

المسجد الحرام" موقع المقام الحنفي بقوله: ((وأما المقام الحنفي فهو واقع في الجهة الشمالية قريب من حاشية المطاف، مقابل لميزاب الكعبة وحجر إسماعيل))[١]؛ بالإضافة للصور الفوتوغرافية التي التقطت لمكة المكرمة عام (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)[٢] وما بعدها. فهذه المصادر على تنوعها تتفق على أن المقام الحنفي استمر في موضعه، ولم يتغير حتى إزالته بعد إلغاء المقامات في العهد السعودي.

مسافة المقام الحنفي عن الكعبة المشرفة :

يذكر الفاسي: (ت: ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩م) بأن المقام الحنفي يقع على بعد اثنين وثلاثين ذراعاً إلا سدسَ ذراعٍ[٣]. وأخذ المؤرخ الكردي المسافة بين جدار حجر إسماعيل ودائرة المطاف بمقياس المتر فبلغ ١٢ متراً[٤].

ب- صفة المقام الحنفي:

يمكننا القول أن صفة المقام الحنفي تغيرت عدة مرات تبعاً لمراحل التعمير التي مر بها، كما يأتي:

الصفة الأولى[٥]: في السنة الأولى من فترة البحث كان المقام عبارة عن أربعة أساطين من حجارة، وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخم، ومن أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق، ولا أثر لها من داخل المقام، ومفروش فيه حجارة حمراء تقرب من حجر الماء[٦].

---

(١) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٩.

(٢) وهي عديدة . انظر: الحارثي: الآثار الإسلامية، ص ص٥٦، ٥٨.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام،١/٣٢٤. والفاسي شاهد عيان حيث حُرر ذلك بحضوره، والذراع المحرر به هو ذراع الحديد.

(٤) الكردي: مقام إبراهيم، ص ١١٠.

(٥) كانت عمارة هذه الصفة سنة ٨٢٦هـ/١٤٣٣م، وقام بها الأمير سودون المحمدي.

(٦) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٧، علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٢.

قال ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م): ((وقد أدركته وهو على هذه الصفة، واستمر كذلك إلى عام أربعة وعشرين وتسعمائه))[١].

الصفة الثانية: في عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، زمن السلطان سليم[٢]،هدمت القبة الأولى وجعل قبة كبيرة شامخة على أربعة بتر عراض جداً بأربعة عقود، وزيد في طوله وعرضه[٣]. واستمرت هذه القبة خمساً وعشرين سنة.

الصفة الثالثة: في عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م، أمر السلطان سليمان القانوني بهدم هذه القبة لشموخها وأخذها جانباً من المسجد الحرام، فهدمت وجعلت أربع بتر في الجوانب الأربعة، وستة أعمدة، وعلى ذلك عشرة عقود، وفوق ذلك سقف مزخرف من خشب الساج[٤]، وفوق هذا السقف طاقة للمبلغين بأربعة بتر وست أعمدة، وعليها سقف مزخرف، وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص من جهة السماء لدفع المطر، وفي أرض السقف الأول طاقة في وسطه يرى المبلغون منها أفعال الإمام، وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ إلى أعلى[٥].

واستمر المقام الحنفي على هذه الصفة إلى نهاية فترة البحث، حتى أزيل مع إزالة المقامات في توسعة المسجد الحرام.

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٧.

(٢) هو السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني، تولى الحكم بعد والده سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، كانت مدة حكمه ست سنوات، توفي سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م. محمد علي بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٦٤.

(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٧، النهروالي: الإعلام، ص ص ٢٩٧، ٢٩٨، علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٢، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٤٩/١.

(٤) خشب الساج: هو نوع قوي من الأخشاب، لا يدخل فيه السوس ولا يأكله التراب. الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٨٥.

(٥) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٨، النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٨، على الطبري: الأرج المسكي، ص ص ١٧٢، ١٧٣، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٤٩/١. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٧).

مساحة المقام الحنفي :

أما مساحة المقام الحنفي؛ ففي أول عمارة للعثمانيين عام: ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م زيد في مساحته على البناء القديم بذراعين، قال جار الله ابن فهد: ((وجعل المقام خمسة عشر ذراعاً في خمسة عشر ذراعاً مربعاً))[١].

وذكر باسلامة[٢] مساحته بمقياس المتر على النحو الآتي :

الجهة	المقياس بالمتر		الإيضاح
	س	م	
من الشرق إلى الغرب	٤٠	٨	ثمانية أمتار وأربعون سنتمتراً
من الشمال إلى الجنوب	٦٠	٥	خمسة أمتار وستون سنتمتراً

ج- الاهتمام بالمقام الحنفي:

اهتم العثمانيون بالمقام الحنفي أكثر من اهتمامهم بالمقامات الأخرى (المالكي والشافعي والحنبلي)، فاهتموا بفخامته وتعميره لأن الدولة العثمانية على المذهب الحنفي، ثم يأتي المقام الشافعي في المرتبة التالية من حيث الاهتمام، بينما المقام المالكي والحنبلي فقد كانا أقل اهتمام. ومما يدل على ذلك أنه في السنة الأولى من دخول الحجاز تحت حكمهم بادروا في تجديد عمارته وتفخيمه وزيادة مساحته، وترميمه باستمرار؛ كما يأتي:

العمارة الأولى:

حدثت سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، بأمر من السلطان سليم الأول، بواسطة الأمير مصلح الدين بك الذي عقد مجلساً حضره القضاة الأربعة والأئمة والعلماء والأعيان، وسعى في إقناعهم بأن الإمام أبي حنيفة –رحمه الله- جدير بأن يكون له في المسجد الحرام مقامٌ أوسع من هذا المقام. وبالرغم من إنكار العلماء وعدم موافقتهم له على هذا الرأي، إلا أن الأمير وجد من بعض قضاة الحنفية من أفتى بجواز ذلك. فشرع الأمير في هدم

(١) ابن فهد: نيل المنى، ١/ ٤٢.

(٢) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٧.

المقام القديم، ووسع مكانه، وعمل فيه قبة عالية من الحجر الأصفر والأحمر الشميسي[1]، وصرف على ذلك ذهباً كثيراً[2].

ويلحظ على أحداث هذه العمارة؛ ما يلي:

١- تأثير العامل السياسي في تعمير المقامات، والاهتمام بالمقام الحنفي أكثر من سائر المقامات.

٢- تباين موقف العلماء في انكار بناء المقامات وتجديدها. فبعضهم شدد في الإنكار وبعضهم أنكر دون أن يكتب رأيه في ذلك، والبعض أحضر فتوى قديمة بالجواز.

٣- استمرار هذه العمارة عشرة أشهر تقريباً، وصرف كثير من الذهب، يدل على اهتمام العثمانيين بتعمير المقام الحنفي وتفخيمه.

٤- كما يظهر في هذه العمارة التنافس بين الأحناف والشافعية، بحرص الأمير على تقدم محراب المقام الحنفي إلى وسط حاشية المطاف ليقطع الصف الأول من الصلاة خلف إمام الشافعية. قال جار الله ابن فهد: ((وفي يوم الخميس...، بني محرابه أمام القبة ملاصق حاشية المطاف، بناءً غير متقن، على نية هدمه وتقدمته إلى وسط الحاشية ليقطع به الصف الأول من الصلاة خلف إمام الشافعية))[3].

---

(١) الشميسي: نسبة إلى الجبل الواقع بقرب بئر شمس عند الحديبية، وهي حد الحرم من الجهة الغربية بين مكة وجدة. باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٨٧ .

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ٤١/١، وما بعدها، النهروالي: الإعلام، ص ص ٢٩٧، ٢٩٨، الصباغ: تحصيل المرام، ٢٣٧/١، ٢٣٨، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٤٩/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٤، ٢٣٥، الكردي: التاريخ القويم، ٩٢/٣، ٩٣، وابن فهد شاهد عيان لأحداث مكة في ذلك العصر.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ٧٥/١، ٧٦.

العمارة الثانية:

حدثت سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م، وتمت بعد العمارة الأولى بخمسة وعشرين سنة تقريباً، بأمر السلطان سليمان القانوني، على يد نائب جدة الأمير خشقلدي[١]، وكان بناءً عظيماً مربعاً ذا طبقتين، الطبقة الأولى للإمام والمصلين والطبقة الأخرى للمبلغين، على الصفة التي مر ذكرها[٢].

وقد وصف ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) هذه العمارة بقوله: ((ثم شرع- الأمير خشقلدي – في بناء مقام عظيم))[٣].

وبعد هذا التاريخ لم تجر إعادة بناء للمقام الحنفي، وإنما استمرت الترميمات والتجديدات والإصلاحات، وظهرت عناية السلاطين والأمراء واهتمامهم بالمقام الحنفي على ما يأتي:

في سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٧م رخم المقام[٤]، كما رخم المقام ومحرابه سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م[٥]. وفي سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م رممت المقامات الأربع بالحرم المكي[٦]. وفي سنة ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م رخم أرض المقام[٧]. وفي سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م

---

(١) هو الأمير خشقلدي الظاهري برقوق، وهو خازندار في الدولة المملوكية، أصبح نائب جدة. انظر: أشموني وآخرون: مكة المكرمة، ١/ ٢٣٠.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٨، علي الطبري: الأرج المسكي، ص ص ١٧٢، ١٧٣، رفعت: مرآة الحرمين، ١/ ٢٤٩، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٥، ٢٣٦، الكردي: التاريخ القويم، ٩٣/٣. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٧).

(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٨.

(٤) رفعت: مرآة الحرمين، ٢٤٩/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٦.

(٥) السنجاري: منائح الكرم، ٥٢٠/٣، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٤٩/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٦، ابن حميد: تاريخ أمة، ١٨٤/١.

(٦) السنجاري: منائح الكرم، ٥٣٥/٣. وقد ذكر باسلامة هذا الترميم في أحداث سنة ١٠١٥هـ/١٦٠٦م. انظر: باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧١.

(٧) السنجاري: منائح الكرم، ٥٧٣/٣، ابن حميد: تاريخ أمة، ١٨٤/١.

نقشوا المقامات[1]، وفي سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م بنى سليمان بك[2] المقام الحنفي بالحجر الصوان المنحوت، وبالحجر الأصفر، وصفح أعلى سقفه بالرصاص المطلي بالذهب، وجعل عليه رصافتين[3] طليتا بالذهب، كما جعل أمامه أربع رصافيات، ونقش نقوشاً جميلة[4].

وفي سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م، تم تجديد الصباغات والنقوش في المقامات بعد السيل[5]. كما تم تجديد المقام الحنفي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م[6]. وفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، أمر السلطان عبد الحميد بترميم المسجد الحرام وتجديده واستمر ذلك نحو سنة، وشمل هذا الترميم المقامات فدهنوا أخشابها باللون الأخضر[7].

ومما سبق يتضح اهتمام العثمانيين – سلاطين وأمراء – بالمقام الحنفي، بتعميره وتجديده والعناية به أكثر من المقامات الأخرى. فيعتبر المقام الحنفي أكبر المقامات وأعظمها، لأن الدولة العثمانية على المذهب الحنفي.

ثانياً: المقام المالكي:

أ- موضع المقام المالكي:

موضعه جنوب غرب الكعبة المشرفة بين الركنين الغربي واليماني قريب من الحاشية – خلال فترة الدراسة وما قبلها- كما أوضحت ذلك المصادر التاريخية على

---

(١) الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٠/١.

(٢) هو سليمان بك والي جدة، وشيخ الحرم، وناظر عمارتة. انظر: باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٦.

(٣) الرصاف: الحجارة المرصوفة، والواحدة رصفة. انظر: السنجاري: منائح الكرم، ٢٢٦/٤.

(٤) السنجاري: منائح الكرم، ٢٢٦/٤،٢٢٥، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٦، ٢٧١، ابن حميد: تاريخ أمة، ١٨٤/١ .

(٥) التازي: رحلة الرحلات، ٢١١/١، رحلة العياشي.

(٦) الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٣/١، وانظر: باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٧.

(٧) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧٧. وباسلامة شاهد عيان على هذا الترميم.

تنوعها من نصوص تاريخية[١]، وكتب رحلات[٢]، علاوة على الخرائط[٣] والصور الفوتوغرافية[٤] التي التقطت لمكة المكرمة، ولم أجد ما يخالف ذلك.

- **أما ذرع ما بين المقام المالكي والكعبة المشرفة:**

فإن من جدار محرابه إلى وسط جدار الكعبة على الاستواء: سبعةً وثلاثين ذراعاً وثلثي ذراعٍ[٥]، وما بين شاذروان الكعبة إلى دائرة المطاف ١٥.٨٠م خمسة عشر متراً وثمانون سنتمتر[٦].

ب- صفة المقام المالكي:

تحدثت المصادر عن صفتين للمقام المالكي خلال فترة البحث.

الصفة الأولى:

يتكون من بترتين عليهما عقد وفي أعلاه نحو ثلاث شراريف، وبين البترتين من أسفل جدارٌ فيه محراب[٧].

---

(١) انظر: ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص١٩١، علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٣، الصباغ: تحصيل المرام، ٤٠١/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٩، السنجاري: منائح الكرم ،٣ /٢٦٣، الصبحي: وسام الكرم، ص ٣٩.

(٢) انظر: التازي: رحلة الرحلات،٣٠٠/١، رحلة الأميرة خناثة عام: (١١٤٣هـ / ١٧٣١م)، التازي: رحلة الرحلات،٤٤١/٢، رحلات الأمير عبد السلام، التازي: رحلة الرحلات،٥٢١/٢، رحلة العلمي الوزاني عام: (١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م)، سنوك: صفحات،٨٦/١.

(٣) انظر: الكردي: التاريخ القويم، م/٢، منظر رقم: (١٢٨)، البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٥٣، الحارثي: أعمال الملك عبد العزيز، ص٢٨، لوحة رقم: (٦)، فيسي وغرانت: المملكة العربية، ص ٣٠.

(٤) انظر: مرزا وآخر: الأطلس، ص ص ٥٩، ٧٥، ٩٩، ١١١، ١٣٨.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام ،٣٢٤/١، علي الطبري: الأرج المسكي ، ص ١٧٢، الصباغ: تحصيل المرام، ص٤٠١.

(٦) الكردي: مقام إبراهيم ، ص ١١٠.

(٧) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٢٣/١، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٥٠/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٨، الصبحي: وسام الكرم، ص ٤٠.

وهذه الصفة يشترك فيها مقاما المالكي والحنبلي، وكانت بداية هذه العمارة على هذه الصفة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، ثم غيرا على الصفة الأخرى بعد سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م.

قال ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٨٧م): ((وأما مقام المالكي والحنبلي فقد ادركتهما كذلك ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة))[١].

الصفة الأخرى:

يتكون من أربعة أعمدة مثمنة الشكل، كل عمود قطعة واحدة من الحجر الصوان، مسقف بخشب مدهون، وفوقه أخشاب عليها صفائح الرصاص لأجل المطر، وفي صدره محراب بين عمودين[٢].

وقد استمر المقام المالكي على هذه الصفة حتى نهاية فترة البحث.

قال باسلامة: ((ولا يزال المقامان المذكوران – المالكي والحنبلي – على شكلهما وفي موضعهما المتقدم ذكره إلى العصر الحاضر ولم يعترهما تغيير ولا تبديل...))[٣].

- **أما مساحة المقام المالكي؛ فقد أخذ قياسها باسلامة[٤] بالمتر كما يأتي :**

الجهة	المقياس بالمتر		الإيضاح
	س	م	
من الشرق إلى الغرب	٩٠	٣	ثلاثة أمتار وتسعون سنتمتراً
من الشمال إلى الجنوب	٩٠	٣	ثلاثة أمتار وتسعون سنتمتراً

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩، علي الطبري: الأرج المسكي، ص ٧٣، رفعت: مرآة الحرمين، ١/٢٥٠، الصباغ: تحصيل المرام، ١/٤٠٢، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٨. انظر: الملحقات، لوحة رقم (٦، ٧، ٨).

(٣) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٤٠.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٧.

ج- الاهتمام بالمقام المالكي:

من مظاهر اهتمام العثمانيين بالمقام المالكي، اهتمامهم ببنائه وتجديده، كما يلي: فحدثت أول عمارة للمقام المالكي في فترة البحث بعد سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، على الصفة التي سبق ذكرها[١] في عهد سليمان القانوني.

وقد حددت الباحثة حمساء الدوسري تاريخ هذه العمارة بسنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م[٢].

بعد هذا التاريخ لم تجر إعادة بناء للمقام المالكي، وإنما استمرت الترميمات والإصلاحات وإعادة الزخرفة والصباغ، كما يأتي: في سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م رمم المقام[٣]، كما رممت المقامات الأربعة في سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م[٤]، ولم تتضح طبيعة ماحدث من ترميم للمقام.

وفي سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م بعد السيل الذي داهم المسجد الحرام، رممت المقامات وشمل هذا الترميم المقام المالكي، فهدموا مقدمه وبنوه بحجر شبيكي، كما زادوا في سمك المحراب والجدار القبلي[٥]. وفي سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م نقشت المقامات[٦]، كما نقشت في سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م وجعل أعلى المقام المالكي مصفحاً بالرصاص، كما جعل أعلاه رصافية وفي الجهة القبلية ثلاث رصافيات[٧].

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩.

(٢) حمساء الدوسري: المخصصات العثمانية للحجاز، ص ٢٩٨.

(٣) رفعت: مرآة الحرمين، ١/ ٢٥٠.

(٤) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ٥٣٥.

(٥) ابن علان: إنباء المؤيد، ص ص ٣٨٦، ٣٩٤. وابن علان شاهد عيان على تجديد وترميم الكعبة المشرفة والمسجد الحرام.

(٦) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ٤١٠.

(٧) السنجاري: منائح الكرم، ٤/ ٢٢٦، رفعت: مرآة الحرمين، ١/ ٢٥١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٦، ٢٧١.

وفي سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م، على أثر السيل الذي داهم مكة، تم تجديد الصباغات والنقوش في المقامات[1].

وفي سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، أمر السلطان عبد العزيز بتجديد سقوف المقامات[2].

وفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، أمر السلطان عبد الحميد بعمل ترميم عام للمسجد الحرام، وشمل هذا الترميم المقامات، فدهنت أخشاب المقام المالكي –والمقامات الأخرى– باللون الأخضر[3].

كان هذا آخر ترميم حصل للمقام المالكي في فترة البحث.

ومن خلال استعراضنا لعمارة وترميم المقام المالكي خلال فترة البحث نجد أن بناءه حدث مرة واحدة، بينما الترميمات كان يغلب عليها تجديد الصباغات والزخرفة، وتحدث عند الضرورة خاصة بعد السيول التي كانت تداهم المسجد الحرام.

ثالثاً: المقام الشافعي:

أ- موضع المقام الشافعي:

يقع المقام الشافعي خلفَ مقام إبراهيم عليه السلام مندمجاً معه في سقف واحد[4]، ومقدمته على باب مقام إبراهيم، ولهذا يُسَمى – أحياناً – بمقام إبراهيم بدلاً من مقام الشافعي، مع وجود مبنى لمحراب الشافعي يقع خلف مقام إبراهيم ومنفصلاً عنه، مثل المقامات الأخرى: المالكي والحنفي والحنبلي .

---

(١) التازي: رحلة الرحلات، ١/ ٢١١. رحلة العياشي.

(٢) الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ٤١٢، ٤١٣، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٨.

(٣) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧٧. وباسلامة شاهد عيان على هذا الترميم.

(٤) يعلل علي دده البوسنوي هذا التحول في مصلى الإمام الشافعي، فيذكر أنه لما حج السلطان قايتباي، صلّى ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام ولما أقيمت الصلاة أشار إلى الإمام الشافعي بأن يتقدّم عنده ويصلّي معه، ولم يتأخر ليصلي مع الإمام. انظر: البوسنوي: تمكين المقام، ص ٩٩.

ومن النصوص التاريخية العديدة التي تذكر موقع مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم، ما يأتي:-

قال ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م): ((فإن مقام الشافعي خلف مقام الخليل، ولكن ما يُصلي إمامُ الشافعي إلا في مقام الخليل قديماً وحديثاً))[١]. وفي ذلك إشارة إلى وجود مقام للشافعي منفصل عن مقام الخليل، وأما الصلاة ؛ فكانت تؤدى في مقام الخليل .

وقال علي دده البوسنوي (ت: ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م) في المصلى خلف المقام: ((وهو اليوم مقام الإمام الشافعي، يُصلى فيه الفرائض مع الجماعة، ويُصلى فيه صلاة الطواف. وكان قبل ذلك مقام إمام الشافعية خلفه تحت الطاق الموجود اليوم كسائر المقامات...))[٢].

وقال علي الطبري (ت: ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م): ((ومقام الشافعي: خلف القفص المحيط بالحفرة التي بها حجر المقام))[٣]. وفي رحلة الأميرة خُناثة (عام: ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م) وردت الإشارة إلى موضعه بالقول: ((وللشافعي حطيم حافل خلف مقام إبراهيم))[٤]. وفي سنة: (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) قال الرحالة سنوك: ((أما النصف الخلفي من المقصورة ؛ فهو مفتوح، ويستعمله الإمام أثناء أداء الصلاة))[٥]. وقال – أيضاً –: ((فإن هذا لم يشغل إلا من قِبَل الأئمة الشافعية، ولا يزال حتى الآن: (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) هو مكان إمام الشافعية))[٦].

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٩١، السنجاري: منائح الكرم، ٥/٤٥.

(٢) البوسنوي: تمكين المقام، ص ٩٩. والبوسنوي شاهد عيان على هذه الفترة، فهو مكلف من السلطان العثماني مراد خان الثالث بترميم مقام إبراهيم عام ١٠٠١ هـ / ١٥٩٢ م.

(٣) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧١.

(٤) التازي: رحلة الرحلات، ١/ ٣٠٠، رحلة الأميرة خناثة.

(٥) سنوك: صفحات، ١/٨٢.

(٦) سنوك: صفحات، ١/٨٧.

- **مواضع صلاة الإمام الشافعي :**

يوجد مواضع أخرى يصلي فيها الإمامُ الشافعي غيرَ مقام إبراهيم أثناء المواسم كالحج ورمضان بسبب الزحام . ويمكن تقسيمها إلى موضعين: موضع بجوار الكعبة، وموضع فوق قبة زمزم . وأكثر ما ذكرت هذه المواضع في كتابات الرحّالة .

الموضع الأول: بجوار الكعبة :

قال الرحالة سنوك (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م): ((وحينما يزدحم المسجد بالحجاج يقف الحنفية والشافعية بجوار الكعبة، حتى يسمح للعديد من الحجاج باستغلال المكان))[(١)].

كما ذكر الرحالة دِنيَة الرباطي – في حجته سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م – بأن الإمام الشافعي يقف أيام الموسم قرب باب الكعبة[(٢)].

الموضع الآخر: فوق قبة زمزم :

ومن الروايات التي أوردها الرحالة – على سبيل المثال –:

ما جاء في رحلات الأمير عبدالسلام أنه يقابل الحجر الأسود فوق قبة زمزم[(٣)]. كما ذكر الوزاني في رحلته (سنة: ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م) – بعد أن يصف قبة بئر زمزم – فقال: ((وفوق القبة المذكورة محراب الإمام الشافعي))[(٤)]. وفي سنة: (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) أشار سنوك للمقام الشافعي أثناء وصفه لمقام الخليل، بقوله: ((وبالقرب من بناية زمزم (مقام الشافعي) هناك مقام إبراهيم))[(٥)].

فهذه مواضع تشير لصلاة الإمام الشافعي فيها، لكنها بصفة مؤقتة، مع استمراره بالصلاة في مقام إبراهيم. فالكاتب الصباغ (١٢٤٣– ١٣٢١هـ) لم يشر إلى هذا التحول

---

(١) سنوك: صفحات، ٢/٣٨٩.

(٢) التازي: رحلة الرحلات، ٢/٥٩٤، رحلة دنية الرباطي.

(٣) التازي: رحلة الرحلات، ٢/٤٤١، رحلات الأمير عبد السلام.

(٤) التازي: رحلة الرحلات، ٢/٥١٢، رحلة العلمي الوزاني.

(٥) سنوك: صفحات، ١/٨١.

في مكان المقام، بل يذكر أن الإمام الشافعي يصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام[(١)]. وكذلك جميع النصوص التاريخية[(٢)] في القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، والخرائط والصور الفوتوغرافية[(٣)]، تشير إلى استمرار المقام الشافعي خلف مقام إبراهيم عليه السلام، حتى تم إلغاء المقامات في العهد السعودي.

- **المسافة بين المقام الشافعي والكعبة:**

يقول الفاسي (ت: ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٩م): ((أما المقام الشافعي: فبينه وبين جدار الكعبة الشرقي تسعة وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع بذراع الحديد، وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من ساباط مقام إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع ونصف))[(٤)].

هذا رأي الفاسي قبل زمن البحث، عندما كان مقام الشافعي منفصلاً عن مقام إبراهيم، أما في زمن البحث؛ فيصلي إمام الشافعي في مقام إبراهيم ويذكرهما المؤرخون على أنهما مقام واحد .

يذكر علي الطبري (ت: ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) المسافة بين المقام الشافعي (مقام إبراهيم)، وهي المسافة التي ذكرها الفاسي -تقريباً-، فيقول: ((وبينه وبين جدار الكعبة المشرفة ثلاثون ذراعاً ونصف ذراع))[(٥)].

ب- صفة المقام الشافعي:

تذكر المصادر صفتين للمقام الشافعي خلال فترة البحث؛ هما:

---

(١) الصباغ: تحصيل المرام، ٤٠٢/١، ٤١٥. وهو شاهد عيان على تلك الفترة.

(٢) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٨، ٢٣٩، ورفعت: مرآة الحرمين، ٢٤٨/١، ٢٦٧، البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٥٨، الصبحي: وسام الكرم، ص٤٠.

(٣) الكردي: التاريخ القويم، م/٢، منظر رقم (١٢٨، ١٢٩)، البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٥٣، الحارثي: أعمال الملك عبد العزيز، ص ٢٨ لوحة رقم (٦)، الحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٦٩، لوحة رقم (٩٣)، فيسي وغرانت: المملكة العربية، ص٣٠، انظر: الملحقات، لوحة رقم (١٢).

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٤.

(٥) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٢.

الصفة الأولى:

كان شكله بترتين عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه، مبيض بالنورة، وخشبة معترضة للقناديل(١).

وكان ابتداء عمارته على هذه الصفة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م. وقد أدركه المؤرخ ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٨٧م) على هذه الصفة، فيقول: ((فما كان من مقام الشافعي فهو كذلك إلى يومنا(٢) هذا))(٣).

ورغم أن صلاة الإمام الشافعي كانت تُؤدى في المظلة التي خلف مقام إبراهيم عليه السلام من قبل فترة البحث كما ذكرنا، إلا أن هذا البناء استمر إلى فترة البحث، ولم تذكر المصادر متى أزيل من مكانه.

الصفة الأخرى:

وهي المظلة التي خلف مقام إبراهيم، وهذه المظلة قائمة على اسطوانتين رفيعتين، مثمنتي الشكل، من الحجر الصوان الأسود، واقعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ووضع عليهما سقف ممتد من الاسطوانتين إلى بيت مقام إبراهيم عليه السلام (٤).

مساحة المقام الشافعي:

ترتبط مساحة المقام الشافعي بمساحة مقام إبراهيم عليه السلام فطول المصلى خمسة أذرع وسدس ذراع، بينما عرضه خمسة أذرع وثمن ذراع(٥).

ج- الاهتمام بالمقام الشافعي:

ونتعرض إلى مظاهر اهتمام العثمانيين بالمقام الشافعي، فيما يتعلق بالبناء والترميم خلال فترة البحث.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٢٣/١، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ص ١٨٦، ١٨٩.

(٢) زمن تأليف ابن ظهيرة لكتابه ((الجامع اللطيف)).

(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٢٧، انظر: الملحقات، لوحة رقم (١٢).

(٥) البوسنوي: تمكين المقام، ص ١٠٥.

وينبغي الإشارة إلى التداخل بين مقام إبراهيم عليه السلام، والمقام الشافعي، والصعوبة في تمييز النصوص التي تتعلق بأيهما، فالغالب الحديث عن مقام إبراهيم عليه السلام.

فمن هذه الترميمات مايلي:

في سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م، رمم المقام الشافعي[١]، والمالكي والحنبلي.

وفي سنة ١٠٠١هـ/١٥٩٣م، أمر السلطان مراد الثالث بتجديد وعمارة مقام إبراهيم، وشمل هذا التجديد مقام الشافعي، فأعيد بناؤه، وزخرف بأنواع الزخرفة[٢]. فكان هذا هو البناء الأول للمقام الشافعي خلال فترة البحث. ثم استمرت الترميمات.

ففي سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، أمر السلطان أحمد بترميم المقامات الأربعة، فرممت[٣].

وفي سنة١٠٤٠هـ/ ١٦٣١م، وسنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م، وسنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م، وسنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م تم تجديد النقوش والصباغات خاصة بعد السيول التي كانت تداهم المسجد الحرام[٤]. وفي سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م غيرت القبة التي فوق مقام إبراهيم (الشافعي) ونقشت بالذهب[٥].

وفي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، أزيلت هذه القبة بأمر من الإمام سعود بن عبد العزيز[٦].

---

(١) رفعت: مرآة الحرمين، ١/ ٢٥٠.

(٢) البوسنوي: تمكين المقام، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ٣/ ٥٣٥. وقد ذكر باسلامة هذا الترميم في سنة ١٠١٥هـ/١٦٠٦م، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧١.

(٤) انظر: ابن علان: إنباء المؤيد، ص ٤٠٠، السنجاري: منائح الكرم، ٤/ ٢٢٦، رفعت: مرآة الحرمين، ١/ ٢٥١، الصباغ: تحصيل المرام، ١/ ٤١٠، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٦، ٢٧١، التازي: رحلة الرحلات، ١/ ٢١١.

(٥) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٤.

(٦) ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٦٢، الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٢٥.

وفي سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، أمر السلطان عبد العزيز بتجديد سقوف المقامات، فزيد في ارتفاع سقف مقام إبراهيم (الشافعي) بمقدار ذراع ونصف[١].

وانتهى الترميم في شهر صفر من سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م[٢].

وفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، أمر السلطان عبد الحميد بعمل ترميم عام للمسجد الحرام، وشمل هذا الترميم المقامات، فدهنت أخشاب مقام إبراهيم (الشافعي) باللون الأخضر[٣].

وهذا آخر ترميم للمقام الشافعي خلال فترة البحث.

رابعاً: المقام الحنبلي :

أ- موضع المقام الحنبلي:

تغير موضع المقام الحنبلي – خلال مدة البحث – إلى موضعين. نذكرهما كما يأتي :

الموضع الأول: مقابل الحجر الأسود[٤].

ومن النصوص التاريخية التي أشارت إلى هذا الموضع، - على سبيل المثال- :

ما قاله ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٨٧م): ((ومقام الحنبلي تجاه الحَجَر الأسود))[٥].

وقال علي الطبري (ت: ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م): ((... مقابل لآخر الجدار الشرقي من جهة الحجَر الأسود، ومحرابه مقابل للحجَر المذكور))[٦].

وقال باسلامة: ((وأما مقام الحنبلي ؛ فكان موضعه قريباً من بئر زمزم على حاشية المطاف مستقبل الحجَر الأسود))[٧].

---

(١) الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٣/١.

(٢) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٨٤ وما بعدها.

(٣) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧٧. وهو شاهد عيان على هذا الترميم.

(٤) وهو في هذا الموضع من قبل مدة البحث . الفاسي: شفاء الغرام، ٣٢٤/١.

(٥) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٩١، وهو شاهد عيان على هذه الفترة.

(٦) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٣، وهو شاهد عيان على هذه الفترة.

(٧) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٩.

الموضع الآخر: جنوب شرق الكعبة مقابل لما بين الحجر الأسود والركن اليماني.

وقد نقل إلى هذا المكان في عام: (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)، وأشار إلى هذا التغير الرحالة سنوك (عام: ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) في قوله: ((ومنذ عدة سنوات فإن المقام الحنبلي، قد أزيح عدة خطوات من مكانه لضرورات تنسيقية))[١].

قال الصباغ (ت:١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م): ((والحنبلي مقابل الحجر الأسود،... وقد نقل مقام الحنبلي إلى مكانه الذي هو به الآن، وكان ابتداء العمل يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٣٠١هـ، حيث كان المحراب الأول يمنع اعتدال الصف إذا صلى الشافعي))[٢].

وفي رحلة الحج للمغربي دِنيَة الرباطي (عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) قال: ((ويقابله من الجانب الآخر مصلى الحنبلي، وهو مواجه لما بين الحجر الأسود والركن اليماني))[٣].

وقال باسلامة: ((أما في العصر الحاضر؛ فصار موضعه قريباً من حاشية المطاف مما يلي الجهة الجنوبية، مقابلاً لما بين الركن الأسود والركن اليماني))[٤].

المسافة بين المقام الحنبلي والكعبة:

في الموضع الأول (مقابل الحجر الأسود) قال الفاسي: ((وأما مقام الحنبلي فإن من جدار محرابه إلى الحجر الأسود ثمانية وعشرين ذراعاً إلا ثلثاً بعتبة الحاشية))[٥]. كما ذكر هذه المسافة المؤرخ علي الطبري نقلاً عن الفاسي[٦].

وفي الموضع الآخر (بين الحَجَر الأسود والركن اليماني) فهو كالمقام المالكي يبعد ١٥.٨٠ متراً من شاذ روان الكعبة إلى دائر المطاف[٧].

---

(١) سنوك: صفحات، ٨٩/١ . وقد تغير المقام الحنبلي إلى هذا الموضع قبل رحلة سنوك بسنتين تقريباً .

(٢) الصباغ: تحصيل المرام، ٤٠٣/١ . وهو شاهد عيان على هذه الفترة.

(٣) التازي: رحلة الرحلات، ٥٩٤/٢.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٩.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام، ٣٢٤/١.

(٦) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٣.

(٧) الكردي: مقام إبراهيم، ص ١١٠.

ب- صفة المقام الحنبلي:

تتفق المصادر على أن المقام الحنبلي يشبه المقام المالكي في الصفة، فكان له صفتان خلال فترة البحث.

الصفة الأولى: يتكون من بترتين عليهما عقد، وفي أعلاه نحو ثلاث شراريف، وبين البترتين من أسفل جدارٌ فيه محراب(١).

وعُمر على هذه الصفة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، وقد أدركه المؤرخ ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٨٧م)، ثم غير بعد سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م(٢).

الصفة الأخرى: كانت بعد سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، على أربعة أعمدة – كالمقام المالكي- كل عمود قطعة واحدة من الحجر الصوان، وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون، وجهة السماء اخشاب عليها صفائح الرصاص لأجل المطر، وبين الاسطوانتين المقدمتين إلى جهة القِبلة محراب(٣).

وقد بقي على هذه الصفة إلى نهاية فترة البحث، ولم تتغير صفته حتى بعد تغير موضعه سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م.

المساحة :

أما مساحة المقام الحنبلي ؛ فقد أخذها باسلامة(٤) بمقياس المتر كما يأتي:-

الجهة	المقياس بالمتر		الإيضاح
	س	م	
من الشرق إلى الغرب	٩٠	٣	ثلاثة أمتار وتسعون سنتمتراً
من الشمال إلى الجنوب	٧٠	٣	ثلاثة أمتار وسبعون سنتمتراً

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ١/٣٢٣.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩، انظر: الملحقات، لوحة رقم (٧، ٨).

(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩، علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٣، رفعت: مرآة الحرمين، ١/٢٥٠، الصباغ: تحصيل المرام، ١/٤٠٢، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٨.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٤٧.

ج- الاهتمام بالمقام الحنبلي:

أما ما يتصل بالترميمات والتجديدات والإصلاحات فنستعرض فيما يلي أهمها، مما يعطي تصوراً عن اهتمام العثمانيين بالمقام الحنبلي. فكانت العمارة الأولى للمقام الحنبلي بعد سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م، في عهد السلطان سليمان القانوني، على الصفة التي ذكرناها(١).

وهي العمارة الأولى والأخيرة مثل المقام المالكي.

بعدها لم تجر إعادة بناء للمقام الحنبلي، بل استمرت الترميمات والزخرفة، كما يأتي:

ففي سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م، وسنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، رمم المقام الحنبلي والمقامات الأخرى(٢). وفي سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣١، رمم – كذلك – المقام الحنبلي وهدم الجدار القبلي والمحراب وزيد فيه(٣).

وفي سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م، وسنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م، وسنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م، نقش وجددت الصباغات(٤).

وفي سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، أمر السلطان عبد العزيز بتجديد سقوف المقامات، لأنها خربت حتى تكسر بعض أخشاب المقام الحنبلي وسند بالخشب، فشرعوا في تجديد سقوف المقامات وابتدؤوا بالمقام الحنبلي(٥).

وفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، أمر السلطان عبد الحميد الثاني بترميم عام للمسجد الحرام، وشمل هذا الترميم المقامات، فدهنت أخشابها باللون الأخضر(٦).

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩.

(٢) السنجاري: منائح الكرم، ٥٣٥/٣، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٥٠/١.

(٣) ابن علان: إنباء المؤيد، ص ص ٣٨٤، ٣٨٨.

(٤) انظر: السنجاري: منائح الكرم، ٢٢٦/٤، رفعت: مرآة الحرمين، ٢٥١/١، الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٠/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص ٢٣٦، ٢٧١، التازي: رحلة الرحلات، ٢١١/١، رحلة العياشي.

(٥) الصباغ: تحصيل المرام، ٤١٣/١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٣٨.

(٦) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٢٧٧. وباسلامة شاهد عيان على هذا الترميم.

وكان هذا الترميم آخر ما حصل للمقام الحنبلي حتى نهاية فترة البحث.

وقد تبين مما سبق من عمارة للمقام الحنبلي ضعف اهتمام العثمانيين به، مثله مثال المقام المالكي، فإعادة البناء كانت مرة واحدة، والترميمات لا تزيد على ثمانية معظمها زخرفة ودهانات، وتحدث على فترات متباعدة؛ ويؤكد المؤرخ ابن علان (١٠٥٧هـ/ ١٦٤٨م) أن ترميم المقام الحنبلي يحدث بعد فترات طويلة، فذكر في ترميم المسجد الحرام سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م: ((وشرع البناة في تهيئة أحجار لبناء مقدم مقام الحنبلي ومحرابه لعتق الأول جداً))[1].

ونلاحظ انقطاع أخبار الاهتمام بالمقامات في الفترة (١٠٧٣ - ١٢٨٠هـ) وهي فترة طويلة قرابة قرنين من الزمان، فلم تذكر المصادر التي بين يديّ اهتماماً بالمقامات في تلك الفترة، ما عدا الاهتمام بمقام إبراهيم ﷺ، وقد يعود ذلك لأسباب؛ منها:

قلة المصادر التي كتبت عن المسجد الحرام، كما أنه في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ضعفت سلطة الدولة العثمانية على الحجاز، ودخوله تحت حكم الدولة السعودية الأولى التي سعت إلى توحيد المصلين خلف إمام واحد في المسجد الحرام[2]. ثم الحكم المصري، حيث انشغل محمد علي بالصراع مع الدولة السعودية الأولى والثانية.

---

(١) ابن علان: إنباء المؤيد، ص ٣٨٣.

(٢) رسالة هامة في دخول الإمام سعود مكة المكرمة (مخطوط)، المكتبة المركزية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم ٨٧٣٦/خ/٥ تاريخ، ضمن مجموع ١١٩-١٢٠ل. انظر: الملحقات، وثيقة رقم (١).

المطلب الثالث: أرباب الوظائف في المسجد الحرام:

ونتعرض فيه إلى جانبين هما: أنواع الوظائف في المسجد الحرام، وأئمة المقامات ونظام تعيينهم؛ وصلاتهم بهذه المقامات.

أولاً: أنواع الوظائف في المسجد الحرام

تنوعت الوظائف في المسجد الحرام، ومنها :

١ – **وظائف إداريّة، كوظيفة نائب الحرم**، ومعناها: ((أنه نائب في أمور المسجد الحرام، عن الأمير مثلاً... وعنده أوامر سلطانية بذلك، ووظيفتهم هذه، عبارة عن رئاسة على جميع موظفي الحرم؛ من كنَّاس وشادٍ وفراشٍ وإمامٍ وخطيبٍ ومؤذنٍ))[١].

٢ – **وظائف دينيّة: كوظيفة:**

أ – **الأئمة**: و هم من عينوا رسمياً أو احتساباً للصلاة في أحد المقامات الأربعة حسب مذهبهم الفقهي. وسوف نتعرض لهذا الجانب بشيء من التفصيل في موضعه.

ب – **الخطباء**: وهم من يقومون بإلقاء خطب الجمع والأعياد في المسجد الحرام وفي المشاعر المقدسة. وقد زاد عددهم في منتصف القرن الحادي عشر الهجري، وبلغوا من الكثرة لدرجة أنه قد لا يأتي دور أحدهم في الخطبة إلا بعد أربعة أشهر[٢].

ج – **المؤذنون**: كان للمؤذنين رئيس، ومنصب الرئيس محصورٌ في (بيت الريس)، والرئيس مسؤول عن المؤقت بالمسجد الحرام، علاوة على رئاسة المؤذنين في المقامات الأربعة. وكان الرئيس يؤذن من فوق قبة زمزم، أما المؤذنون فيؤذنون من منائر المسجد الحرام والمقامات الأربعة[٣].

---

(١) الصبحي: وسام الكرم، ص ٢١.

(٢) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣٠.

(٣) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣١، الطبري: الأرج المسكي، ص ١٨٧.

فأول ما يرفع من الأذان في المسجد الحرام أذان رئيس المؤذنين ثم يتبعه سائر المؤذنين في الأوقات الخمسة، وهو أيضاً يبلغ عموم المبلغين الذين كانو يبلغون الأذان للأطراف البعيدة من الحرم وذلك في صلاة الجمعة والعيدين(١).

وقد تولى الأذان بعض الأسر والعوائل في مكة، قال الشيخ محمد طاهر الكردي: ((وقد اختص بالأذان في المسجد الحرام منذ مئتي سنة بعض العوائل، وهم: عائلة شاكر، وعائلة البصنوي، وعائلة بدر، وعائلة جودة، وعائلة البصمجي))(٢).

والمؤذنون يزيدون وينقصون باعتبار ما يجدد من وظائف يتم التعيين عليها من الدولة العثمانية، ففي عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م بلغ عددهم مع رئيسهم ثمانيةأشخاص(٣).

د – **المكبرون (المبلغون)**: وهم الذين يبلغون عن الإمام تكبيرة الإحرام والانتقال.

٣ – وظائف متنوعة :

وهذه الوظائف وإن لم يكن لها أثر واضح في الحياة العامة إلا أنها ذات علاقة بموضوعنا، وعلى هذا الأساس نشير إلى بعضها:

الأغوات: وهم من الرقيق المخصيين الذين أُوقفوا على خدمة المسجد الحرام، فيشاركون في التنظيف، وتنظيم الصفوف، وكذلك تنظيم صفوف النساء بما أنهم مخصيون، ومن بينهم رئيس ويتبعه نقيب، ورئيسهم مرتبط بشيخ الحرم، وعددهم يزيد وينقص بحسب الوقف، وقد بلغ عددهم في أواخر العهد العثماني حوالي الخمسين(٤).

الـمُشدِون: وهم مسؤولون عن حفظ النظام داخل المسجد الحرام، ولهم رئيس يسمى (شاويش).

---

(١) أشموني وآخرون: مكة المكرمة، ص ٢٤١.

(٢) الكردي: التاريخ القويم، ٢ / ١٣٩، د. صالح ابن حميد: تاريخ أمة، ١ / ١٣٩.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض: الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥٤١.

(٤) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣٠، د. صالح ابن حميد، ١ / ٢٠٧، ٢٠٨.

الفرّاشون: وهم الذين يقومون بمهنة التنظيف والكنس وترتيب السجاد في المسجد الحرام.

الوقّادون: وهم الذين يقومون بإضاءة القناديل في المسجد الحرام.

الزمازمة: الذين يقومون بسقاية ماء زمزم.

وغيرهم كالبوابين والكناسين، ولكل من هؤلاء شيخ أو رئيس[١].

ثانياً: أئمة المقامات:

ونتعرض في هذا الجانب من أئمة المقامات الأربعة إلى أنواع وظائف الأئمة، وطرق تعيينهم، وعددهم خلال فترة البحث.

١- أنواع وظائف الأئمة:

وهذه الوظائف إما رسمية لها راتبها ومخصصاتها، وإما حسبة لوجه الله تعالى بدون راتب[٢]. كما أنها متنوعة كالتالي:

الوظيفة الأولى: الإمام الخطيب:

وهو الذي جمع بين وظيفتي الإمامة والخطابة في وقت واحد، وتعتبر هذه الوظيفة من أعلى أنواع الوظائف الرسمية، فهو خطيب في المسجد، وإمام لأحد المقامات الأربعة، حسب مذهبه الفقهي.

وهذه الوظيفة لها راتبها، ومخصصاتها. جاء في ترجمة الشيخ زين العابدين الطبري المتوفي سنة ١٠٧٨هـ: ((الشيخ الإمام الكبير العلامة الأحمدي إمام المقام وخطيب المسجد الحرام))[٣]. كما جاء في ترجمة الشيخ محمد المالكي (ت: ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م) أنه ((من أكابر خطباء وأئمة المقام المالكي أرباب المعاشات في الدرجة الأولى))[٤].

---

(١) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣١، صالح ابن حميد، ١ / ٢٠٣ .

(٢) الصبحي: وسام الكرم، ص ٢١ .

(٣) العجيمي: خبايا الزوايا، ص ٢٠٢ ، مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٩٩، الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٢١، ٢٢ .

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٨٠ .

وفي ترجمة الشيخ عبداللطيف عطية المتوفي سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، أنه ((كان أحد الخطباء والأئمة أرباب الوظائف وذوي المعاشات بالمسجد الحرام))[١].

الوظيفة الثانية: الإمام:

وهو من عُيّن رسمياً إماماً لأحد المقامات الأربعة حسب مذهبه الفقهي. جاء في ترجمة الشيخ جعفر بن أبي بكر أنه ((جعفر بن أبي بكر بن جعفر ،...، الحنفي المكي، الإمام بمقام الحنفي، المدرس بالمسجد الحرام))[٢].

الوظيفة الثالثة: نائب الإمام:

وهو من ينيبه أحد أئمة المقامات الأربعة احتساباً لوجه الله تعالى، ولا يحتاج الإمام إلى إذن للإنابة لأنه غالباً لا ينيب إلا أقاربه، كما جاء في ترجمة الشيخ يحيى البهاري (ت: ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) أنه ((كان يصلي بمقام الحنفية في بعض الأوقات نائباً عن قريبه الشيخ إبراهيم))[٣].

الوظيفة الرابعة: الإمام الملازم:

وهو من لازم أحد المقامات الأربعة حسب مذهبه الفقهي، ويشترط فيه أن يلزم الصف الأول في المقام، ولا ينفك عنه في نوبته المقررة، فهو يفتح على الإمام أو يخلفه حال تأخره. وهذه الوظيفة إما رسمية يعين فيها براتب، وإما حسبة لوجه الله تعالى[٤]. ففي ترجمة الشيخ أحمد عبد الشكور (ت: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) أنه ((الإمام الملازم بمقام

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٨٥.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٥٧، الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٣ .

(٣) العجيمي: خبايا الزوايا، ص٤٣٧، مرداد: مختصر نشر النور، ص ٥٠٧، الصبحي: وسام الكرم، ص٢٥، صالح ابن حميد: تاريخ أمه، ٣ / ١٠٢٥.

(٤) الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٢٥، ٢٦.

الحنفي))[1]. وفي ترجمة الشيخ ياسين بسيوني (ت :١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) أنه ((من جملة الأئمة الملازمين بمقام الشافعي بغير معاش))[2].

ومن خلال ما سبق حول وظائف الأئمة يمكن أن نلحظ عدة أمور؛ منها:

١- تعددت وظائف الأئمة لكنها لا تخرج عن أربعة أنواع: الإمام الخطيب، والإمام، والإمام بالنيابة، والإمام الملازم.

٢- كانت هذه الوظائف على صفتين: رسمية يتم التعيين عليها، ولها راتب، أو احتساباً لوجه الله تعالى.

٣- كما كانت وظيفة الإمام الخطيب، موجودة عند جميع أئمة المقامات الأربعة، لكن المذهب الحنفي كان المقدم في هذه الوظيفة على بقية المذاهب وذلك يرجع إلى أنه مذهب الدولة الحاكمة، يليه الشافعي ثم المالكي ثم الحنبلي. فهو بذلك يعبر عن مظهر من مظاهر اهتمام العثمانيين بالمقام الحنفي وأئمته، كما يعبر عن تأثير العامل السياسي على وظائف الأئمة.

٤- وظيفة نائب الإمام؛ كانت قليلة جداً ومحصورة على أئمة المقام الحنفي.

٥- وظيفة الإمام الملازم؛ نشأت هذه الوظيفة منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، واستمرت زمناً حتى تم الغاؤها سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٦٢م، في عهد الملك عبدالعزيز بعد توحيد الجماعات بإمام واحد في المسجد الحرام[3].

ويمكن أن نلاحظ هذه الأمور من خلال الرجوع لجداول أسماء أئمة المقامات[4].

ومن خلال مطالعتنا لمصادر فترة البحث نلاحظ بعض الأنظمة المتعلقة بأئمة المقامات؛ ومنها:

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٠٣.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٥٠٦، الصبحي: وسام الكرم، ص ٤٢٧.

(٣) الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٦.

(٤) انظر: الملحقات، جدول (١، ٢، ٣، ٤).

أ- التنازل عن وظيفة الإمام والراتب، أو بعضها لولده أو قريبه:

وقد أُلغي هذا النظام في عهد السلطان عبدالحميد (١٢٩٣ – ١٣٢٨هـ)، جاء في ترجمة الشيخ حمودة بن عطية (ت: ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م) ((أن الشيخ مصطفى مرداد قد كان أفرغ عليه ربع خطابة وربع إمامة وكان الفراغ وقتئذٍ سائغاً، ثم مُنِع ذلك في ابتداء دولة السلطان عبدالحميد خان)) [١].

ب- وراثة وظيفة الإمامة وراتبها:

ذكر جارالله ابن فهد في أحداث سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٣م عن إمام الحنفية الشيخ الجمالي محمد الطبري، فقال: ((وقد ولّي نصف الإمامة عوض والده، وتقرر في صُرَر)) [٢].

والأمثلة على التنازل عن الإمامة كثيرة جداً، وكذلك وراثتها.

٢- نظام تعيين الأئمة في المقامات:

نظراً لأهمية وظيفة الأئمة في المسجد الحرام، فإن تعيين أئمة المقامات يأتي مباشرة من جهة الخليفة بأوامر سلطانية، حيث يعين بمرسوم منه، أو يكون من جهة أمير مكة، وهذا في ظروف معينة، كأن يتدخل أمير مكة لحسم نزاع حصل بين الأئمة على الوظيفة فيعين الأمير من يشاء لحين صدور قرارٍ من الخليفة يقضي بتعيين أحدهم [٣].

ومن نماذج التعيينات بمراسيم سلطانية:

ما ذكره جارالله ابن فهد في أخبار سنة (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)، قال: ((...، ومعه مراسيم من نائب مصر بولاية القاضي تاج الدين المالكي لقضاء المالكية بمكة ونصف الإمامة بالمسجد الحرام على ما أنعمت به الحضرة الخنكارية السليمانية من الروم)) [٤].

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٨٣.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ٢ / ٥٥٦.

(٣) الصبحي: وسام الكرم، ص ١٨، د. صالح ابن حميد: تاريخ أمة، ١ / ١٥٤.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٥١٧.

كما قال في أخبار سنة (٩٣٩ هـ/ ١٥٣٢م): ((وتوجه إمام الحنفية الجمالي محمد بن الشهابي البخاري على درب الحاج الشامي وقد ولّي نصف الإمامة عوض والده وتقرر في صُرَر وحصل حجة بمائة سلطاني ذهب)) [١].

أما تعيينات الأئمة من قبل الشريف، فمن أمثلتها:

ما جاء في ترجمة الشيخ محمد الفتياني (ت: ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م) ((وأحبه أمير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون[٢]، وقلده وظيفة خطابة وإمامة بمقام الحنفي وأعطاه تقريراً بيده يتضمنها))[٣].

ومن خلال ما سبق نستدل على مدى أهمية وظيفة الأئمة في المقامات حيث يتم تعيينهم من قبل السلطان أو أمير مكة.

ويخصص لهم مرتبات من الدولة العثمانية، وهذا ما سوف نتناوله في المبحث الثاني من هذا الفصل – بإذن الله –.

كما تجدر الإشارة إلى أن وظائف الأئمة في المقامات الأربعة كانت مخصوصة ببعض البيوت والأسر[٤]. وهذا ما سوف نتناوله بالتوضيح – بإذن الله – في الفصل الثاني، المبحث الثاني.

أما في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود فكان تعيين الأئمة يتم من قبل الملك مباشرة بمرسوم ملكي، يقضي بالتعيين[٥].

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ٢/ ٥٥٦.

(٢) الشريف مُحَمَّد بن عون: تولى إمارة مكة في فترتين، الأولى من ١٢٤٣ -١٢٦٧هـ / ١٨٢٧ – ١٨٥١م، والأخرى من ١٢٧٢ – ١٢٧٤هـ / ١٨٥٦ – ١٨٥٨م. انظر: باسلامة: تاريخ الكعبة، ص ٤٠٥.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٧٣.

(٤) الطبري: الأرج المسكي، ص ص١٨٤، ١٨٦.

(٥) الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٠، صالح ابن حميد: تاريخ أمة، ١ / ١٥٦.

٣- عدد أئمة المقامات:

من خلال تتبع المصادر التاريخية نجد أن عدد الأئمة خلال فترة البحث يزيد وينقص حسب ما يستحدث من وظيفة لكل مقام، كما يتفاوت عددهم من مقام لآخر.

ففي بداية فترة البحث كانت أعدادهم محدودة؛ يذكر جارالله ابن فهد في أخبار سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م: ((فُرِق مبرة على أرباب الشعائر من أهل الوظائف بالمسجد الحرام جعل لكل إمام من الشافعية وهم سبعة، والحنفية والمالكية ثلاثة والحنابلة اثنان، عشر أشرفية سليمية))[١].

ونلاحظ تزايد أعداد الأئمة خلال فترة البحث، مع اهتمام المصادر بأئمة المقام الحنفي، ففي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، زاد عددهم من أربعة إلى أربعة عشر إماماً[٢]، لأن الدولة العثمانية تتبع المذهب الحنفي.

وفي القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ،زاد عددهم إلى خمسين إماماً، وبعد عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م بلغ عددهم خمسة وسبعين إماماً. جاء في مختصر نشر النور والزهر: قول الشيخ خوج: ((وأما الآن فنحو الخمسين إماماً، أقول: وأما الآن بل من عام التسعين بعد المائتين والألف فقد بلغوا في المقام المذكور – الحنفي – خمسة وسبعين إماماً))[٣].

وفي عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م، كان عَدَدُ الأئمة في المقام الحنفي سبعين إماماً[٤].

ومع نهاية فترة البحث سجلت المصادر التاريخية إحصائيات أكثر دقة من ذي قبل، فقد ذكر اللواء إبراهيم رفعت عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، أعداد الأئمة في المسجد الحرام، الرسمي منهم والمحتسب، كالتالي:

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ٢ / ٧١٢.

(٢) الطبري: الأرج المسكي، ص ١٨٥، مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٨١.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٨٢، الصبحي: وسام الكرم، ص ٧١.

(٤) الصبحي: وسام الكرم، ص ٧١.

الحنفية: (٧٩) إماماً وخطيباً، منهم (٣٤) متبرعاً، و (٤٥) إماماً بمرتب.

الشافعية: (٢٤) إماماً وخطيباً، المتبرعون منهم (١٦) إماماً، و (٨) أئمة بمرتب.

المالكية: (١٤) إماماً وخطيباً، المتبرعون (٨) أئمة، والباقون بمرتب.

الحنبلية: (٥) أئمة، المتبرعون اثنان[١]. وبهذا يصبح عددهم(١٢٢) إماماً وخطيباً.

ويذكر عبدالله الزهراني نقلاً عن باسلامة أن من سجلت مديرية الأوقاف من الأئمة بلغ مئة وعشرين إماماً في المذاهب الأربعة[٢].

قال يوسف الصبحي: وقد أحصى عدد الأئمة الشيخ جعفر لبني المتوفى سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، فقال: ((وهم الآن – حفظهم الله – يزيدون على المئة والثلاثين للمقامات الأربعة))[٣].

وقد قمت بإحصاء أسماء الأئمة في كل مقام في المدة التي يدرسها البحث، وهي إحصائية تم حصرها من خلال مصادر البحث التي أمكنني الاطلاع عليها[٤].

ومن خلال النصوص السابقة وجداول أسماء الأئمة، نلاحظ:

زيادة أعداد أئمة المقام الحنفي، بعد أن كان أئمة المقام الشافعي هم الأكثر في بداية فترة البحث.

الاهتمام بأئمة المقام الحنفي ثم الشافعي ثم المالكي ثم الحنبلي، فأكثر الأئمة بمرتب والخطباء أحناف.

ثالثاً: صلاة الأئمة بهذه المقامات:

وسوف نعالج في هذا الجانب كيفية صلاة الأئمة في المقامات الأربعة بالمسجد الحرام، والتي يتبين من خلال التتبع التاريخي أنها مرت بعدة كيفيات نذكرها في الآتي:

---

(١) رفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٢٦٠.

(٢) عبدالله الزهراني: أئمة المسجد الحرام، ص ٧٦.

(٣) الصبحي: وسام الكرم، ص ٧٢.

(٤) انظر: الملحقات، جدول (١، ٢، ٣، ٤).

الكيفية الأولى:

أن يصلي الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ، وذلك في جميع الصلوات عدا المغرب.

قال ابن ظهيرة: ((أما كيفية الصلاة فإنهم في زماننا هذا يصلون مرتبين: الشافعي في مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفي إمام الحنفية بعده في مقام الحنفية، ثم إمام المالكية بعده في مقامه المتعين له، ثم إمام الحنابلة بعده في مقامه، وهذا في الأربعة الفروض...))[1].

الكيفية الثانية:

تغير ترتيب صلاة الأئمة كالآتي:

في صلاة الصبح: الشافعي، ثم المالكي، ثم الحنبلي، ثم الحنفي.

وفي صلاة الظهر والعصر: الشافعي، ثم الحنفي.

أما المالكي والحنبلي فلا يصليان إلا الصبح فقط في جميع السنة إلا في موسم الحج ((يتقدم المالكي في الكل))[2].

وصلاة العصر كالظهر كيفية وترتيباً، وكذلك العشاء[3].

الكيفية الثالثة:

بدءاً من سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، صار الحنبلي يصلي جميع الأوقات مع المقامات الثلاث عدا صلاة المغرب، على الترتيب الآتي: الحنفي، ثم الشافعي، ثم المالكي، ثم الحنبلي[4].

واستمر الوضع على هذا الترتيب إلى أن وُحِّدت الجماعات في المسجد الحرام خلف إمام واحد عام (١٣٤٥هـ).

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩. وابن ظهيرة شاهد عيان لفترة بداية البحث.

(٢) الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٤، وانظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ٤٥.

(٣) الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٤، وانظر: الصباغ: تحصيل المرام، ١ / ٣٩٩، والصبحي: وسام الكرم، ص ٤٦.

(٤) الصباغ: تحصيل المرام، ١ / ٣٩٩، وانظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ٤٦.

الكيفية الرابعة:

وهي خاصة بصلاة المغرب، وقد حصل فيها الخلاف كثيراً قبل فترة البحث. أما في بداية فترة البحث فكان الشافعي والحنفي يصليان معاً. قال ابن ظهيرة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م): ((وأما المغرب فكان مما أدركناه قريباً يصلي الحنفي والشافعي معاً في وقت واحد،...، وأما المالكي والحنبلي فلا يصلون المغرب فيما أدركناه))[١]. فحصل بذلك التشويش على المصلين، حتى أمر السلطان سليمان خان في حدود سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م بإزالة هذا التخليط، فاجتمع العلماء وغيرهم بالحطيم واقتضى رأيهم تقديم الحنفي، وعند التشهد يدخل الإمام الشافعي.

ويظهر استمرار هذا الوضع إلى نهاية فترة البحث. قال الصباغ (ت: ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م): ((وهذا العمل هو الجاري في زماننا))[٢].

ومن خلال ما سبق من صلاة الأئمة وترتيبهم يتضح ما يلي:

لم يكن هناك ترتيب ثابت لصلاة الأئمة في المقامات، بل تبدل مستمر، قد يعود ذلك لأسباب فقهية أو سياسية.

يظهر التنافس بين الشافعية مذهب أهل مكة، والحنفية مذهب الدولة العثمانية، وكثيراً ما يقدم أئمة الحنفية. أما المالكية والحنابلة فهم أقل أهمية تبعاً لأهميتهم السياسية المحدودة وقلّة أتباعهم.

ومع نهاية هذا المبحث عن مواقع المقامات في المسجد الحرام نخلص إلى بعض النتائج، ومنها:

١- أن مواضع المقامات في المسجد الحرام وصفتها ثابتة خلال فترة البحث عدا تغير موضع المقام الحنبلي عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، وتغير صفة المقام الحنفي.

---

(١) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٩، السنجاري: منائح الكرم، ٣ / ٢٦٢، الصباغ: تحصيل المرام، ٣٩٩/١، الصبحي: وسام الكرم، ص ٤٧.

(٢) الصباغ: تحصيل المرام، ١ / ٣٩٩.

٢- أن المقامات وجدت الاهتمام والرعاية من الدولة العثمانية، في ترميمها، وتجديدها، وتعيين الأئمة، خاصة المقام الحنفي؛ مما يبرز تأثير العامل السياسي في دعم المقامات. وهذا ما يفسر كثرة أعداد أئمة الحنفية ثم الشافعية ثم المالكية وأخيراً الحنابلة.

٣- كانت الصلاة في المقامات يتغير ترتيبها بين فترة وأخرى وفي موسم الحج ورمضان. ويظهر المنافسة بين الشافعية والحنفية، بينما المالكية والحنابلة كانا أقل أهمية، وكثيراً ما يُعَطّل المقام الحنبلي.

المبحث الثاني

دعم حكام الحجاز، والدولة العثمانية

لقد تنوعت مصادر الإنفاق على المقامات في المسجد الحرام خلال فترة البحث، فشملت دعم حكام الحجاز، والدولة العثمانية، وسكان الحجاز، والدول الإسلامية، إضافة إلى دعم الأوقاف، كما تنوع هذا الدعم إلى نفقات نقدية وعينية، وفيما يلي بيان لذلك:

المطلب الأول: دعم حكام الحجاز

قبل مناقشة دعم حكام الحجاز لعلماء المقامات في المسجد الحرام، من المناسب أن نقف على الوضع المالي لهؤلاء الحكام خلال فترة البحث، فمن الملاحظ أن الأشراف – حكام الحجاز– قد تمتعوا في ظل الدولة العثمانية بمكانة خاصة، ففي سبيل إرضائهم وكسب ولائهم كانت الدولة تغدق عليهم الأموال، وترسل إليهم المخصصات العينية والنقدية، فقد خصص السلاطين العثمانيون راتباً سنوياً للشريف، يقدر في عهد السلطان سليم الأول بخمس مئة دينار، وألف دينار ذهباً ترسل مع الصرة من خاصة السلطان، إلى جانب خمسة آلاف قرش ترسل للشريف سنوياً، وخمسة وعشرون ألف قرش يرسلها والي مصر، وهي نصف المبلغ الذي يحصل عليه السلطان العثماني على شكل جائزة السلطان[(١)]؛ إضافة إلى المخصصات التي ترسل سنوياً مع الصرة على شكل رواتب وأعطيات لجميع الأشراف ونسائهم وجواريهم؛ وكانت واردات ميناء جدة يحصل الشريف في مكة المكرمة عليها حتى سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م، حيث أوقفت إلى سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، ثم حصل على نصفها، واستمر ذلك إلى نهاية فترة البحث؛ كما كان للأشراف نصيب من الأوقاف التي أوقفها السلاطين العثمانيون على أهل مكة المكرمة؛ إضافة إلى ما يصل شريف مكة من الرسوم التي يدفعها الحجاج من غير رعايا

(١) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ص ٢٩١، ٢٩٢.

الدولة العثمانية؛ وكذلك واردات الزكاة[1]؛ كما كان يصل إلى شريف مكة دعم متنوع من الدول الإسلامية، التي تنافست على إيصال الصدقات والهبات لأهالي الحرمين الشريفين، وهي كثيرة ومتعددة المصادر، أغلبها يرد من الهند، والمغرب، وغيرها.

ومما سبق يتضح أن الواردات التي تصل إلى حكام الحجاز كانت متنوعة، الأمر الذي يجعل وضعهم المالي جيداً، وتشير تقارير سالنامة ولاية الحجاز في بداية القرن الرابع عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، إلى استمرار هذه الواردات في الزيادة والتنوع[2].

ومن خلال الاطلاع على وجوه الإنفاق التي كان حكام الحجاز يبذلونها خلال فترة البحث، يمكن الوقوف على بعض النماذج لدعم أئمة المقامات في المسجد الحرام، ومن ذلك:

الاعطيات والهبات:

حظي أئمة المقامات بأعطيات وهبات شريف مكة في المناسبات[3]، كليلة ختم القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، أو بعد الخطبة للخطيب المبتدئ، ففي سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م، منح أمير مكة الشريف إدريس[4] خلعة سلطانية للشيخ عبدالرحمن

---

(١) ابن علان: عمارة المسجد الحرام، ص ٣٩، السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥١٦، ٥٥٦، ٥٥٧.

(٢) سهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ٢٩٦، وما بعدها.

(٣) دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٧٦.

(٤) الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي، ولي الحكم في مكة سنة ١٠١٢هـ، وتوفي سنة ١٠٣٢هـ. انظر: الكردي: التاريخ القويم، ٥ / ٥٠٢.

المرشدي[1]، بعد فراغه من أول خطبة[2]؛ كما أُخلع على الشيخ علي بن عبدالقادر الطبري[3] من قبل الشريف إدريس – أيضاً –[4].

الزكاة:

وهي مستمرة سنوية، ففي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، قسَّم الشريف بركات [5] صدقة نقدية على علماء المسجد الحرام، وقد شمل أئمة المقامات الأربعة منها لكل واحد دينارين[6].

ولم يقتصر الدعم على حكام الحجاز فحسب، بل إن من أبنائهم من له إسهامات في الإنفاق على العلماء، فمن المشهورات بالبر على العلماء الشريفة عزة بنت الشريف عبدالمطلب (ت:١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، فقد كانت محسنة تقية، ترسل العطايا والصدقات إلى العلماء[7].

وثمة عوامل أخرى أسهم حكام مكة المكرمة – بشكل مباشر أو غير مباشر– في توفرها، وأثرت إيجاباً في تحسين الوضع المعيشي لطائفة من العلماء، ومنها:

تعدد وظائف الإمام:

إذ لم يكن أئمة المقامات مجرد أئمة للصلاة المفروضة، بل إن كثيراً منهم علماء، سعى أمراء مكة لتوليهم الوظائف الدينية الملائمة، كالخطابة، والإفتاء، والقضاء،

---

(١) هو الشيخ عبدالرحمن بن عيسى المرشدي، ولد سنة ٩٧٥هـ، إمام المقام الحنفي، خطيب المسجد الحرام، ومفتي، ومدرس، كما تولى القضاء، من العلماء الأعلام، توفي سنة ١٠٣٧هـ. انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٥٠، وما بعدها.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٥٢.

(٣) هو الشيخ علي بن عبدالقادر الطبري، إمام المقام الشافعي، وخطيب المسجد الحرام، ولد سنة١٠١٢هـ، بمكة، ونشأ بها، توفي سنة ١٠٧٠هـ. انظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٩٨.

(٤) عبدالقادر الطبري: إنباء البرية، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، تحت رقم ٢٧٦٧، لوحة ٤٥.

(٥) الشريف بركات بن محمَّد بن بركات بن حسين، تولى حكم أمارة مكة المكرمة سنة ٨٧٨هـ، بالاشتراك مع أبيه، ثم تولاها منفرداً حتى توفي سنة ٩٣١هـ. انظر: جارشلي: أشراف مكة، ص ١٣٢.

(٦) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٢٧، ٢٢٨.

(٧) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٦.

والتدريس بالمسجد الحرام، وغيرها، خاصة من كان منهم مقرباً عند الأمير، ورغم أن الأمير في هذه الحالة لا ينفق على العلماء إلا أنه ساهم في إيجاد مصدر رزق إضافي لهم؛ وبالاطلاع على تراجم الأئمة نجد الأمثلة كثيرة، فمن ذلك: الشيخ عبدالرحمن المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، إمام المقام الحنفي بالمسجد الحرام، اشتهر بعلمه، وكان مقرباً من أمير مكة، وُلِّي عدة وظائف، حيث وُلِّي التدريس بالمسجد الحرام، وخطيب، ومفتي مكة، والتدريس بالمدرسة السليمانية، ثم القضاء[1]؛ والشيخ حسن بن إبراهيم بن حسين المالكي (ت: ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م)، من علماء الأزهر، قدم مكة المكرمة، وجاور بها، قربه أمير مكة الشريف محمد بن عون، وأنعم عليه بوظيفتي الخطابة والإمامة بمقام المالكي، والتدريس بالمسجد الحرام، والإفتاء بمكة المكرمة[2]؛ والشيخ عبدالرحمن الدهان (ت: ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)، إمام المقام الحنفي، أصبح من جملة العلماء الموظفين المدرسين في المسجد الحرام، بدعم من أمير مكة[3]؛ كما أن الشيخ حسن بن عبدالله كوجك (كان حياً سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م) إمام المقام الحنفي ومطّوف[4]، ومن المعلوم أن مهنة الطوافة وخدمة الحجاج لها نظامها ومشايخها، ويعتبر المطوفون من أكثر أهل مكة دخلاً[5]، وكان لحكام مكة المكرمة دوراً مهماً في تنظيم هذه المهنة، وجعل كل مطوف مسؤولاً عن البلد التي خصصت له، وتحديد المبالغ المالية التي تؤخذ من الحجاج في كل بلد وتدفع للمطّوف، بموجب نظام يوقعه أمير مكة[6].

الرخاء الاقتصادي: كان للرخاء الاقتصادي الذي عاشته مكة المكرمة خلال فترة البحث، بفضل مكانتها الدينية، وما أسهم به حكامها، كان له أثر في تهيئة المناخ المناسب

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٥٢.

(٢) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٦٢٩.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٤٢.

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣١٧.

(٥) مسعود آل زيد: تاريخ مكة المكرمة، ص ١٨٤.

(٦) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٥٢، ٦٥٣.

للنشاط الاقتصادي، خاصة نشاط التجارة الذي يزدهر طوال العام، ويبلغ ذروته في أشهر الحج، وهذا ما لاحظه الرحالة (باديا) عندما يذكر أن أهل مكة يعيشون من الأموال التي يحصلون عليها خلال أشهر الحج وتكفيهم بقية العام[١]، بل إن الرحالة التركي أوليا جلبي[٢] يذكر أن أهل مكة ((كلهم تجار))، وقد أشار إلى وجود (١٣٠٠) محل تجاري وثلاثة مجمعات للأسواق، كما يصف أهل مكة بأنهم مسرفون مبذرون، بسبب الثراء الذي يمتازون به[٣]، ورغم المبالغة التي يذكرها أوليا جلبي، إلا أن ذلك يعطي إشارة واضحة إلى رواج النشاط التجاري، مما يسر للأهالي والعلماء – على حدٍ سواء– سبل العيش الرغيد، فاستعان عدد من العلماء بممارسة التجارة كمصدر مُعِين للرزق، ومن العلماء التجار من أغرته الفرص التجارية المتاحة للقدوم إلى مكة ببضائعهم، ومنهم من فضل الاستقرار الدائم في مكة.

فمن العلماء التجار، الشيخ أحمد إسماعيل (ت: ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، كان والده من أرباب الثروة، وصرف عليه الكثير من أجل تعليمه، ثم جعله أمير مكة إماماً ملازماً بالمقام الحنفي، كان مولده بمكة، وبها نشأ في نعمة وافرة[٤].

---

(١) صالح بن مُحَمَّد السنيدي: رحالة إسباني في الجزيرة العربية، ص ٢٣٧.

(٢) أوليا جلبي: هو الرحالة أوليا جلبي ابن درويش مُحَمَّد آغا ظلي، اسمه الحقيقي غير معروف، وقيل إن اسمه حافظ مُحَمَّد خواجة، ولد في اسطنبول سنة ١٠٢٠هـ / ١٦١١م، تجول في رحلته في ثلاث قارات، هي آسيا وأوربا وإفريقيا، وتوفي سنة ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م، أو ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م. انظر: سهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ١٧٥، وما بعدها.

(٣) سهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ١٩٧.

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٧٤.

المطلب الثاني: دعم الدولة العثمانية:

دخلت الحجاز سلمياً تحت السيطرة العثمانية بعد ضم العثمانيين لمصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وقد حرص العثمانيون على توثيق الصلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدولة العثمانية والحجاز، ومن أبرز هذه الصلات؛ النفقات المالية للحجاز، التي حافظ عليها العثمانيون كنوع من الاحترام المتبادل، كما أنها شأنٌ دينيٌ معزِّزٌ لمكانة الدولة الروحية. وكانت هذه النفقات تنقسم إلى قسمين:

النفقات النقدية، النفقات العينية:

أولاً: النفقات النقدية: وتنوعت مصادر النفقات النقدية إلى ما يأتي:

الصّرة(١):

كانت علاقة الحجاز بالدولة العثمانية قبل فترة البحث بأكثر من قرن من الزمان، حينما أرسل السلطان بايزيد الأول (ت: ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) الصرة إلى الحجاز، وسار على نهجه من بعده السلاطين العثمانيون، محمد الأول (ت: ٨٢٤هـ / ١٤٢١م)، ومراد الثاني (ت: ٨٤٨هـ/ ١٤٥١م)، ومحمد الثاني (ت: ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، ثم بايزيد الثاني (ت: ٩١٨هـ/ ١٥١٢م) الذي أرسل صرة مناصفة بين مكة والمدينة، أما صرة السلطان سليم الأول (٩١٨هـ/ ١٥١٢م – ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) فقد بلغت ضعف ما بعثه والده، كما أبقى على الأموال والصدقات التي كان يخرجها المماليك من خزينة مصر لأهالي مكة سنوياً. وعين أول أمين للصرة في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وهو الأمير مصلح الدين، وأصبحت الصرة الهمايونية(٢) ترسل سنوياً من مصر حتى سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، حين

---

(١) الصرة: كلمة عربية تعني كيس النقود. واستخدم في الدولة العثمانية للدلالة على المبالغ المالية التي كان يرسلها سلاطين الدولة العثمانية إلى مجاوري مكة المكرمة والمدينة المنورة من الحكام والسادة والأشراف والأعيان والفقراء. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٤.

(٢) همايون – همايوني: نسبة إلى همايون، وهي كلمة تعظيم خاصة بالسلاطين العثمانيين، وكانت تستخدم مضافاً للمتعلقات الخاصة بسلاطين الدولة العثمانية، فيقال: الجيش الهمايوني، والقصر الهمايوني، والصرة الهمايونية. سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٦.

صدر مرسوم بإرسالها من خزينة الحرمين الشريفين في اسطنبول[1]. وقد اهتم السلاطين العثمانيون بأمر الصرة والقائمين عليها وزيادة رواتبهم[2]. كما التزمت الدولة بإرسالها إلى الحرمين الشريفين سنوياً، وتوزيعها وفق بنود خاصة ودفاتر محددة.

وضمت الصرة داخلها عدة صُرَر وصدقات من مصر، والشام[3]، إلى جانب ما يضيفه السلطان العثماني من ماله الخاص. وقد شملت وجوه الإنفاق الرواتب المالية والمخصصات العينية لأهل الحجاز بشكل عام ومكة والمدينة بصفة خاصة. وسنتناول هنا وجوه الإنفاق النقدية المتعلقة بأئمة المقامات، كما يأتي:

أ – الصدقة الرومية:

وهي مجموعة من الأموال، كان يرسلها السلطان بايزيد الثاني إلى الحرمين الشريفين، ثم زادها السلطان سليم الأول، وأرسل أضعاف ما كان يرسله والده[4]،كما تضاعفت في عهد السلطان سليمان[5]، وانتفع بها أهل مكة فكان منها معايشهم، وقيام أودهم، يقضون منها ديونهم، ويصرفون على حجهم وكساويهم، وينفقون على أولادهم، كما وصف ذلك النهروالي[6].

وانتفع بها أئمة المقامات كغيرهم من العلماء، فكتب أمين الصرة بيوت العلماء في مكة المكرمة، وأسماء من في البيوت، وعين لكل واحد منهم ثلاثة دنانير ذهباً، وألحق ذلك بالصرة الرومية وسماها (البيوت)[7]، فكان ما يرسل كل عام لأهل مكة – زمن

---

(١) القطبي: إعلام العلماء، ص ١٠٥، السباعي: تاريخ مكة، ص ٣٩٢، سهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ١٣١، عماد عبدالعزيز يوسف: الحجاز في العصر العثماني، ص ص ٣٦، ٣٧.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض: مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة تحت رقم (د ٤ / ٣).

(٣) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض: مجموعة الوثائق العثمانية، وثائق تحت رقم (١٦٧، ١٧٠، ١٧٥).

(٤) النهروالي: الإعلام، ص ٢٩١، الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠١.

(٥) النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٤.

(٦) النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٤. والنهروالي شاهد عيان لتلك الفترة.

(٧) النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٤.

السلطان سليمان – مبلغ ثمانية عشر ألفاً ذهباً [1]. واستمر إرسال الأموال النقدية خلال فترة البحث، ويلاحظ عليها التذبذب بين الزيادة – وهو الغالب – والانخفاض، ففي سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م بلغت ١٦٩ كيساً [2] وكسوراً، واستمرت الصرة في الزيادة حتى وصلت سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م إلى ٥٦١.٥ كيساً رومياً [3].

ب– الذخيرة:

وهي مجموعة مرتبات لجماعة من المجاورين بالحرمين، مئة دينار لكل شخص، تدفع إليهم من خزينة مصر، وكانت ترسل أيام المماليك، وأكملها السلطان العثماني سليم، وقد سجل فيها بعض أعيان مكة منهم أئمة المقام الحنفي. قال جار الله ابن فهد: ((وقد تقرر جماعة في الذخيرة الشريفة منهم...، ولإمامي الحنفية عبدالله[4] وأحمد[5] البخاري بين ثلاثين ديناراً))[6]، واستمرت أموال الذخيرة تصل لأهل مكة، قال الطبري (ت: ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) ((كان يصل إلى أهل مكة من الجهات المصرية الصر، وهو المعروف بالذخيرة، وهي باقية إلى الآن))[7].

---

(١) القطبي: إعلام العلماء، ص ١٠٩.

(٢) الكيس: هو عبارة عن عبوة من القماش تملأ بالنقد الفضي (نصف فضة)، وكان الكيس يساوي أو يسع ٢٥٠٠ فضة في سنة ١١٥٤هـ. انظر: مصطفى مُحَمَّد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص١٨.

(٣) بيومي: مخصصات الحرمين الشريفين، ص ص ١١٨، ١٢١.

(٤) هو الشيخ عفيف الدين عبدالله بن مُحَمَّد البخاري الحنفي، إمام المقام الحنفي بالمسجد الحرام، ولد سنة ٨٧٠هـ، وتوفي سنة٩٤١هـ، بمكة. انظر: ابن فهد: نيل المنى، ٢٧٧/١، الصبحي: وسام الكرم، ص٢٢٩.

(٥) هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد البخاري الحنفي (أخو الذي قبله)، إمام المقام الحنفي بالمسجد الحرام، ولد سنة ٨٨٣هـ، بمكة، ونشأ بها، كما وُلِّي القضاء والمشيخة بالبلد الحرام، توفي سنة ٩٤٨هـ. انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١/ ٢٧٧، الصبحي: وسام الكرم، ص١٣٧.

(٦) ابن فهد: نيل المنى، ١/ ٧٨.

(٧) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠٠.

ج- صرة الجوالي:

جمع جالية وهي ما يؤخذ من أهل الذمة مقابل بقائهم في بلاد المسلمين وعدم جلائهم عنها. أنشأها السلطان العثماني سليمان القانوني، وأصبحت مقاطعة قائمة بذاتها، أُطلق عليها وجاق الجوالي، أو مقاطعة الجوالي، وكانت تصرف على العلماء والصلحاء والأرامل والأيتام والمدرسين في الحرمين الشريفين[1]. كما كان جزء من نفقات تلك الصرة يصرف في هيئة مرتبات ومعاشات على أرباب الوظائف في المسجد الحرام. فعادة يصرف راتب الأئمة الرسميين -وبقية العلماء- من أرزاق العلماء التي ترسلها الدولة[2] من الذخيرة أو صرة الجوالي.

وقد بلغ مرتب أئمة المقامات في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، عثماني ونصف كل يوم، ثم زاد في نهاية القرن خمسة عثماني في اليوم لكل إمام. ففي أخبار سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٦م، ذكر القطبي أن من حسنات السلطان مراد الثالث (٩٨٢ – ١٠٠٣هـ / ١٥٧٤ – ١٥٩٤م) أنه كان للخطباء والأئمة بمكة عثماني ونصف لكل إمام في اليوم، فعين أئمة وخطباء، وجعل لأئمة الشافعية - وكانوا نحو أربعة عشر- لكل واحد خمسة عثماني[3]. وفي سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م كان راتب أئمة المقامات ما بين ٤٠ قرشاً[4] و ٢٠٠ قرش، فقد ذكر اللواء إبراهيم رفعت أن الإمام يتقاضى مرتباً يختلف بين ٤٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ قرش[5].

---

(١) النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٦، الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠١، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ص ١١٥، ١١٦.

(٢) سنوك: صفحات، ٢ /٤٩٣، دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٧٦.

(٣) القطبي: إعلام العلماء، ص ١٣١، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١١٧.

(٤) القرش: وهو من الفضة، ضرب لأول مرة في تركيا في عهد السلطان سليمان الثاني (ت: ١١٠٣هـ/ ١٦٩١م)، وفي سنة ١٣٠٢هـ كانت قيمته في مكة تساوي سبعين فضة. انظر: مصطفى محمد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ١٨.

(٥) رفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٢٦٠.

ولم يقتصر صرف المرتبات لأئمة المقامات أثناء عملهم، بل إن منهم من يخصص له راتباً شهرياً بعد عزله، فعلى سبيل المثال: الشيخ عبدالقادر خوقير[1]، تشير الوثائق العثمانية سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م بمنحه راتباً يبلغ ألف قرش شهرياً[2].

كما توضح الوثائق العثمانية لسنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م، أن المرتبات لم تقتصر على الأئمة، فقد كان المؤذنون بالمسجد الحرام يتم تعيينهم، وتخصص لهم رواتب شهرية[3].

ثانياً: النفقات العينية:

إضافة إلى ما كان يرسل إلى الحرمين الشريفين من نفقات نقدية، فقد كان يرسل نفقات عينية سنوية، تشمل: الغلال والشمع والزيوت والقناديل والحصر[4]. يصرف منها للعلماء، ومقام إبراهيم عليه السلام، والمقامات الأربعة.

ولأهمية هذه النفقات العينية السنوية فقد اهتمت بها الدولة العثمانية وأنشأت الشون لتخزين الغلال، كما أنشأت السفن الجديدة القادرة على حمل مقادير كبيرة من الغلال والزيت والقناديل[5].

ونحاول هنا القاء الضوء على ما كان يرسل للمسجد الحرام من النفقات العينية.

---

(١) إمام المقام الحنفي بالمسجد الحرام، ولد سنة ١٢٤٦هـ بمكة ونشأ بها، وكان يلقب بأبي حنيفة الصغير لدقة فقهه في المذهب الحنفي، كما كان يجاهر بالنصيحة ولا يبالي بذوي المناصب الرفيعة، لهذا أمره الشريف عون الرفيق مغادرة مكة إلى استانبول، توفي سنة ١٣٠٤هـ باستانبول. انظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض: مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة تحت رقم ١٤٩٦.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض: مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة تحت رقم ٥٤١، ووثيقة تحت رقم ١٤٦٦.

(٤) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١١٤ وما بعدها، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٤.

(٥) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧٤.

أ – الغلال :

كانت الغلال تشتمل على قمح، وذرة، وغير ذلك. وأول من رتب مخصص القمح هو السلطان سليم الأول[١] سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م[٢]، فأرسل من مصر سبعة آلاف إردب[٣] من الغلال إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، منها خمسة آلاف إردب لمكة المكرمة، وألفا إردب للمدينة المنورة، وكلف الأمير مصلح الدين الرومي بتوزيعها على مستحقيها، فكان عددهم في مكة اثني عشر ألف شخص[٤]، وعمل حصر سكاني في سجلات أدرج فيها أسماء البيوت في كل محلة وعدد ما في البيوت من رجال ونساء وأطفال وخدم، واستثني من ذلك التجار والسوقة والعسكر، وقد خص كل منهم أربع كيلات، فتسلموا حصصهم، وزيد لكل نفر دينارٌ من الذهب[٥]. وفي هذه الصدقة تكلم الأئمة وأرباب الوظائف في المسجد الحرام في طلب الزيادة، فزيد أئمة الشافعية الستة

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٣٨، النهروالي: الإعلام، ص ص ٢٩٥، ٢٩٦، القطبي: إعلام العلماء، ص ١٢٩، السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٥٢٦، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١١٤.

(٢) اختلف بعض المؤرخين في تاريخ وصول صدقة الحب، فيذكر مُحَمَّد علي بيومي في مخصصات الحرمين الشريفين أنها وصلت في سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م، بينما يذكر بعض مؤرخي مكة – مثل جارالله ابن فهد والنهروالي– أنها وصلت في سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٨م، وهي أرجح الآراء، خاصة رأي ابن فهد إذ يذكر أنها وصلت في ليلة الأربعاء من شهر ذي الحجة سنة ٩٢٣هـ وفرقت على أهل مكة في شهر صفر سنة ٩٢٤هـ. انظر: ابن فهد: نيل المنى، ٣٨/١، النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٦، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١١٤.

(٣) الإردب: مكيال ضخم يسع ٢٤ صاعاً، ويوافق ١٥٠ كجم من القمح، أو ١٣٠ كجم من الشعير، أو ١٤٠ كجم من الذرة، أو ١٥٠ كجم من الفول، أو ١٥٧ كجم من العدس. انظر: سامح عبدالرحمن فهمي: المكاييل في صدر الإسلام، ص ٤١.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٥٠، النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٥. وابن فهد شاهد عيان على أحداث تلك الفترة .

(٥) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٥٠، ٥١، النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٦، السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٥٢٦، وابن فهد شاهد عيان على هذه الصدقة.

إردبين، وأئمة الحنفية مثلهم، وأئمة المالكية وإماما الحنابلة إردباً واحداً، كما زيد المؤذنون وبعض الوظائف عدة أرادب[١].

واستمرت صدقة القمح تصل إلى الحرمين الشريفين وتوزع على المستحقين، حتى أصبحت تكفي لمعاش أهل مكة من العام إلى العام[٢]، لدرجة أن النهروالي (ت: ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) يقول: ((فلو عدموه والعياذ بالله تعالى هلكوا))[٣].

كما أخذت تتزايد بعد السلطان سليم الأول، فقد ضاعفها السلطان سليمان (ت: ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) فزادها ٣٠٠٠ إردب، وأوقف عليها بعض القرى في مصر[٤]، ثم زادها السلطان سليم بن سليمان (ت: ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م) ٧٠٠٠ إردب[٥]، ثم السلطان مراد بن سليم (ت: ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م) الذي أجرى الصدقة (المُرادية)، وكانت نحو ٥٠٠ إردب، وفي سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م أرسل ٣٠٠٠ إردب من القمح وما زال يزيدها حتى بلغت ١٠٠٠٠ إردب، وهي ما يُعرف ((بالرومية الجديدة))[٦]، ثم السلطان محمد ابن مراد (ت: ١٠١٢هـ /١٦٠٣م)، التي عرفت صدقته ((بالصدقة المحمدية))[٧]. وهذه الصدقات تدخل في الأوقاف التي سنتحدث –بإذن الله– عن دعمها للمقامات في المبحث الخامس من هذا الفصل.

وتشير المصادر التاريخية إلى استمرار صدقة القمح وتزايدها حتى نهاية فترة البحث، فقد أوردها اللواء إبراهيم رفعت ضمن ميزانية المحمل[٨] تحت بند ((ثمن

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٥٢، ٥٣. وفي هذه الصدقة تكلم جارالله ابن فهد في نقص بعض عياله حيث أعطي عن ستة أشخاص وهم عشرة، ولم يزد في عطائه.

(٢) السنجاري: منائح الكرم، ٣ / ٢٣٧.

(٣) النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٥.

(٤) النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٥، رفعت: مرآة الحرمين، ٢ / ٣١١، السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٢٧.

(٥) النهروالي: الإعلام، ص ٣٨٢. والنهروالي شاهد عيان على أحداث تلك الفترة.

(٦) رفعت: مرآة الحرمين، ٢ / ٣١١.

(٧) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠١.

(٨) المحمل: ويقصد به قافلة الحج التي تتحرك إلى الحجاز. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي ص ٢٠٤.

ونفقات قمح الصدقة))، خلال السنوات من سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م إلى سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م[١]. وقد بلغت صدقة القمح ١٢٠٠٠إردب سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م[٢].

الجدير بالذكر أن صدقة القمح ليست هي الصدقة الوحيدة التي توزع على أهل مكة خلال فترة البحث، فقد كانت تصل صدقة الذرة من اليمن وتوزع على القضاة والأئمة والخطباء والمؤذنين وسائر أرباب الوظائف بالمسجد الحرام. فيذكر جارالله ابن فهد في أخبار سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٧م أن صدقة الذرة وزعت على أئمة المقامات الأربعة لكل واحد أربعة أرادب، وكذلك المؤذنين، ثم زيد بعض العلماء إردبين[٣].

كما يجدر بالذكر أن صدقة القمح من مصر، وصدقة الذرة من اليمن، يأتي غيرها بعض الحبوب من الشام، يوضح ذلك بعض الوثائق العثمانية[٤]، إذ تشير هذه الوثائق إلى المراسلات بين والي الشام والباب العالي[٥] في إسطنبول، حول طريقة جمع المتحصل من قرى الشام.

ب- كسوة مقام إبراهيم عليه السلام:

كان مقام إبراهيم عليه السلام موضع اهتمام من الدولة العثمانية على عدة صور، منها: الاهتمام بترميمه وتجديده - كما مر معنا في هذا الفصل-، وقد صرفوا في ذلك الأموال العظيمة. ومنها اهتمامهم بكسوة المقام كجزء من عدة كُسا اهتم بها العثمانيون، مثل: كسوة الكعبة المشرفة، وكسوة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومقام إبراهيم عليه السلام، وحجر

---

(١) رفعت: مرآة الحرمين، ٢ / ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) رفعت: مرآة الحرمين، ٢ / ٣١١.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٣٩٩. وابن فهد شاهد عيان على هذه الصدقة، ولم يحصل له زيادة منها .

(٤) دارة الملك عبدالعزيز بالرياض: مجموعة الوثائق العثمانية، وثائق تحت رقم (١٦٧، ١٧٥).

(٥) الباب العالي: يطلق في الاصطلاح العثماني على مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية. وقد أنشأه السلطان محمد الرابع سنة ١٦٥٤م، وأطلق فيما بعد اسم المكان على ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٤٩.

إسماعيل عليه السلام، وكيس مفتاح الكعبة المشرفة، وتعرف في الوثائق باسم ((إخراجات كسوة شريفة))[1].

ونتيجة لاهتمام العثمانين بالكسوة فقد أوقف السلطان سليمان بعض القرى بمصر تُدِرُّ ريعاً سنوياً يصرف منه على صناعة الكسوة، كما أُنشئ لها مصنع[2]. كما أن من مظاهر اهتمام السلاطين العثمانيين بالكسوة – كسوة الكعبة ومقام إبراهيم – أن أقيم لها احتفالان في مصر، الاحتفال الأول في شهر رمضان لاستعراض الكسوة والمرور بها في شوارع القاهرة، والاحتفال الآخر في شهر شوال، وهو الاحتفال الكبير بخروج المحمل والكسوة من مصر إلى الحجاز[3].

أما مكونات كسوة المقام فتتكون من خمس قطع مصنوعة من الحرير الأسود للقوائم الأربعة والسقف[4].

ج - نفقات عينية أخرى:

كان إلى جانب نفقات صدقة الغلال، وكسوة المقام، هناك نفقات أخرى تتمثل فيما كانت ترسله الدولة العثمانية من زيت، وقناديل، وشمع، وحصر للمسجد الحرام والمقامات الأربعة، إضافة إلى الهدايا والخلع العينية لأئمة المقامات.

وكان الزيت المستخدم في إضاءة المشاعل في الحرمين الشريفين هو زيت السمسم، ويرسل من مصر على نفقة الدولة، وفي أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي كان يرسل إلى الحرمين الشريفين أربعة وسبعون قنطاراً من زيت السمسم والكتان، يختص أهالي مكة المكرمة والمسجد الحرام واحداً وخمسين قنطاراً[5]. وكانت

(١) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٠.

(٢) انظر: رفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٩، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٤.

(٣) انظر: رفعت: مرآة الحرمين، ٩/١، وما بعدها، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص٢٨٥.

(٤) انظر: رفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٢٩٥، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٨.

(٥) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٨٩.

الزيوت تأتي من صعيد مصر في أوانٍ فخارية تحمل على ظهور الإبل إلى ميناء السويس ثم تنقل بالسفن إلى ميناء جدة[١].

كما كانت الدولة العثمانية ترسل القناديل الزجاجية، والشموع لإضاءة الحرمين الشريفين والمقامات الأربعة في المسجد الحرام، فتنقل من مصر إلى الحجاز. قال السباعي: ((كانوا يضيئون المقامات الأربعة بالشمع يجعلونه في شمعدانات من المعدن الأصفر، علاوة على ما أنيط بسقفها من قناديل))[٢].

وإلى جانب الزيت والقناديل والشموع، كانت الدولة العثمانية ترسل الحصر لتغطية أرض الحرمين الشريفين وبقية المساجد[٣].

وقد استمرت هذه النفقات إلى نهاية فترة العثمانيين، فقد ذكرت سالنامة ولاية الحجاز لعام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م، أنه إضافة إلى ما يتم إرساله إلى مكة المكرمة مع الصرة الهمايونية من المواد الغذائية والمبالغ المالية، فإنه يتم إرسال (٤٤٥٩) أوقية من الزيت من مصر، و(١٣.٤٤٢) أوقية من إسطنبول، وعدد (١٤٥.٤٤٩) أوقية من كافور الشمع من إستانبول، و(٥٨١) أوقية من الشمع، و(٣٠٠) درهم دهن الورد، وعدد (٦.٢٥٠٠) أوقيات من البخور[٤]، وكان ثمن الزيت المرسل من مصر وإسطنبول يبلغ (١٠٥.٠٠٠) قرشاً، ونستخلص من هذه الأرقام أن الدولة العثمانية كانت مهتمة بمكة المكرمة والمسجد الحرام.

إضافة إلى النفقات العينية للمقامات، كان بعض الأئمة يحصل على بعض المخصصات العينية السنوية، فعلى سبيل المثال: الشيخ عبدالكريم القطبي[٥] ((جُعلت له

---

(١) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٩٠.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٦٧.

(٣) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٩١.

(٤) سهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ٣٠١.

(٥) إمام المقام الحنفي بالمسجد الحرام، ولد سنة ٩٦١هـ بالهند، ونشأ بمكة، كما وُلِّيَ إفتاء مكة سنة ٩٨٢هـ، توفي سنة ١٠١٤هـ بمكة. انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٢٨٠، ٢٨٢.

خلعة تحمل مع الركب المصري))[1]، كما جُعل له صوف يأتي من الدولة العثمانية، والشيخ يحيى الطبري[2] كان يرسل له السلطان سليمان القانوني صوفين عظيمين وبساطاً مصلى[3]. كما كان السلطان سليم الثاني (ت: ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م) يرسل لبعض العلماء والصلحاء والمشائخ في المسجد الحرام كسوة من الأصواف الخاصة[4].

(١) القطبي: إعلام العلماء، ص ٢١.

(٢) إمام المقام الشافعي في القرن العاشر الهجري، كان حياً سنة ٩٤٤هـ. انظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ٤٣٢.

(٣) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٥٢.

(٤) النهروالي: الإعلام، ص ٣٨٣.

المبحث الثالث

دعم الدول الإسلامية

استمر الاهتمام بالحرمين الشريفين من قبل الأشراف حكام الحجاز، والدولة العثمانية، بل امتد هذا الاهتمام إلى حكام بعض البلاد الإسلامية الذين تنافسوا على تقديم الصدقات والهبات لأهل الحجاز، لاسيما أمراء الهند، ومصر، والمغرب، والجزائر، الذين كانوا يفدون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ويصرفون بسخاء على المحتاجين خصوصاً العلماء من القضاة والأئمة، وقد تنوعت هذه الصدقات إلى نقدية وعينية.

فمن بداية فترة البحث وما قبلها انتظمت الصدقات الهندية لأهل الحرمين الشريفين، ففي سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م، وصلت صدقة اللاك[١] من ملك المملكة الكجراتية والأعمال الهندية[٢] لهذه السنة والتي قبلها، ووزعت على المحتاجين في مكة، وفي السنة نفسها وصلت صدقة أخرى وفيها قماش وأرز وبهار. وفي سنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٨م أرسل ملك الهند مظفر شاه[٣] صدقته لأهل الحرمين الشريفين. ويصف ابن فهد هذه الصدقة بقوله: ((وهي كبيرة جداً لم يُرَ مثلها))[٤]، ((فهي عظيمة لم يسبق صاحبها))[٥]، وكانت نحو ستين ألف دينار غالبها لأهل مكة المكرمة والباقي لأهل المدينة المنورة، وتشتمل على قماش ولاك ونيل، وقرر في هذه الصدقة كثيراً من العلماء، كما اشترى بيتاً وأوقفه مدرسة لتدريس الفقه الحنفي، وبها عشرة أشخاص يقرؤون

---

(١) اللاك: استعمال فارسي وهندي للدلالة على مئة ألف، وقد يستعمل لما هو أكثر. ابن فهد: نيل المنى، ١/ ٥٣.

(٢) الدولة الكجراتية الهندية تأسست من بداية القرن الخامس الهجري، وأزالها المغول سنة ٩٧٨هـ. ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٧٣.

(٣) هو السلطان مظفر شاه بن السلطان محمود شاه سلطان الهند، له مآثر جميلة بمكة المكرمة، توفي سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م. انظر: حسين عبدالعزيز شافعي: الأربطة بمكة المكرمة، ص ٣٦.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٣٨.

(٥) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٤١.

القرآن الكريم وشيخهم إمام الحنفية الشيخ عبدالله البخاري الذي خصص له عشرين أشرفياً[(١)]. ويصف ابن فهد تأثير هذه الصدقة على أهل الحرمين الشريفين، فيقول: ((فإن ذلك وقع به عند أهل الحرمين موقعاً كبيراً، لما هم فيه من ضيق الحال لغلو الأقوات واستمراره مدة طويلة))[(٢)]. واستمرت الصدقة الهندية لأهل الحرمين، وأفاد منها العلماء في المسجد الحرام. ففي سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩م، قرر لبعض أئمة المقامات ثماني أشرفيات[(٣)]، وفي سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م، جعل لأئمة الحرم ومشائخه لكل واحد عشرة أشرفيات وأقل منها، ولعيالهم من ستة وخمسة ودونها[(٤)]. وفي رمضان سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م، وصلت الصدقة الهندية إلى مكة المكرمة وفرقت مبالغ نقدية على أرباب الوظائف والفقراء ولم تشمل العامة، قال جارالله ابن فهد: ((وكنت ممن عُيّن له ثلاثة أشرفية))[(٥)]، وفي سنة ٩٣٦هـ / ١٥٣٠م، كانت الصدقة نقدية واقتصرت على العلماء وأرباب الوظائف، ففُرِّقَ على القضاة المتولين والمفصولين، والخطباء، والأئمة الشافعية خمسة وثلاثون أشرفياً، والأئمة الحنفية خمسة وعشرون أشرفياً ،وللخدام، والفراشين، والمدرسين، والمؤذنين وغيرهم[(٦)]. وفي سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، فرقت الصدقة الهندية على أرباب الوظائف في المسجد الحرام، من القضاة ،والأئمة، والشيبيين، والمؤذنين، والفراشين، وكانت هذه الصدقة من الذهب والشاش، وكان المتولي توزيعها إمام الحنفية الشيخ محمد البخاري، ثم فُرِّقَت بعد شهرين من هذه السنة صدقة أكبر من الأولى، شملت القضاة والأئمة والمؤذنين والفراشين وغيرهم، فأعطي كل نفر عشرة

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٣٨ – ١٤٢. وابن فهد شاهد عيان على الصدقات الهندية.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٣٩.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٦٩.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٦٩.

(٥) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٥٩، ٤٦٠.

(٦) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٥٢٨.

أشرفية وشاشين[1]. واستمرت الصدقات الهندية لأهل الحرمين الشريفين، ففي سنة ١١١٩هـ / ١٧٠٧م، وصلت مراكب سلطان الهند أورنك زيب عالمكير تحمل الصدقة الهندية لأهل مكة، كما كان له حسنات وخيرات ومرتبات لأهل الحرمين الشريفين، واستمرت هذه الصدقات، فقد ذكرها السنجاري في زمنه سنة ١١٢٥هـ / ١٧١٣م[2]. كما كان لابنه السلطان شاه عالم[3] صدقات لأهل الحرمين، ففي سنة ١١٢١هـ/ ١٧١٠م، أرسل صدقته لأهل الحرمين الشريفين وهي خمسة لكوك رُبية[4]، وفي سنة ١١٣١هـ / ١٧١٨م، وصلت الصدقة الهندية، وسُجِّلَ المستحقون في دفترين فيهما أسماء الأئمة والخطباء والمدرسين بالمسجد الحرام، فقسم المال بينهم ،وأعطي المدرسون على اثني عشر، وبعضهم عشرة، وبعضهم ثمانية، والخطباء والأئمة كل واحد ستة حُمْر، أما العامة فقد وزع على كل شخص ما بين ثلاثة قروش وربع قرش[5].

وعندما قدمت ملكة بهبال لأداء فريضة الحج سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م، فرقت كثيراً من الأموال والثياب وغيرها على خدام الحرم المكي الشريف، والفقراء؛ كذلك أحد أمراء الهند حين حج سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م، فرق على شريف مكة المكرمة وبقية الأشراف والعلماء وخدمة الحرم الشريف مجموعة من الأموال[6].

وممن وصل عطاؤه إلى الحرمين الشريفين، سلطان المغرب الذي تنوعت صدقاته للحرمين الشريفين بين هدايا مؤقته وأموال ضخمة ترسل على هيئة صرة منتظمة تحمل

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ٢ / ٦٠٥. وابن فهد شاهد عيان على توزيع هذه الصدقة.

(٢) السنجاري: منائح الكرم، ٥ / ٤٣٦، آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٥.

(٣) وهو المعروف بالشاة علم بهادر، وهو أكبر أبناء السلطان أُورنك زيب، قضى على أخويه، وانفرد بالعرش إلى حين وفاته. السنجاري: منائح الكرم، ٥ / ٤٣٦.

(٤) السنجاري: منائح الكرم، ٥ / ٤٧١، آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٥.

(٥) انظر: آمال رمضان، ٢ / ٥٨٥، ٥٨٦.

(٦) آمال رمضان، ٢ / ٥٨٤، ٥٨٥.

أموال الأوقاف والهبات من سلطان المغرب لأهل الحجاز، وكثيراً ما أفاد منها العلماء في المسجد الحرام.

ففي سنة ١١٠١هـ/ ١٦٠٩م، قدم ركب الحج المغربي وقد زوده السلطان إسماعيل (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م – ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) بأموال ضخمة هدية للحرمين الشريفين، وخاصة مكة المكرمة، حيث كان يخصص للعلماء والفقراء واليتامى والضعفاء مبالغ سنوية [١].

وفي سنة ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م، أرسل سلطان المغرب هدية عظيمة من الذهب، ومالاً كثيراً فرق على الأشراف، والعلماء، والنقباء، وأهل الوظائف بمكة والمدينة[٢]. وفي سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م، أرسل السلطان سليمان بأموال ضخمة مع محمد بن عبدالسلام[٣] لتفريقها على العلماء في المسجد الحرام، وأراد أمير مكة الشريف غالب[٤] أن يتولى صرفها، لكن ابن عبدالسلام صرفها من ليلته على مستحقيها من الشرفاء والعلماء والمؤذنين والفراشين وسدنة الكعبة[٥].

وفي سنة ١٢٠٣هـ / ١٧٨٩م، أرسل سلطان المغرب هدية للحرمين الشريفين وهي خمسة آلاف سبيكة من الذهب، زنة كل سبيكة مئة دينار، إضافة لما يخصص للعلماء وطلبة العلم من هدايا[٦].

---

(١) التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢٣٨، رحلة اليوسي.

(٢) التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٣٨١، ٣٨٥. رحلة الأمير المولى علي.

(٣) هو محمد بن عبدالسلام بن عبدالله الناصري الدرعي المتوفي سنة ١٢٣٩هـ، من بيت علم مشهور، وقد حج مرتين إحداهما سنة ١١٩٦هـ، والثانية سنة ١٢١١هـ. انظر: حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص ٢٧.

(٤) غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد، ولِّي شرافة مكة سنة ١٢٠٥هـ، إلى أن قبض عليه محمد علي باشا والي مصر وولَّى مكانه الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة المكرمة سنة ١٢٢٨هـ. وتوفي بسلانيك سنة ١٢٣١هـ. باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص ٤٠٤.

(٥) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص ص ٣٥، ٣٦.

(٦) التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٤٣٩، ٤٤٠، رحلة الأمير المولى عبدالسلام.

وتشير الوثائق المغربية سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م، إلى لوائح بأسماء العلماء، وأئمة المقامات، وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام ممن شملتهم منح السلطان عبدالرحمن[١].

كما كانت الصدقات والهبات تصل إلى الحرمين الشريفين من أمراء مصر، ففي سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م، وصل إلى مكة للحج أمير الصعيد داود الهواري، وكتب أسماء أرباب الوظائف من العلماء وغيرهم، وفَرّق دراهم على القضاة، والأئمة، والخطباء، وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام قرابة ١٠٠٠ دينار. وعند سفره من الحج أمر بتفريق ١٢٠٠ إردب قمح، وكتب له قائمة بأسماء المستحقين، فعين لكل واحد إردباً وأقل منه[٢]. ويظهر أن هذه الصدقة مؤقتة، إذ حصلت أثناء حج الأمير لهذه السنة.

وحين وصل محمد علي باشا مكة المكرمة سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م، وزع الهدايا على العلماء[٣].

كما كان من أصحاب الصدقات على أهالي الحرمين، وبخاصة العلماء والطلاب منهم، الدعم السخي الذي بذله الأمير الجزائري عبدالقادر محيي الدين بن مصطفى المختار، حج سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م، وسنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م، وكان محباً للعلم والعلماء، جاور فترة بمكة، وكان يلتقي بالعلماء ويحاورهم في بعض المسائل، ويحسن إليهم بالعطاء والبذل[٤].

ويظهر مما سبق تنافس حكام الدول الإسلامية على البذل والعطاء لأهل الحرمين الشريفين، يدفعهم لذلك الدافع الديني، والحرص على توثيق الصلات مع حكام الحجاز والعلماء. كما يظهر تنوع هذه الصدقات إلى نقدية وعينية، بعضها يحصل أثناء موسم الزيارة للحج ثم ينقطع، والبعض مستمر سنوياً ومنظم في سجلات توضح المستحقين لهذه الصدقات.

---

(١) التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٥٠٨، انظر: الملحقات، وثيقة رقم (٢).

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٧٥، ٤٨٢.

(٣) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٤.

(٤) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٤.

المبحث الرابع

دعـــم ســـكان مـــكة

لم تقتصر مصادر الإنفاق على المقامات وعلمائها على دعم حكام الحجاز، أو الدولة العثمانية، أو الدول الإسلامية، بل إن سكان مكة ساهموا في الإنفاق على علماء المقامات، وقد تنوع هذا الإنفاق على عدة وجوه، منها: الصدقات من التجار، والوصايا في التركات، وغيرها.

فمن التجار الذين لهم إسهامات؛ الشيخ علي الجداوي، وهو من أثرياء التجار الذين لهم صدقات تعم الحرمين الشريفين من علماء، وخطباء، وفقراء، وغير ذلك[١].

ومن مصادر الإنفاق على علماء المقامات؛ الوصية في التركات من أهل مكة، تجاراً أو مجاورين، فكثيراً ما يوصي المتوفى بجزء من ماله لأرباب الوظائف في المسجد الحرام، أو لأحد أئمة المقامات الأربعة. فمن ذلك في سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م، أوصى شمس الدين محمد الخانكي بثُلُث تركته، منها مئة وخمسون ديناراً لشريف مكة، وثلاثون للقاضي الشافعي، وخمسون لإمام المقام الحنفي شهاب الدين البخاري، ومئتان تفرق على أهل مكة، ففرقت على الفقراء وأرباب الوظائف بالمسجد الحرام[٢]. وفي وصية أخرى في السنة نفسها، أوصى شخص رومي اسمه يوسف – نزيل مكة – بمئة وخمسين ديناراً للشريف بركات[٣]، ومثلها للقاضي الشافعي، وبحجة بمئة دينار، وأن يفرق ثُلُث ماله على أهل الحرم وغيرهم[٤]. وفي وصية سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م، أوصى المتوفى بثُلُث تركته لأهل الحرمين الشريفين، وهي قماش ودراهم، وشرع قاضي مكة في كتابة قائمة

---

(١) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٦.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٣٢.

(٣) الشريف بركات بن محمد: تولى حكم إمارة مكة المكرمة بالاشتراك مع أبيه في سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م، وبعد وفاة أبيه تولى الإمارة منفرداً، توفي سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٤م. انظر: حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٢٧.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٤٢.

لتفرقتها، ففرقها على القضاة في مكة ونوابهم، وسادن الكعبة، والخطباء، وأئمة المقامات وأولادهم، فأعطى الأئمة كل واحد ثماني أشرفيات ثم زاد الأئمة إلى عشرة. قال جارالله ابن فهد ((وأنا منهم))، وأعطى أولاد الأئمة خمس أشرفيات[١]. كما فرقت وصية في سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م، على العلماء في مكة المكرمة[٢].

ومن وجوه الإنفاق والدعم من سكان مكة للعلماء؛ بعض الصدقات التي تخصص للعلماء، ومنها: في سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م، فرق القاضي الشافعي مبَّرة على العلماء، فأعطى كل قاض سبعة أشرفية، والنواب نصفها، ولأئمة المقامات ثلثها، قال جارالله ابن فهد: ((ولي من الجهتين – قاضي وإمام – ثلاثة أشرفية))[٣].

وممن يدعم علماء مكة المكرمة، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سراج[٤] (ت: ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م)، فقد اشتهر بكرمه وجوده، وتفقده لمساكين العلماء بالصدقة[٥].

ومن وجوه الدعم لأئمة المقامات، دعم الأئمة بعضهم لبعض، عندما يتنازل إمام إحدى المقامات الأربعة عن الإمامة وراتبها أو جزء منها لإمام آخر أو لأحد أقاربه – أبنائه أو صهره – فيشترك أكثر من إمام في وظيفة واحدة، ويقتسما راتبها، ففي ذلك دعم مالي للإمام الجديد، وتواصل اجتماعي. والأمثلة في هذا الجانب كثيرة خلال فترة البحث، منها: أنه في سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م، تنازل الشيخ صبغة الله[٦] بن محمد مكي

(١) انظر :ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٥٥، ٢٦٧. وابن فهد شاهد عيان على أحداث هذه الفترة.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٧٥.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٧٥.

(٤) هو الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن سِراج – بكسر السين وتخفيف الراء – الحنفي المكي، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٠٠هـ، ونشأ بها، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام، كان مقرباً من الشريف مُحَمَّد بن عون، وتوفي سنة ١٢٦٤هـ. انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٥) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٦.

(٦) الشيخ صبغة الله بن مُحَمَّد مكي بن عبدالمحسن الموروي الحنفي، إمام وخطيب المسجد الحرام، كان حياً في القرن الثاني عشر الهجري. انظر: السنجاري: منائح الكرم، ٥ / ٢٠٥.

فروخ عن إمامة المقام الحنفي لحسين بن حبيب السندي لتبنيه له[1]. وفي ترجمة الشيخ حمودة[2] بن عطية (ت: ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م): ((أن الشيخ مصطفى مرداد أفرغ عليه ربع خطابة، وربع إمامة))[3].

---

(١) السنجاري: منائح الكرم، ٥ / ٢٠٥، الصبحي: وسام الكرم، ص ٧٦.

(٢) الشيخ حمودة بن عطية السندي الحنفي، إمام وخطيب المسجد الحرام، ولد بمكة ونشأ بها، وطلب العلم على علماء البلد الحرام، توفي سنة ١٢٦٧هـ، بمكة. انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٨٣.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٨٣، الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٧٦، ١٦٧.

المبحث الخامس

دعم الأوقاف للمقامات

اعتنى سلاطين المسلمين بالوقف على الحرمين الشريفين في مختلف العصور الإسلامية حتى آخر العصر العثماني، ابتغاءً للثواب ومرضاة الله، واستباقاً إلى فعل الخيرات، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[(١)]، ولما للوقف من أثر فعّال في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي العصر الأيوبي، والمملوكي على مصر حظي الحرمان الشريفان وسكانهما والمجاورون بالعديد من الأوقاف التي استمرت إلى العصر العثماني.

وفي العصر العثماني اهتم السلاطين بالأوقاف السابقة، وزيادة ريعها، وأوقفوا العدد الهائل من الأوقاف سواء في مصر، أو الحجاز، أو الشام، أو أنحاء الأناضول كافة، وكانت أوقاف مصر أهم مورد للإنفاق على الحرمين الشريفين، فقد جدد السلطان سليم الأول عند دخوله مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، عدداً من القرى والأراضي الزراعية، والمنازل الموقوفة التي يذهب ريعها إلى الحرمين الشريفين، كما أوقف عدة قرى أُخَر تدر ريعاً كبيراً للغرض نفسه، وفي أثناء إقامته بمصر أصدر مرسوماً أمر فيه بالمحافظة على الأوقاف ومصادر ريعها[(٢)]، وسار على نهجه السلطان سليمان القانوني، فضم إلى هذا الوقف عدداً كبيراً من الأوقاف[(٣)]، وتعددت أوقاف السلاطين العثمانيين بعدهم، وكان ريع تلك الأوقاف يرسل سنوياً إلى الحرمين الشريفين تحت مسمى (الصرة الرومية) أو (الصرة الشريفة إلى أهالي الحرمين الشريفين)، وقد شملت الصرة الرومية إيرادات

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٩٢).

(٢) حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٣٥.

(٣) النهروالي: الإعلام، ص ٣٣٥، القطبي: إعلام العلماء، ص ١٠٩، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٣٥.

الأوقاف النقدية التي توزع في الحرمين الشريفين، فشملت أوقاف الدشايش الشريفة[١] (الدشيشة الكبرى)، ووقف الخاصكية[٢]، ووقف المرادية (الدشيشة الصغرى)، وغيرها من أوقاف السلاطين العثمانيين، إلى جانب هذه المبالغ النقدية كان يُوَزّع سلعاً عينية لأهالي الحرمين الشريفين.

وكانت هذه المبالغ النقدية والسلع العينية تُوزّع على مستحقيها من الفقراء والمعوزين، وقسم منها على العلماء والخطباء، والأئمة، والمدرسين، والمجاورين، وطلبة العلم، ومن أشهر هذه الأوقاف:

أولاً: أوقاف السلاطين:

تنوعت أوقاف السلاطين العثمانيين التي يصل ريعها إلى العلماء والأئمة في المسجد الحرام، وأهمها: الأوقاف في مصر، والأوقاف في الشام.

أ – الأوقاف في مصر:

١ – وقف الدشايش الشريفة (الدشيشة الكبرى):

وهو أكبر الأوقاف المصرية على المسجد الحرام خلال فترة البحث، أنشأه السلطان المملوكي جقمق، ثم أضاف إليه السلطان قايتباي ،وفي العصر العثماني، لم يلغِ العثمانيون

(١) الدشايش الشريفة: اسم لأوقاف السلاطين المماليك، والأوقاف التي أضافها السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، وعندما أوقف السلطان مراد الثالث وقفه المعروف بـ (وقف الدشيشة المرادية) أو (وقف الدشيشة الصغرى)، لأنه كان أصغر حجماً من وقف الدشايش الشريفة، عندئذٍ أطلق على وقف الدشايش الشريفة اسم (الدشايش الكبرى) تمييزاً لها عن وقف الدشيشة الصغرى. انظر: حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٣٥.

(٢) الخاصكية: كانت تعني في العصر المملوكي فئة من مماليك السلطان أو الأمير، أما في العصر العثماني، فكانت تطلق كلمة الخاصكي على ثلاث طوائف:

أولاً: الخاصكية طائفة من موظفي القصر.

ثانياً: يطلق على فئة من كتائب الجيش.

ثالثاً: الخاصكية من النساء، وهن الجواري في العصر العثماني، ومنهن صالحات، أوقفن العديد من الأوقاف السلطانية على الحرمين الشريفين. انظر: بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٧٥، مسعود آل زيد: تاريخ مكة، ص ٢٨٧.

ما أوقفه السلاطين المماليك، بل نظموها، وأضاف لها السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني أوقافاً، وفي سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م، دمجت كل أوقاف المماليك والعثمانيين في وقف واحد، وإدارة واحدة، وأصبح يعرف بالدشيشة الكبرى، تمييزاً له من أوقاف السلطان مراد الثالث التي أطلق عليها الدشيشة الصغرى[١]، وبلغت القرى الموقوفة عليه ستين قرية من قرى مصر[٢]، وهي أول صدقة حب، وكانت لعموم الناس في الحرمين الشريفين، ومنهم العلماء والأئمة في المسجد الحرام على المذاهب الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي[٣] ،وفي بداية فترة البحث، أرسل السلطان سليم الأول ريع وقف الدشايش من الغلال إلى مكة المكرمة، وقدره (٥٠٠٠) إردب، ثم ضاعفها السلطان سليمان القانوني، واستمرت في الزيادة، ففي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، بلغ ما يرسل لمكة المكرمة، في كل سنة، من المال سبعين كيساً، ومن الغلال (٣٣.٨٨٠) إردباً، وانتظمت هذه الأوقاف النقدية والعينية يصل ريعها لأهل مكة سنوياً، ويذكر مؤرخو مكة توزيعها على مستحقيها في شهر ذي الحجة قبل الصعود لعرفات[٤].

٢ – وقف الخاصكية الكبرى (الخاصكية القديم) :

يطلق هذا الوقف على وقف زوجة السلطان سليمان القانوني (خاصكي سلطان)، ووالدة السلطان سليم الثاني، أوقفته سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م، وهو عبارة عن عدة قرى بمصر، إضافة إلى مبانٍ في القاهرة ومكة المكرمة، وبعض الأقاليم[٥].

---

(١) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٦٥.

(٢) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٦٧، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٣٧ .

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١/٤٧٧، ٢/٥٧٧. فهذه الأوقاف يتولى تفريقها على مستحقيها؛ قاضي القضاة بحضور القاضي الحنفي والمالكي والحنبلي، بينما الأوقاف الشافعية تكون بحضور القاضي الشافعي.

(٤) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١/٤٧٨، النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٣، الطبري: الأرج المسكي، ص٢٠١.

(٥) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٧٥، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٤٠ .

كان ريع هذا الوقف مكوناً من غلال ومواد غذائية، مثل: السمن، والأرز، والبصل، والحمّص وغيرها، وكذلك أموالٍ نقدية، ترسل سنوياً إلى الحرمين الشريفين، لتصرف على تكيتين بمكة والمدينة، فكان ما يرسل من أموال نقدية لمكة المكرمة، ثابتة، بلغت في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، (٦٠٠٠٠٠) بارة، ومن الغلال ألفا إردب لمكة والمدينة[١]، كما أن هذا الوقف قد أُوقف على العلماء، فمن شروطه أن يتولى الإشراف على التكية شيخ صالح، وتعيين العلماء، والمعلمين، وقراء القرآن في التكية، يصرف لهم راتباً معيناً، وقدراً من المواد الغذائية من التكية، ومن الحنطة السنوية[٢].

٣ – وقف الخاصكية الصغرى (المستجدة):

أوقفته السيدة عائشة والدة السلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م، ولصغر حجم هذا الوقف، أضاف إليه إبراهيم باشا[٣] تكية الخاصكية الكبرى في مكة المكرمة، وأطلق عليها تكية " دار الشفاء "، وقد بلغ ما يصل إلى مكة المكرمة من هذا الوقف سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م، إلى (٥١١٩٠٠) بارة[٤]، يصرف جزء كبير منها رواتب لعلماء وأئمة الشافعية[٥]، وقد استمرت أوقاف الخاصكية ترسل إلى مكة المكرمة حتى القرن الثالث عشر الهجري.

٤ – وقف الدشيشة المرادية (الدشيشة الصغرى):

أنشأ هذا الوقف السلطان العثماني مراد الثالث سنة ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م، وضم خمس عشرة قرية[٦]، وقد وُقِفَت جميعها على مكتب لتحفيظ القرآن، ومدرسة، وتكية

---

(١) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٧٥، آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٧٤.

(٢) الطبري: الأرج المسكي، ص ٧٦، حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٤٥.

(٣) إبراهيم باشا: حكم مصر في الفترة (١٠٨١ – ١٠٨٤هـ)، قام بعملية واسعة لتنظيم أوقاف الحرمين وغلالها. انظر: حمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٣٤٤.

(٤) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٧٥.

(٥) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٠٠، ٢٠٩، ٣٢٧، ٤٣٠، ٤٧٧، ٢ / ٥٧٧.

(٦) لمزيد من المعلومات عن القرى، انظر: بيومي: مخصصات الحرمين، ص ص ٨٦ – ٨٧.

بمكة المكرمة، وقراء لقراءة كتاب الله[1] ومرتبات لأئمة المقامات[2]، وقد وصل إلى الحرمين الشريفين في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، من الحب (٢٢٠٠) إردب، ومن النقد (١٧) كيساً[3] توزع على مستحقيها في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

الجدير بالذكر أن هذا الوقف لقي اهتماماً، فأُوقفت سفينة خاصة لنقل متحصله من الغلال إلى الحجاز، والعديد من الموظفين، وفحص الحب في مصر قبل نقله إلى الحجاز، ثم فحص عينة منه في مكة المكرمة – مثل الغلال الأخرى – قبل توزيعه؛ ومع هذا الاهتمام إلا أن إيراداته من الغلال والأموال كثيراً ما تتأخر أو تنقطع [4]، لكنه يبقى من أضخم الأوقاف السلطانية التي كانت ترسل للحرمين الشريفين.

وتشير المصادر إلى استمراره حتى آخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فنجد ذكره ضمن مخصصات الحرمين في بيانات توزيع الصرة لسنة ١٢٧٣هـ[5].

٥ – وقف الدشيشة المحمدية:

ينسب وقف المحمدية إلى السلطان محمد بن مراد[6]، إذ أوقف مجموعة من القرى[7] بمصر على الأهالي والفقراء في مكة المكرمة، وعلى التكية المحمدية بالمدينة

---

(١) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٨٥، آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٧٤.

(٢) رفعت: مرآة الحرمين، ٢ / ٣١١.

(٣) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٨٨ .

(٤) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠٤، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٩٠.

(٥) مصطفى مُحَمَّد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ٣٤.

(٦) هو السلطان مُحَمَّد الثالث بن مراد بن سليم الثاني بن سليمان القانوني، تولى السلطنة سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٥م، كان سلطاناً مهاباً، جليل القدر، له خيرات عظام، منها هذا الوقف على الحرمين، توفي سنة ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م. انظر: مُحَمَّد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ٢٦٧، ومابعدها.

(٧) لمزيد من المعلومات عن القرى، انظر: بيومي: مخصصات الحرمين، ص ص ٩٣ — ٩٤.

المنورة[١]، وكان يتحصل من ريع هذه القرى في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، من المال (١٢) كيساً، ومن الحب (١٢٠٠٠) إردب[٢]، وأخذ ريع هذا الوقف في الزيادة والاستمرار حتى القرن الثالث عشر الهجري، حيث نجد مصروفاته ضمن بيانات توزيع الصرة لسنة ١٢٧٣هـ[٣].

٦ – وقف الأحمدية:

وهو من أوقاف السلطان أحمد بن محمد الثالث[٤]، وقد خصص هذا الوقف للإنفاق على العلماء والأئمة والموظفين في الحرمين الشريفين[٥]، وصل لأهالي مكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، مبلغ (١٤٥٠٨٠) كيس، وقد ظل هذا المبلغ ثابتاً طوال القرن الثاني عشر الهجري، واستمر إلى سنة ١٢٧٣هـ[٦].

٧ – وقف المحمودية:

أنشأ السلطان محمود الأول[٧] هذا الوقف على أهالي الحرمين الشريفين، حيث خصص لأهالي مكة المكرمة (٤٥٠٠٠) نصف فضة، وظلت هذه الأوقاف ترسل إلى الحرمين الشريفين حتى سنة ١٢٧٣هـ[٨].

---

(١) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠١.

(٢) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٩٤ .

(٣) مصطفى مُحَمَّد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ٣٤.

(٤) هو السلطان أحمد الأول بن مُحَمَّد الثالث، تولى السلطنة سنة ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م، واستمر حتى توفي سنة ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م. انظر: مُحَمَّد فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ص ٢٧١ – ٢٧٥.

(٥) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠١.

(٦) مصطفى مُحَمَّد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ٣٤.

(٧) هو السلطان محمود الأول بن مصطفى، تولى السلطنة سنة١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، له كثير من الأعمال حيث قضى على المفسدين، وتوطيد الأمن في أقاليم السلطنة. انظر: آمال رمضان: الحياة العلمية، ص٥٧٧.

(٨) مصطفى مُحَمَّد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ٣٤، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٩٦.

٨ – وقف الحرمين الشريفين:

أُنشئ في عهد المماليك، وظل يرسل للحرمين الشريفين طوال العهد المملوكي والعثماني، أوقفه في الأساس الأهالي على أنفسهم وذرياتهم، فإن فُقِدَت الذرية وانقرضت آل الوقف إلى الحرمين الشريفين، فمن الواضح أنه مؤلف من أوقاف فردية كانت تؤول تلقائياً إليه حسب شروط الواقفين، وقد اتسع وتنامى نتيجة ما يضم إليه من أوقاف أهلية [١].

وتذكر المصادر جانباً من استفادة علماء مكة المكرمة من هذه الأوقاف، عند إشارتها لوقف "الصر الحكمي"، وهو وقف يصل ريعه إلى علماء الشافعية كل سنة، ويعود إلى العهد المملوكي، ثم استمر في العهد العثماني، وهو جزء من وقف الحرمين الشريفين[٢]، كان يُعرف في بداية فترة البحث "بالصر الحكمي"، وفي زمن الطبري (ت: ١٠٧٠هـ) عُرِفَ "بالصر المصري"[٣]، وتشير المصادر إلى ضعف هذا الوقف من بداية فترة البحث وتأخر صرفه لمستحقيه[٤]، مما جعل أهل مكة المكرمة يتذمرون من نُظّار أوقاف مصر لتضييعهم معظم وقف الشافعي "الحكمي والمستجد"[٥].

ب – الأوقاف في الشام:

وهي أوقاف خيرية، أُوقفت على الحرمين الشريفين، كثير منها أُوقف قبل عهد العثمانيين ثم استمرت، ويظهر أن أوقاف الشام كان أغلبها خاصاً بالعلماء والأئمة الشوافع من أهل مكة المكرمة، فبالإضافة لوقفي "الحكمي والمستجد" التي تصرف من أوقاف مصر للشوافع في مكة، كانت هناك أوقافهم في الشام التي تصرف سنوياً مع أمير

---

(١) مصطفى محمد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ١٩، بيومي: مخصصات الحرمين، ص ص ١١٠ – ١١١.

(٢) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٩٩، ١٠٠، النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٣.

(٣) الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠٠.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ٢ / ٥٧٧، النهروالي: الإعلام، ص ٢٩٣.

(٥) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٨٣.

الحاج الشامي، الذي يفرق الصُرَر الشامية قبل صعود الحجاج إلى عرفة؛ وسنستعرض أشهر هذه الأوقاف، كما يأتي:

١ – وقف البرج والغازية:

كان من أوقاف الشافعية في مصر، مع وقفي "الحكمي والمستجد"، ثم أُحيل إلى أوقاف الشام من سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م، حيث انتظم مع الصُرَر الشامية[١].

٢ – وقف الصندوق القديم (صندوق الشامية):

وهو من الأوقاف في الشام، يفرّق على العلماء وأرباب الوظائف في المسجد الحرام[٢]، ففي سنة ٩٣٤هـ/١٥٢٨م، فُرِّقت الصرر الشامية: الصندوق القديم، والمعتصرة، وخربة روحاء، ووقف سيدي وبطران[٣].

٣ – وقف المعتصرة:

من أوقاف المماليك في الشام، ولم يرسل إلا في عهد العثمانيين حيث وصل لأول مرة لمستحقيه في مكة المكرمة سنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م[٤].

٤ – وقف خربة روحاء:

من الأوقاف بالشام[٥].

٥ – وقف سيدي وبطران:

من الأوقاف بالشام[٦].

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٠٩، ٢ / ٥٧٧.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ٢ / ٥٧٨.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٣٠.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٠٣.

(٥) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٣٠.

(٦) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٣٠.

٦ – أوقاف الشامية:

وهي من أوقاف الشام، عبارة عن مال، يفرق على العلماء من المذاهب الأربعة في المسجد الحرام[(١)].

٧ – وقف الحلبية:

وهي من الأوقاف بحلب، عبارة عن مال قدره (٦٠٠) أشرفي، يُفرَّق على العلماء من المذاهب الأربعة من قضاة، وأئمة المقامات الأربعة في المسجد الحرام، وبعض المجاورين[(٢)].

ومما سبق يتضح أن أوقاف الشام كانت كبيرة ونافعة لأهل مكة المكرمة، كما أنها منتظمة خلال فترة البحث.

ثانياً: أوقاف الولاة:

١ – وقف سنان باشا[(٣)]:

أوقف عدة أراضٍ وضياع بمصر، لكثير من أوجه الخير، وقد فرض من هذا الوقف مبلغاً من المال قدره (٣٢٠) ديناراً، تدفع لقراء القرآن الكريم بالمسجد الحرام[(٤)]، وانتظم هذا الوقف، كما تسجل المصادر ازدياده، ففي القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي بلغ ما يصرف لقراء مكة المكرمة (١٠٠٠٠) بارة، وظل هذا الوقف يصرف إلى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[(٥)].

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٥٧٧، الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠٢.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٨٤، ٢ / ٥٧٧، ٥٧٨. وابن فهد شاهد عيان على هذه الأوقاف، وله نصيب منها.

(٣) سنان باشا: تولى على مصر ولايتين، الأولى خلال الفترة (٩٧٥ – ٩٧٦هـ)، ثم توجه إلى اليمن، وبعد عودته لمصر تولى الولاية الثانية. انظر: بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١٠٠.

(٤) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١٠٠، آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٧٩.

(٥) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٧٩.

٢ – وقف عبدالرحمن كتخدا [١]:

من الأمراء الذين لهم اهتمام بالمقدسات الإسلامية، فمن ذلك وقفه سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م، على الحرمين الشريفين، وبلغ ما أرسله إلى قراء القرآن في مكة المكرمة سنة ١٢٠٩هـ / ١٧٩٥م، ما مقداره (١٧٠٠٠) نصف فضة[٢]، واستمر هذا الوقف إلى نهاية فترة البحث[٣].

٣ – وقف إسكندر باشا[٤]:

أوقف إسكندر باشا مبالغ نقدية للحرمين الشريفين، خصص منها لقراء القرآن الكريم في المسجد الحرام مبلغ (٦٣٠٠) بارة، وذلك في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[٥].

جدير بالذكر أن تلك الأوقاف في بدايتها مستقل كل منها عن الآخر، ولكل منها إدارة خاصة، وعندما تولى محمد علي باشا مصر ضم جميع أوقاف الحرمين بأنواعها المختلفة في إدارة واحدة سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م، حيث تشير المصادر إلى ضعف الأوقاف وانهيارها بعد استيلاء الدولة عليها[٦].

ثالثاً: الأوقاف في مكة المكرمة:

حظيت مكة المكرمة باهتمام الدول الإسلامية على مر العصور، فكثرت الأوقاف وتنوعت خدمة للمسجد الحرام وأهل مكة المكرمة، وفي العصر العثماني أُوقف عدد

---

(١) عبدالرحمن كتخدا: من أمراء مصر، كانت له خيرات كثيرة على المساجد والحرمين الشريفين والأزهر الشريف، أُبعد إلى الحجاز اثنتي عشرة سنة، ثم عاد إلى مصر سنة ١١٩٠هـ / ١٧٨٠م، وظل في بيته أياماً، وتوفي ودفن بها. انظر: آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٥٨٠.

(٢) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ١٠٢.

(٣) رفعت: مرآة الحرمين، ٢ / ٣١٦ .

(٤) اسكندر باشا: قدم والياً على مصر سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م، كان عهده رخاءً، بنى مسجداً، وتكية، ومكتباً، وسبيلاً، عزل سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م. انظر: بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٩٩.

(٥) بيومي: مخصصات الحرمين، ص ٩٩.

(٦) مصطفى مُحَمَّد رمضان: وثائق مخصصات الحرمين، ص ٢٠.

هائل من الأوقاف، فإضافة لأوقاف السلاطين العثمانيين في مصر والشام وأوقاف الولاة التي استعرضناها، سوف نذكر الأوقاف في مكة المكرمة التي أُوقفت من قبل حكام الحجاز أو الأهالي وأصحاب الأعمال الخيرية، وهي كثيرة، سنستعرض منها ما له علاقة بأئمة المقامات في المسجد الحرام، أو أسهم في الإنفاق عليهم، وسنكتفي بذكر مثالين لكل نوع.

١ – أوقاف حكام مكة المكرمة:

وهي عديدة، منها؛ الوقف على الذرية، والوقف على المعاتيق، والوقف على الحرم المكي الشريف، ومن أمثلة الأوقاف التي يعود ريعها على المسجد الحرام؛ وقف الشريفة هيا بنت سعيد بن سعد بن زيد، حيث أوقفت داراً على مصالح المسجد الحرام من فرش، وسقيا للمصلين والحجاج من ماء زمزم، وجزء مخصص للعلماء والأئمة قراء القرآن الكريم في المسجد الحرام[١]، وكذلك وقف الشريف أحمد بن مساعد بتاريخ ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م، حيث أوقف كامل ثلاثة الأحواش الواقعة بمكة، على ذريته، فإذا انقرضوا كان وقفاً على مصالح المسجد الحرام[٢].

٢ – الأربطة:

استمر وقف الأربطة بمكة المكرمة، وتزايد في العهد العثماني، فقد بلغ عددها قرابة مئة وستة وخمسين رباطاً، كان لها الأثر الفعّال في تنمية المجتمع المكي من عدة جوانب، منها؛ تأمين الإعاشة للفقراء والمساكين وطلبة العلم، ومن الأمثلة على الأربطة التي خدمت العلم والعلماء، رباط الداودية[٣]، فممن نزل فيه الشيخ المحدِّث عبدالقادر

---

(١) مسعود آل زيد: تاريخ مكة المكرمة، ص ٣٠٤.

(٢) مسعود آل زيد: تاريخ مكة المكرمة، ص ٣١٦ .

(٣) ينسب إلى من أنشأه وهو داود باشا، والي مصر، في الفترة من (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م – ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م). انظر: حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة، ص ٤٥.

ابن محمد الطبري[1]، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، وكانت له حلقة علمية يدرِّس فيها صحيح البخاري، سنة ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م[2]، وفي رباط محمد باشا، كان أحد الشخصيات العلمية الذين نزلوا فيه، واستفادوا من أوقافه، الشيخ عبدالله[3] بن محمد غازي المكي[4].

٣ – المدارس:

وهي من الأوقاف التي تخدم العلم والعلماء، فبالإضافة إلى دور المدارس في التدريس، كان هناك سكن المدرسين وطلبة العلم، ورواتب، فالمدارس السليمانية أنشأها السلطان سليمان القانوني، وأوقف عليها أوقافاً بالشام، وعين لكل مدرس خمسين عثمانياً، غير ما عُيِّن للطلبة، والمعيد، والفراشين، والبوابين، وممن درَّس في المدرسة واستفاد من أوقافها الشيخ عبدالكريم[5] القطبي[6]، كما كان الشيخ محمد المنوفي الشافعي[7] من مدرسي المدرسة المرادية، وللمدرسة أوقاف يستفيد من ريعها المدرس والطلبة[8].

---

(١) هو الشيخ عبدالقادر الطبري، إمام المقام الشافعي، وخطيب المسجد الحرام، ولد سنة ٩٧٦هـ، بمكة المكرمة، ونشأ بها، وطلب العلم وهو صغير، تولى إفتاء مكة وقضاء البلد الحرام، توفي سنة ١٠٣٣هـ، بمكة. انظر: عبدالقادر الطبري: إنباء البرية، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، ص ص ٣٦ – ٣٧.

(٢) انظر: حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة، ص ٤٧.

(٣) هو الشيخ عبدالله بن مُحَّد غازي الهندي الحنفي، إمام المقام الحنفي لصلاة التراويح، مؤرخ من مؤلفاته كتاب "إفادة الأنام في أخبار البلد الحرام"، ولد سنة ١٢٩٠هـ، بمكة المكرمة، وتوفي بها سنة ١٣٦٥هـ. انظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٢٩.

(٤) حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة، ص ٥١.

(٥) هو الشيخ عبدالكريم بن محب الدين القطبي، إمام المقام الحنفي، ولد سنة ٩٦١هـ، وتوفي سنة ١٠١٤هـ. انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٨١.

(٦) القطبي: إعلام العلماء، ص ١١٥.

(٧) هو الشيخ مُحَّد سعيد بن مُحَّد بن أحمد المنوفي الشافعي، إمام المقام الشافعي، وخطيب المسجد الحرام، ولد بمكة، ونشأ بها، وتوفي سنة ١٠٩١هـ بمكة. انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٨٦.

(٨) الطبري: الأرج المسكي، ص ٨٠، مسعود آل زيد: تاريخ مكة، ص ٢٦١.

وهناك جوانب أخرى متعلقة بالأوقاف في المسجد الحرام، من المناسب توضيحها، ومنها:

- دور علماء المقامات في استمرار الأوقاف:

ويتمثل ذلك في تأليف الكتب وإصدار الفتاوى التي تعالج الوقف، ومن أشهر المؤلفات خلال فترة البحث كتاب "حفظ الحرم في أوقاف أهل الحرم" الذي ألفه الشيخ عبدالقادر الطبري الشافعي (ت: ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م)، إمام وخطيب ومفتي المسجد الحرام، ألَّف هذا الكتاب لَمَّا أشيع أن السلطان سليمان القانوني ألغى الأوقاف، وبعث به إلى السلطان فانطفأت نار الفتنة[١]. وكذلك كتاب "بساط الكرم في القول على أوقاف الحرم" الذي ألّفه الشيخ أبو بكر الزرعة الحنفي (ت: ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)، إمام المقام الحنفي، وخطيب المسجد الحرام، ونقل فيه صورة الفرمان الذي صدر سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، والقاضي ببقاء الأوقاف في مكة بيد أهلها ومن بعدهم أولادهم، وعدم انتزاعها منهم[٢]، كما نقل الناسخ فتاوى بعض علماء وأئمة المقامات التي تبين الأحكام الشرعية في الأوقاف وعدم انتزاعها من أصحابها إلا بحكم شرعي، منهم الشيخ علي بن جارالله بن ظهيرة الحنفي (ت: ١٠١٠هـ/ ١٦٠٥م)، خطيب المسجد الحرام، والشيخ حنيف الدين المرشدي الحنفي (ت: ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، إمام المقام الحنفي، وخطيب المسجد الحرام، والشيخ عبدالملك القلعي الحنفي (ت: ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، إمام المقام الحنفي، وخطيب المسجد الحرام[٣].

---

(١) أبو بكر الزرعة: بساط الكرم، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، رقم ٣٥٠٨، ص ٨، الطبري: الأرج المسكي، ص ٢٠٤.

(٢) أبو بكر الزرعة: بساط الكرم، ص ١٧.

(٣) أبو بكر الزرعة: بساط الكرم، ص ص ١٧- ١٩.

- محاولات تصحيح أوضاع الأوقاف في مكة المكرمة:

استولى بعض الناس على الأوقاف مع تقادم السنين، فمن المحاولات لتصحيح وضعها، كانت جهود الشيخ محمد بن سليمان الروداني[1] الذي ولِّي نظارة الحرمين الشريفين، فأصدر في سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، أمراً يتضمن إخراج ساكني الخلاوي الموقوفة ممن له بيت يأويه وعياله، إذ كان يرى أن الأوقاف ما بنيت إلا للفقراء وطلبة العلم الذين ليس لهم بيوت، وعَمَّر عدة أوقاف كانت خربة[2]. ومن الجهود كذلك جهود الوالي حسيب باشا[3]، الذي عمل على انتزاع الأوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها، إلا أن العلماء لم يمكنوه من ذلك، فعزل المفتي الشيخ عبدالله الميرغني (ت: ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م)، وولَّى منصبه الشيخ محمد الكتبي الحنفي (ت: ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، إمام المقام الحنفي، وخطيب المسجد الحرام، فلم يوافقه، وتطور الخلاف حتى صدر أمر الخليفة بمنع الوالي من انتزاع الأوقاف[4].

---

(١) هو الشيخ مُحَمَّد بن سليمان الروداني المغربي، ولد سنة ١٠٣٧هـ، جاور بالحرمين الشريفين، ولِّي نظارتهما، توفي سنة ١٠٩٤هـ. انظر: العجيمي: خبايا الزوايا، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، ص ص ٣٦٤ – ٣٦٨، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٤٣١ – ٤٣٤.

(٢) الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٣٥٩، وعبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢٢٧.

(٣) حسيب باشا: هو الوالي التركي على الحجاز سنة ١٢٦٤هـ، قام بأعمال جليلة بمكة، وعزل سنة ١٢٦٦هـ. انظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٦، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٢٢.

(٤) انظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٥ وما بعدها، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٩٨.

الفصل الثاني

دور المقامات في الحياة العلمية خلال العهد العثماني

المبحث الأول : جهود علماء المقامات، ونتاجهم العلمي.

المبحث الثاني : الأسر المنتسبة إلى المذاهب الأربعة.

المبحث الأول

جهود علماء المقامات، ونتاجهم العلمي

ظلت مكة المكرمة مركزاً مهماً في العلم والثقافة في العالم الإسلامي، وذلك بفضل وجود المسجد الحرام الذي كان منذ القرن الأول الهجري من أهم مراكز الدراسات الإسلامية والعربية، وقد بقي هذا التميز للمسجد الحرام حتى وقتنا الحاضر، وتمثل تميزه في كثرة عدد العلماء من كل مذهب، وكثرة عدد الطلاب، وتعدد فنون التعليم به، حتى إن المستشرق الهولندي كرستيان سنوك هورخرونيه– في بداية القرن الرابع الهجري – يعبر عنه بـ "الجامعة" أو "جامعة الحرم"، حيث التعليم فيه متاح للجميع، وفي جميع العلوم والفنون، وحرية في الحضور، وحرية في اختيار تدريس المواد أو كتاب الدراسة، إضافة إلى أن الدراسة في الحلقات العلمية في المسجد الحرام أو في المدارس الشرعية التي حول الحرم توازي الدراسة في الجامعات المتخصصة في الوقت الراهن، إذ إن المتخرج منها كان يحصل على الإجازة العلمية التي تؤهله لأن يصبح عالماً في العلوم الشرعية، والتصدي للتدريس والفتوى[1].

وفي بداية فترة البحث كانت جهود العلماء تتركز في مراكز التعليم، وأهمها: حلقات التدريس في المسجد الحرام، والكتاتيب، والمدارس، ومنازل العلماء؛ وإلى جانب هذه المراكز العلمية وجدت بعض العوامل التي أثرت في الحياة العلمية –في ركودها أو نشاطها–، كوجود العلماء من أهل مكة أو الوافدين، والأوضاع السياسية، وظهور وسائل ثقافية كالمكتبات والصحف والمطابع، مما أدى إلى وجود حياة علمية نشطة نتيجة لجهود العلماء وتفانيهم في نشر العلم، ويمكن إبراز هذه الجهود من خلال إلقاء الضوء على نشاط العلماء المتمثل فيما يأتي:

---

(١) ابن علان: عمارة المسجد الحرام، ص ٤٠، سنوك: صفحات، ٤٩٠/٢، ٥١٢، وعبدالوهاب أبوسليمان: الحرم الشريف، ص ٤٥.

- جهود العلماء العلمية في المسجد الحرام.
- جهود العلماء العلمية خارج المسجد الحرام.
- التأليف والإنتاج العلمي.

أولاً: جهود العلماء العلمية في المسجد الحرام.

كانت أروقة المسجد الحرام مقراً لحلقات الدروس في مختلف العلوم، إذ اشتهر الحرم المكي بكثرة الحلقات الدراسية فيه، فهو من المؤسسات العلمية التي أدت دوراً كبيراً في الحياة العلمية.

وتوضح المصادر ما يدور في هذه الحلقات من علوم دينية مختلفة، وأهمها: علم القراءات، وقراءة القرآن مع تجويده وتفسيره وحفظه، والحديث الشريف، والفقه على المذاهب الأربعة، والعقيدة، والتصوف، وتعليم المناسك كالحج والعمرة، بالإضافة للعلوم اللغوية كالنحو والصرف والعروض والشعر والمنطق والحساب[1]؛ وقدِّر عدد الحلقات في سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م بحوالي (١٢٠) حلقة، يدرِّس بها حوالي (١٠٧) مدرسين، وقد أشار الرحالة سنوك إلى أن أعداد المدرسين بها مبالغة، وأن العدد الحقيقي يتراوح ما بين خمسين وستين أستاذاً[2]؛ وكان على المدرس الذي يريد التدريس في حلقات المسجد الحرام أن ينجح في الامتحان العلني في التفسير والحديث والفقه والنحو على يد مجموعة من العلماء برئاسة شيخ العلماء في الحرم المكي[3]. وكانت أوقات التدريس بعد كل فرض يؤدى في الحرم المكي، طوال أيام الأسبوع، ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة؛ كما أن الدراسة لم تنهج منهجاً مقرراً، أو محدداً، فالمدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه لطلبته، وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم؛ أما اللغة التي كانت

---

(١) انظر: سنوك: صفحات، ٢ / ٤٧٨، ٥١٨، وعبدالوهاب أبوسليمان: الحرم الشريف، ص٥٦.

(٢) سنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٥، ٥٠٧، ورفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٢٦٠، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٢٠٤، والشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١١.

(٣) سنوك: صفحات، ٢ / ٤٩٣، والشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص٩.

تدرس بها المواد فكانت اللغة العربية، وكان الطلاب المجتهدون الذين ينهون دراستهم وبشهادة العلماء يمنحون إجازة علمية، وهي تشابه شهادة التخرج[1]؛ وبالنسبة لطريقة التدريس فإنها لم تكن تقوم على نظام معيَّن وإنما كانت الدروس تلقى في المسجد ويحضرها الكثير من العامة، كما أنهم يستخدمون طريقة الإملاء، والقراءة مع الشرح، ودراسة الرواية والدراية[2].

يتلقى مدرسو الحرم مرتباتهم وأعطياتهم من عدة مصادر مختلفة، من المرتبات التي تصرف من قبل الحكومة، ومن أعمالهم التجارية، ومن الهدايا والهبات التي تمنح لهم من قبل بعض الطلبة[3].

واستمر الحال على هذا الوضع حتى عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م، حين صدر نظام رسمي للتدريس بالمسجد الحرام بعنوان "الطوالع السنية في نظام التدريس بمسجد مكة المحمية"، فنظم اختيار المدرسين، ورواتبهم، والكتاب الذي يدَّرس[4].

الإجازات العلمية:

لم يكن الطالب الذي يدرس في هذه الحلقات يحصل على شهادة مثل التي في الوقت الحاضر عند إتمامه بعض العلوم، بل كانوا يحصلون على إجازة علمية من أساتذتهم، تثبت مقدرتهم وتمكنهم من تدريس مادته[5]، وتشير المصادر إلى كثرة عدد هذه الإجازات وتنوعها خلال فترة البحث، وسنورد هنا نموذجاً لإحداها مما يعطي صورة عن جانبٍ مهم من جهود العلماء العلمية واجتهادهم في سبيل نشر العلم، ومن

(١) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ص ٩، ١٨.

(٢) سنوك: صفحات، ٢ / ٥١٣، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ١٧٢.

(٣) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ص١٤، ٩٩، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ١٨١.

(٤) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٤، وعبد الوهاب أبوسليمان: الحرم الشريف، ص ٥٩ وما بعدها.

(٥) ابن علان: عمارة المسجد الحرام، ص ٤٤، والشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٨، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص١٧٤ وما بعدها.

ذلك على سبيل المثال: الإجازة التي حصل عليها الشيخ عبدالرحمن بن حسن العجيمي من الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله سراج سنة (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)[١].

ومن أشهر علماء المقامات الذين درَّسوا في الحلقات العلمية في الحرم المكي ولهم جهود علمية انتفع بها طلاب العلم واستفادوا من حلقاتهم:

١- محمد بن عبدالله الطبري (ت: ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م)، إمام المقام الشافعي، تصدَّر للتدريس دهراً طويلاً، وانتفع به الطلاب علماً وخلقاً[٢].

٢- خالد الجعفري (ت: ١٠٤٤هـ / ١٦٣٥م)، إمام المقام المالكي، تصدَّر للتدريس والإفادة، (وعنه أخذ جمع من العلماء)[٣].

٣- حنيف الدين المرشدي (ت: ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)، إمام المقام الحنفي، تصدَّر للتدريس، وعقد حلقته العلمية خلف المقام الحنفي، ودرَّس عدة فنون، وكان بارعاً في الأدب والشعر[٤].

٤- أحمد النخلي (ت: ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م)، إمام المقام الحنفي، (لازم التدريس والإفادة بالمسجد الحرام وانتفع به في إفادة العلوم الشرعية وغيرها)[٥].

٥- عبدالوهاب المفتي (القرن الثاني عشر الهجري)، إمام المقام المالكي، تصدَّر للتدريس والإقراء والإفادة[٦].

٦- حمودة بن عطية (ت: ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م)، إمام المقام الحنفي، تصدَّر للتدريس، وانتفع به الطلاب وأخذوا عنه، وكان أكثر تدريسه في الفقه[٧].

---

(١) جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، مخطوطة رقم ١٣٠٢، انظر: الملحقات، وثيقة رقم (٣).

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٥٥.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص١٨٧.

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص١٨٤، والصبحي: وسام الكرم، ١٦٨.

(٥) مرداد: مختصر نشر النور، ص١٢١.

(٦) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٣٦.

(٧) مرداد: مختصر نشر النور، ص١٨٣، والصبحي: وسام الكرم، ١٦٧.

٧- عبدالملك القلعي (ت: ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)، إمام المقام الحنفي، تصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، وانتفع منه الطلاب علماً وتوجيهاً، قال عنه مرداد: (ولما ابتدأ بالتدريس بالمسجد الحرام، هرعت إليه الطلبة، وعكف عليه الأفاضل الكرام)[١].

٨- عثمان شطا (ت: ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، إمام المقام الشافعي، درَّس بالمسجد الحرام سنين عديدة واستفاد منه الطلاب، قال مرداد: (فمكث يدرِّس بالمسجد الحرام سنين كثيرة، وما زال مشتغلاً بالعبادة والإفادة حتى توفي)[٢].

٩- محمد بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، إمام المقام الحنبلي، تصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، وانتفع الطلاب بعلمه وفقهه[٣].

١٠- عبدالرحمن سراج (ت: ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، إمام المقام الحنفي، تصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، فأخذ عنه الطلاب واستفادوا من علمه[٤].

١١- أحمد الزواوي (ت: ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، إمام ملازم بالمقام المالكي، كانت دروسه بالمسجد الحرام موئلاً لطلاب العلم، (فقد درَّس عدة فنون وانتفع به كثيرون)[٥].

١٢- أسعد الدهان (ت: ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، إمام صلاة التراويح في المقام الحنفي، عقد حلقة دروسه في رواق باب السليمانية، صباحاً ومساءً، قال مرداد: (وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه خلق كثير وانتفع به جم غفير)[٦].

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٢٩.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٣٧.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص٤٢٣، والصبحي: وسام الكرم، ص ٣٦٤.

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٤٣، والصبحي: وسام الكرم، ص ٢٣٩

(٥) مرداد: مختصر نشر النور، ص٩١.

(٦) مرداد: مختصر نشر النور، ص١٢٩.

١٣- شعيب الدكالي (ت: ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، إمام المقام المالكي، عقد حلقته العلمية في المسجد الحرام صباحاً ومساءً، يُدرِّسُ صحيح البخاري والموطأ وألفية ابن مالك، وكان يزدحم على دروسه الخواص والعوام[١].

ثانياً: جهود العلماء العلمية خارج المسجد الحرام:

إلى جانب الحلقات العلمية في المسجد الحرام، كان هناك مؤسسات علمية خارج المسجد الحرام ظهرت فيها جهود العلماء العلمية لنشر العلم، ومن أبرزها: المدارس، ومنازل العلماء، والأربطة، إضافة إلى جهودهم خارج مكة في المدن والقرى المجاورة .

١- المدارس:

استمر التعليم في مكة المكرمة يسير بالطريقة التقليدية في حلقات التدريس بالمسجد الحرام وفي الكتاتيب، وخلال فترة البحث انتشرت بعض المدارس الدينية، ومن أشهرها: المدارس السليمانية (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م)، والداودية (القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)، والمرادية (٩٩٧هـ / ١٥٨٨م)، وفي آخر القرن (الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي) ظهرت المدارس الحديثة، فقد أدخلت الحكومة العثمانية التعليم الحديث، وهو نوعان من التعليم المنظم الذي كان يسير وفق النظام التعليمي المتبع في الولايات العثمانية الأخرى، وهذا التعليم ينقسم بدوره إلى قسمين: مدارس حكومية، ومدارس أهلية[٢].

أ- **المدارس الحكومية**: وقد أُنشئت في مكة المكرمة مع بداية القرن (الرابع عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) بعض المدارس الحكومية، ومنها: المدرسة الرشدية التي أنشئت سنة (١٣٠١هـ / ١٨٨٤م)[٣].

---

(١) الصبحي: وسام الكرم، ١٩٣.

(٢) عبد اللطيف بن دهيش: نظرة على تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز، ص ١٠٣، والشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ٢٧.

(٣) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص٣٠.

ب – **المدارس الأهلية**: وقد ظهرت قبل المدارس الحكومية، ومن أشهرها: المدرسة الصولتية، سنة (١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)، ثم المدرسة الفخرية سنة (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م)، ومدرسة دار الفائزين، سنة (١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)، والمدرسة الخيرية، سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)، ومدرسة الفلاح سنة (١٣٣٠هـ / ١٩١٢م)[١].

وقد ساهم كثير من علماء المقامات في التدريس في هذه المدارس، وبذلوا جهوداً مشرقة لنشر العلم، ومنهم:

- حسين الحسيني (ت: ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)، إمام المقام المالكي، وهو أول مدرس بالمدرسة السليمانية[٢].
- عبدالرحمن المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ / ١٦٢٨م)، إمام المقام الحنفي، درَّس بمدرسة محمد باشا في حدود سنة (٩٩٩هـ / ١٥٩١م)، ودرَّس بها صحيح البخاري، ثم درَّس بالمدرسة السليمانية[٣].
- محمد مكي فرّوخ (ت: ١٠٦١هـ / ١٦٥١م)، إمام المقام الحنفي، درَّس بمدرسة محمد باشا، ثم بالمدرسة المرادية[٤].
- عبدالقادر الصديقي (ت: ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م)، إمام المقام الحنفي، درَّس في المدرسة السليمانية[٥].
- عبدالرحمن الدَّهان (ت: ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)، إمام المقام الحنفي، درَّس بالمدرسة الصولتية، قال مرداد: (وتوظف بمدرسة الشيخ رحمة الله المذكور، ليعلم الطلبة

---

(١) انظر: الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص٣٩، وما بعدها، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ٢٠٠، وما بعدها.

(٢) النهروالي: الإعلام، ص ٣٥٢.

(٣) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٥١، وعبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٧٢.

(٤) العجيمي: خبايا الزوايا، ص ٣٦٣، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٨٨.

(٥) مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٦٧.

بها، فلبث فيها سنين، وقام بالوظيفة أحسن قيام، ونتج على يده كثير من التلاميذ)[1].

- عمر الكردي (القرن الرابع عشر الهجري/العشرون الميلادي)، إمام المقام الشافعي، درَّس بالمدرسة الأميرية، ثم المدرسة الصولتية[2].
- محمد علي المالكي (ت: ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، إمام المقام المالكي، درَّس بمدرسة دار العلوم[3].
- سالم شفي (ت: ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، إمام المقام الحنفي، درَّس بالمدرسة الصولتية، والمدرسة الراقية، ومدرسة الفلاح[4].

٢ – منازل العلماء :

من علماء مكة المكرمة من جعلوا منازلهم مراكز علمية، فعقدوا فيها حلقات الدرس، أو مجالس للعلم والأدب، خاصة أيام وليالي الثلاثاء والجُمَع حيث تُعطل الدراسة في حلقات الحرم المكي، ويصل عدد طلاب العلم الذين يحضرون الدرس في منزل أحد العلماء إلى (١٠٠) طالب أحياناً، أو يزيد. وتذكر المصادر العديد من هذه المنازل، وسنكتفي بذكر مثال واحد من كل مذهب، فمنها :

١- منزل أحمد زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)، إمام المقام الشافعي، ومفتي الشافعية، درَّس في منزله كثيراً من العلوم خاصة الحديث[5].

٢- منزل عبدالرحمن سراج (ت: ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م)، إمام المقام الحنفي ومفتي مكة، كان يدرِّس في داره الحديث[6].

---

(١) مرداد : مختصر نشر النور، ص ٢٤١.

(٢) الصبحي: وسام الكرم، ص ٣١٦.

(٣) الصبحي: وسام الكرم، ص ٣٨٣.

(٤) وزارة المعارف: موسوعة تاريخ التعليم، ٤/ ٢٩٣.

(٥) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١/ ٤١٠.

(٦) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٤٣، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٤٠٩.

٣- منزل عابد بن حسين (ت: ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م)، إمام المقام المالكي، وتخرج على يده علماء أعلام[١].

٤- منزل أبو بكر خوقير (ت: ١٣٤٩هـ / ١٩٢٩م)، إمام المقام الحنبلي، يدرِّس في منزله صباحاً ومساءً دروساً في العلوم الدينية والتاريخية[٢].

ومن هؤلاء العلماء من فتح منزله مجالس أشبه بالأندية العلمية والأدبية يلتقي فيها العلماء والأدباء وطلاب العلم، تناقش فيها مختلف المسائل العلمية، ومنها: مجلس محمد سعيد بابصيل، وأحمد شطا، وعابد حسين مفتي المالكية، وأحمد الخطيب، وعبدالله دحلان، وعلوي السقاف، وأحمد عبدالشكور، وغيرهم كثير من علماء ومشائخ مكة المكرمة[٣].

٣ – الأربطة:

لم يكتف بعض العلماء بالتدريس في المسجد الحرام، أو في المدارس، أو في منازلهم، بل منهم من يكون له مكان أو خلوة في أحد الأربطة المنتشرة في مكة المكرمة، يعقد فيها دروسه وحلقاته العلمية التي يحضرها طلاب العلم، وهي فرصة لتبادل العلوم والإجازات والتأليف، فضلاً عن وجود بعض المكتبات العلمية في بعض الأربطة، وكانت كثير من الأربطة سكنها عدد من علماء مكة ومجاوروها وكذلك طلاب العلم، فهي أُنشئت لسكن الفقراء من طلاب العلم .

ومن الأمثلة للعلماء الذين نزلوا الأربطة وسكنوا فيها ولهم جهود علمية :

- الشيخ عبدالقادر بن محمد الطبري (ت: ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م)، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، نزيل رباط الداودية، وكانت له حلقة علمية يُدرِّس فيها صحيح البخاري، وكان قد أجاز طلبته، في ختام سنة (٩٩٩هـ / ١٥٩١م).

---

(١) الزركلي: الأعلام، ٣ / ٢٤٢، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٤١٥.

(٢) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٤١٧.

(٣) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١١٦.

- الشيخ المؤرخ عبدالله بن محمد غازي (ت: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م)، إمام المقام الحنفي، نزيل رباط محمد باشا، أخذ الإجازة عن كثير من علماء مكة المكرمة، ومن مؤلفاته "إفادة الأنام في أخبار البلد الحرام"(١).

٤ – جهود العلماء خارج مكة المكرمة:

لم يكتف العلماء بالنشاط العلمي داخل أروقة المسجد الحرام أو قريب منه، بل كانت لهم تحركات في المدن والقرى والقبائل خارج حدود مكة، يدفعهم لذلك حرصهم على نشر العلم ومحاربة الجهل . ومن النماذج التي يتضح فيها جهود العلماء ونشاطهم في نشر العلم خارج حدود مكة، إرسالهم المدرسين سنة (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م)، إلى القبائل القاطنين حول مكة، وكانت وظيفة المدرسين لا تقتصر على التدريس وإنما كان المدرس إلى جانب التدريس يؤذن للصلوات المكتوبة ويقيمها ويصلي في القبائل ويرشدهم في أمور الدين، وكان عدد المدرسين (٤٨) مدرساً، ثم زاد بعد ذلك، وقد أقبلت جماعات عديدة من البدو وحضرت كثيراً من الدروس العلمية التي كانت تلقى عليهم(٢).

ففي سنة (١٢٨٤هـ / ١٨٦٨م) رفع علماء مكة المكرمة خطاباً إلى السلطان عبدالعزيز بن محمود الثاني، وفي الوقت نفسه رفع أمير مكة خطاباً مشتركاً مع شيخ الحرم ووالي الحجاز، للمطالبة بزيادة أعداد المدرسين، وتخصيص رواتب شهرية لهم تساعدهم على الاستمرار في عملهم .

ومن خطاب العلماء، والموافقة عليه من السلطان، يمكن استنتاج بعض الدلالات التي توضح جهودهم في سبيل نشر العلم، فمن ذلك:

- إقبال القبائل صغاراً وكباراً على العلم والتعلم، مما يدل على نجاح جهود العلماء وطلابهم في نشر العلم .

---

(١) حسين شافعي: الأربطة، ص ص ٤٧، ٥٢.

(٢) انظر: فاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ٢٢٨، وسهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ١٥٥.

- كثرة الأسماء المحررة في الخطاب، مما يدل على الإقبال العام من أعيان مكة المكرمة، وتعاونهم مع العلماء لنشر العلم، وقد تبين أن الأختام الموجودة على الخطاب شملت (٤٣) اسماً، منهم (١٤) اسماً من العلماء أئمة المقامات الأربعة .
- موافقة السلطان العثماني وقبوله لطلب العلماء وأمير مكة على زيادة عدد المدرسين إلى (٦٠) مدرساً، وتخصيص رواتب لهم من ميزانية الدولة، وتزويد الحجاز بالعديد من نسخ من القرآن الكريم لتوزيعها على القبائل، يدل على نجاح الجهود العلمية، وأن تأثير العلماء قد ظهر بشكل واضح على القبائل.
- أسماء المدرسين وأماكن تدريسهم، تدل على زيادة عددهم إلى (١١٥) مدرساً، وهذا يشير إلى الإقبال على العلم والتعلم[١].

ولم تكن هذه الجهود هي الوحيدة لعلماء مكة، بل تجاوز نشاطهم الحجاز إلى الأقطار المجاورة وأحياناً خارج الجزيرة العربية، والأمثلة على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ عثمان بن محمد الراضي (ت: ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، إمام المقام الحنفي، رحل إلى كثير من البلدان داعية إلى الله تعالى، ومحذراً من الخرافات والبدع.
- الشيخ أحمد الخطيب (ت: ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م)، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، كانت له رحلات في سبيل نشر العلم إلى أندونيسيا وغيرها.
- الشيخ عبدالله الزواوي (ت: ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، إمام ملازم بالمقام الشافعي، زار كثيراً من الدول كالهند والصين واليابان وغيرها لنشر الدعوة والتدريس[٢].

ثالثاً: التأليف والإنتاج العلمي:

ألف علماء مكة المكرمة في كافة فروع العلوم: الشرعية، واللغوية، والأدبية، وعلوم الهيئة، والرياضيات، يدل على ذلك كثرة مؤلفاتهم وتنوعها.

---

(١) انظر: سهيل صابان: مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ص١٥٧، ١٧٤.

(٢) انظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ص١٢٣، ٢٢٥، ٢٨٢.

وتجدر الإشارة إلى تفاوت العلماء في التأليف، فمنهم من اهتم بالتدريس ولم يلتفت إلى التأليف، ومنهم من اعتنى بالتأليف، فمن العلماء من كانت مؤلفاته قرابة خمسين مؤلفاً، مثل الشيخ أحمد الخطيب (ت: ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م)، إمام المقام الشافعي، ومنهم من مؤلفاته تربو على الأربعين في كافة العلوم، مثل الشيخ محمد علي بن حسين المالكي (ت: ١٣٦٧هـ)، إمام المقام المالكي، ومنهم من بلغت مؤلفاته المئة[١].

سنعرض هنا أمثلة موجزة لبعض مؤلفات علماء المقامات كشواهد على جهودهم في التأليف والإنتاج العلمي[٢]، ومنها:

أولاً: المؤلفات في العلوم الشرعية:

وتشمل القرآن الكريم وعلومه، وأصول الدين، والحديث، والفقه .

١- المؤلفات التي عنيت بالقرآن الكريم وعلومه: وهي عدة فروع، فممن صنفوا في القراءات حسين بن إبراهيم المالكي (ت: ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)، له: "رسالة في قراءة الإمام حفص"، وممن صنف في التفسير أحمد الخطيب (ت: ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م)، له: " فتح الجند في بسملة التفسير"[٣].

٢- المؤلفات في أصول الدين: وممن ألف فيها أحمد بن زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)، له: "رسالة في إثبات رؤية الله يوم القيامة"، ولجعفر لبني (ت: ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) "بغية المبتدئين في علوم الدين"[٤].

---

(١) عبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ص ٧٨، ٧٩.

(٢) من الصعوبة حصر كافة مؤلفات العلماء المكيين خلال فترة البحث التي تربو على أربع مئة سنة، كما أن هذا الجانب خارج حدود البحث، ولذا سنكتفي بذكر بعض الأمثلة للدلالة على جهود العلماء في التأليف والإنتاج العلمي.

(٣) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧٠٧، ٧٠٩.

(٤) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧١١.

٣- المؤلفات في علوم الحديث: تنوعت أشكال التأليف من شروح ومختصرات، فممن ألف في مصطلح الحديث حسين بن إبراهيم المالكي (ت: ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م) له: "رسالة في مصطلح الحديث"[(١)].

٤- المؤلفات في الفقه: وقد شملت مؤلفات علماء مكة أصول الفقه، وعلم المواريث، إضافة إلى ما يستجد من أحداث ونوازل، وغير ذلك .

فممن ألف في الفقه الحنفي: عبدالقادر الصديقي (ت: ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م)، له: "فتح الخلاق في جميع فرق الفسخ والطلاق"، و "العج والثج في شرائط الحج" .

وممن ألف في الفقه الحنبلي: محمد بن عبدالله بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، له: "حاشية على شرح المنتهى"[(٢)].

وممن ألف في الفقه الشافعي: أحمد الخطيب (ت: ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)، له: "حاشية على صفوة الزبد".

وممن ألف في الفقه المالكي: عباس المالكي (ت: ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م)، له: "رسالة في المناسك".

ثانياً: المؤلفات في اللغة العربية:

تنوع الإنتاج العلمي في اللغة العربية، فصُنف في النحو، والأدب، وغيرهما.

١- علوم النحو واللغة: وممن صنف فيها؛ عبدالملك القلعي (ت: ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، له: " شرح على متن الأجرومية "[(٣)].

٢- علوم الأدب والبلاغة: وممن صنف فيها؛ أحمد دحلان (ت: ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)، وله: "رسالة الاستعارات"، و "رسالة في علم البيان"[(٤)].

---

(١) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧١٥.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٢٦٦، ٤٢٥، الزركلي: الأعلام، ١ / ١٢٩، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧٢٤، ٧٢٧، ٧٢٨.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٢٩.

(٤) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧٣٤.

ثالثاً: المؤلفات في التاريخ:

كثُرَت مؤلفات العلماء المكيين في الجوانب التاريخية المختلفة، كالتاريخ المكي العام، والسيرة النبوية، والتراجم والطبقات، وغيرها .

١- تاريخ مكة المكرمة: وصنف في ذلك عدة مؤرخين، منهم: علي السنجاري (ت: ١١٢٥هـ / ١٧١٣م)، وله: "منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم"[١].

٢- السيرة النبوية: وممن صنف فيها؛ علوي السقاف (ت: ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م)، له: "رسالة في الأنساب المصطفوية"[٢].

رابعاً: المؤلفات في العلوم الطبيعية والرياضية:

وتتمثل في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والهندسة والحساب، وعلى الرغم من أن الاهتمام بها كان أقل من الاهتمام بالعلوم الشرعية، إلا أن بعض العلماء صنفوا في هذه المجالات . ومنهم :

١- في علم الطب: عرَّب ونقَّح عبدالله بن عبدالشكور (ت: ١٢٥٧هـ / ١٨٤٠م)، كتاباً في الطب[٣].

٢- في علم الفلك: صنف محمد ياسين المرغني (ت: ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م)، "نزهة الفكرة في معرفة الوقت والقبلة"[٤].

٣- في علم الحساب والجبر والمقابلة: صنف علوي السقاف (ت: ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، "رسالة في الحساب والجبر والمقابلة"[٥].

من خلال ما سبق عرضه عن جهود العلماء ونتاجهم العلمي، يتضح ما يأتي:

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق: السنجاري: منائح الكرم، والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٣٨٤.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٤٤.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٠٥.

(٤) آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧٩٨.

(٥) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٤٤.

١- تنوعت الجهود العلمية للعلماء بين التدريس في حلقات المسجد الحرام، والمدارس، والأربطة، ومنازل العلماء، والرحلات الدعوية خارج مكة المكرمة، والمؤلفات العلمية .

٢- كانت الحياة العلمية في مكة المكرمة نشطة خلال فترة البحث، ثم زادت نشاطاً مع ظهور المدارس حيث زاد عدد العلماء وحلقات التدريس، كما كان لظهور المطابع – بدءاً بمطبعة الولاية التي أنشئت سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م، وبعدها المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة – الأثر البارز في النهضة العلمية في مكة المكرمة، فشاركت هذه المطابع في طبع المزيد من المؤلفات المتنوعة ونشر الكتب التي قام علماء مكة بتأليفها .

٣- ألّف علماء مكة المكرمة في كافة فروع العلم، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين كتب ورسائل وخطب وفتاوى فقهية، وقد كان علم الفقه من أبرز العلوم التي حظيت بالاهتمام، فألِّف العديد في الفقه وفروعه، ولعل أهم أسباب ذلك يعود إلى التعدد المذهبي في مكة المكرمة، وفي المقابل كانت العلوم الطبيعية أقل العلوم اهتماماً من قبل علماء مكة المكرمة .

المبحث الثاني

الأسر المنتسبة إلى المذاهب الأربعة

تبقى مكة المكرمة عبر الزمن مهوى أفئدة المسلمين، تتوق نفوسهم إلى الاستقرار فيها ومجاورة المسجد الحرام، وتذكر المصادر بعض الأسر العريقة في مكة قبل فترة البحث مثل الطبريين والظهيريين والنويريين وغيرهم، ومع بداية فترة البحث وانضمام الحجاز تحت الحكم العثماني زادت أعداد المجاورين وتنوعت أجناسهم، فكان منهم العلماء وطلبة العلم والتجار، الذين ساهموا في شتى نواحي الحياة، كما ساهم العلماء من المجاورين مع علماء الأسر القديمة في النشاط العلمي في مكة المكرمة، فمنذ أوائل العهد العثماني برز من هذه الأسر علماء تولوا المناصب الدينية، والإمامة في المقامات الأربعة[1] .

وسنورد هنا ترجمة للأسر التي برز من أبنائها ثلاثة أئمة فأكثر حسب المذاهب الفقهية الأربعة، ثم نذكر الأسر التي منها إمامان فأقل .

المطلب الأول: الأسر المنتسبة إلى المذهب الحنفي

١ – أسرة أبي سلمة:

من الأسر الأحناف، شاركوا أسرة البخاريين إمامة المقام الحنفي في بداية فترة البحث، واشتهر منهم: إبراهيم أبو سلمة (كان حياً سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)، ومحمد أبو سلمة (ت: ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م)، وإبراهيم بن عيسى أبو سلمة (ت: ١٠٧٦هـ / ١٦٦٦م)[2].

٢ – أسرة البخاري :

من الأسر التي برزت في مكة المكرمة، على المذهب الحنفي، وقد ذكر الطبري أن أئمة المقام الحنفي، قبل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي لا يزيدون

---

(١) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣١، ٦٤١، ٦٤٢.

(٢) انظر: الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٨٤، ٨٦، ٣٢٧.

على أربعة أنفار، أقدمهم بيت السادة البخاريين[1]، ومن أسرة البخاريين علماء تولوا إمامة المقام الحنفي في بداية فترة البحث، وهم: عفيف الدين عبدالله البخاري (ت: ٩٤١هـ/ ١٥٣٥م)، وشهاب الدين أحمد البخاري (ت: ٩٤٨هـ / ١٥٤١م)، ومحمد ابن أحمد البخاري (كان حياً سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م)[2].

٣- أسرة الزرعة:

بيت الزرعة بمكة بيت قديم رفيع البنيان، أهل علم وإمامة وثروة، وأصلهم من الهنود الفتَّن، أول من ذكرته المصادر منهم الشيخ محمد بن أحمد الزرعة، وكان من أبناء هذه الأسرة من تولى إمامة المقام الحنفي، ورئاسة الخطباء، والطوافة، ومن أبرز أئمة المقام الحنفي: أبو بكر الزرعة (ت: ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م)، وتقي الدين الزرعة (من أهل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)، واشتهرت ذريته بـ " بيت تقي "، ومحمد تقي (من أهل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي) [3].

٤- أسرة خوقير:

أسرة شهيرة من الأسر المهاجرة من الهند، ذكر السباعي أن بيت خوقير من أشهر الهنود غير الفتَّن الذين هاجروا إلى مكة المكرمة، اشتهر منهم علماء وأئمة في المقامات الحنفي والحنبلي، ومن أئمة المقام الحنفي: عبدالقادر بن محمد علي خوقير (ت: ١٣٠٤هـ /١٨٨٧م)، ومحمد عارف بن عبدالقادر خوقير، وصديق بن عبدالقادر خوقير (من أهل القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي) [4].

---

(١) الطبري: الأرج المسكي، ص ١٨٥.

(٢) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٨١، ١٢٨، والصبحي: وسام الكرم، ص ص ٢٢٩، ٣٤٠، والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١٩٣.

(٣) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص٦٤، ١٥٠، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣٣، والصبحي: وسام الكرم، ص ص ٩٥، ١٤٧.

(٤) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٤٣، والصبحي: وسام الكرم، ص ص٢٠٠، ٢٦٢، ٣٥٩.

٥ – أسرة الصديقي (بيت المفتي):

أسرة الصديقي عائلة كبيرة من أهل الفقه والأدب، تعود أصولهم إلى تجار الهند، يقال لهم الصديقي نسبة إلى عميد هذه الأسرة أبي الفرج أبي بكر عبدالقادر الصديقي، ويقال لهم "المفتي" لأن هذه الأسرة تولت منصب الإفتاء بمكة المكرمة على المذهب الحنفي قرابة قرن من الزمن، ومن أئمة المقام الحنفي: عبدالقادر بن أبي بكر الصديقي (ت: ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م)، وأحمد بن عبدالقادر الصديقي (من أهل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي)، وعلي بن عبدالقادر الصديقي (ت: ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م)، وأحمد مفتي، ودرويش مفتي، وعبدالرحمن مفتي (وهم من أهل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي) [١].

٦ – أسرة الكتبي:

أول من عُرِفَ من أسرة الكتبي هو السيد محمد حسين كتبي، قدم إلى مكة المكرمة مجاوراً في سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م، واشتغل في وظيفة الفتوى، وبرز من أبنائه علماء وأئمة ومدرسون في المسجد الحرام، ومن أئمة المقام الحنفي: محمد صالح بن محمد الكتبي (ت: ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، وعبدالهادي بن محمد الكتبي (كان حياً سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م)، ومحمد مكي بن محمد الكتبي (ت: ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م)، وحسين ابن محمد الكتبي (كان حياً في القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)، وأحمد بن محمد الكتبي (كان حياً في القرن الرابع عشرالهجري / التاسع عشرالميلادي)، ومحمد نور الكتبي (ت: ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م)[٢]، ومحمد بن عبدالرحمن المرزوقي الكتبي (ت: ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م).

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص٢٦٤، ٢٧٦، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٧٨، ١٨١.

(٢) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٦٠، وعبدالله بن أحمد الغامدي: أئمة الحرمين، ص ص ١٠ – ١٥.

٧ – أسرة كوجك:

من الأسر التركية التي استوطنت مكة المكرمة في العهد العثماني، برز من أبناء هذه الأسرة علماء وأئمة في المقام الحنفي، منهم: عبدالله بن محمد كوجك (ت: ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م)، ومحمد بن عبدالله كوجك، وحسن بن محمد كوجك (من أهل القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)[١].

٨ – أسرة العجيمي:

أسرة علمية كان جدها الأعلى من العلماء بمصر، قدم بعض أفرادها مكة المكرمة واستوطنوها، واشتهروا بالعلم والتأليف وتولِّي الوظائف الشرعية، كانوا من الشوافع فتحنفوا، وصفهم مرداد فقال: ((وبيت العجيمي بمكة بيت قديم أهل علم وفضل ومجد وإمامة وخطابة إلى زماننا هذا))[٢]، وأول من اشتهر منهم العلامة حسن بن علي العجيمي، واشتهر من أئمة المقام الحنفي: عبدالحفيظ بن درويش العجيمي (ت: ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م)، وعبدالرحمن بن حسن العجيمي (ت: ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م)، ودرويش بن حسن العجيمي (ت: ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م)، وحسن بن عبد الرحمن العجيمي (ت: ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)[٣].

٩ – أسرة عبد الشكور (بيت هندية):

أسرة عبدالشكور هي إحدى بيوت الأدب بمكة المكرمة، تعود إلى مؤسسها عبدالشكور الهندي، الذي قدم من بلاده إلى مكة المكرمة، وكانت شهرتهم "بيت عبدالشكور "و"بيت هندية"، وممن تولى منهم الإمامة في المقام الحنفي: عبدالله عبدالشكور (ت: ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، وزين العابدين بن علي بن عبدالشكور (ت:

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣١٦، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٤٢.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٧٠، ٢٣٢، والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٣٦٧.

(٣) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ١٩٤، ٢٣١، ٢٤٧، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣٦، والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٣٦٨، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١١٦٨.

١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، وأحمد بن أمين بن عبدالشكور (ت: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، وأصبحت شهرة ذرية زين العابدين "بيت زين العابدين" نسبة إلى أبيهم، كما اشتهر بيتهم بـ "بيت العطار" ثم اشتهروا بـ "بيت المال"[1].

١٠ – أسرة عطية:

أسرة علمية، وعميد هذه الأسرة الشيخ حمودة بن عطية، السندي الأصل، المكي، الحنفي، اشتهرت أسرته بـ "بيت عطية" نسبة إليه، وبرزوا في التدريس والخطابة والإمامة بالمسجد الحرام، ومن أئمة المقام الحنفي: حمودة بن عطية (ت: ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م)، وهو أول خطيب وإمام من بيت عطية، وصلاح بن عطية (ت: ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م)، وعبداللطيف بن عطية (ت: ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)، ومحمد حسين عطية (من أهل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي)[2].

١١ – أسرة الفتياني:

بيت الفتياني بالقدس بيت علم وصلاح، وأول من قَدِمَ منهم إلى مكة المكرمة محمد بن حسين الفتياني، الذي تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، وأحبه أمير مكة وقلده الخطابة وإمامة المقام الحنفي، ومن بعده أبناؤه، فأئمة المقام الحنفي منهم: محمد بن حسين الفتياني (ت: ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)، وحسين بن محمد الفتياني، وموسى بن حسين الفتياني (من أهل القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)[3].

١٢ – أسرة القاضي:

أسرة علمية بمكة، برز منهم عبدالمنعم بن سليمان قاضي، المدرس والإمام بالمسجد الحرام، اشتهرت ذريته بـ "بيت القاضي"، وظيفتهم الإمامة بالمقام الحنفي،

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص١٠٣، ٢٠٠، ٣٠٥، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٥٧، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٨٥، ١٨٨.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ١٨٣، ٢٢٣، ٢٨٥.

(٣) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٧٣.

ومنهم: عبدالمنعم بن سليمان قاضي (ت: ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م)، وحسين قاضي، وعبدالله ابن حسين قاضي، وعبدالسلام قاضي، ومحمد قاضي (وهم من أهل القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)(١).

١٣ – أسرة القلعي:

أسرة القلعي(٢)، أسرة علمية ظهرت بمكة المكرمة في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، واستمر ذكرهم إلى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، قال مرداد: (ولبيت القلعي وجود في زماننا)(٣)، عُرفوا بالعلم والصلاح فكان منهم الإمام، والخطيب، والمفتي، والمطوِّف، ومن علماء هذه الأسرة الذين تولوا الإمامة في المقام الحنفي: محمد تاج الدين بن عبدالمحسن القلعي (ت: ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م)، وعبدالمنعم بن محمد القلعي (ت: ١١٧٤هـ / ١٧٦١م)، وعبدالملك بن عبدالمنعم القلعي (ت: ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)(٤).

١٤ – أسرة مرداد:

أسرة مرداد من الأسر التي ظهرت بمكة المكرمة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، فتقلدت المناصب الدينية، والتدريس، ونشر العلوم الدينية مدة من الزمن، تولى العديد من أبناء الأسرة مشيخة الخطباء، والإمامة بالحرم المكي، وهي أسرة على المذهب الحنفي، وتذكر المصادر عميد هذه الأسرة محمد صالح مرداد الحنفي المكي، الذي خلَّف ثلاثة من الأبناء، هم: محمد وسليمان وعبدالرحمن، وكان لكل منهم أسرة علمية متميزة بالبلد الحرام(٥)، ومن أبرز أئمة المقام الحنفي من أبناء هذه الأسرة: محمد

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٣٠، والصبحي: وسام الكرم، ص ص ١٦٠، ٢٥١، ٢٧٤، ٣٩٠.

(٢) القلعي: نسبة إلى إحدى قلاع الروم. وانظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٤٩.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٣٠.

(٤) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ١٤٨، ٣٢٩، ٣٣١، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣٦.

(٥) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٧٦، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٩٧، ٢٠٢.

ابن محمد صالح مرداد (ت: ١٢٠٥هـ / ١٧٠٩م)، وعبدالله بن عبدالرحمن مرداد (ت: ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م)، وعبدالمعطي بن محمد مرداد (ت: ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م)، ومصطفى بن عبدالله مرداد (ت: ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م)، وعبدالله بن محمد صالح مرداد (١٢٧٢هـ / ١٨٥٤م)، وعبدالعزيز بن محمد صالح مرداد (ت: ١٢٧٥هـ / ١٨٥٧م)، ومحمد صالح بن سليمان مرداد (ت: ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م)، ومحمد علي بن سليمان مرداد (ت: ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م)، وأحمد بن عبدالله مرداد (ت: ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م)، وأمين بن محمد علي مرداد (ت: ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م)، وعبدالله بن أحمد مرداد (ت: ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)[١].

١٥ – أسرة المرشدي:

تعد أسرة المرشدي من الأسر المكية القديمة، تنتسب إلى المذهب الحنفي، استوطنت مكة المكرمة من أوائل القرن الثامن الهجري، وفي القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين برز من أبنائها من له الريادة في تولي الوظائف الدينية كالإفتاء والإمامة والخطابة والإسهام في إثراء الحركة العلمية بالتدريس والتأليف، ومن أبرز أبناء هذه الأسرة في إمامة المقام الحنفي: عبدالرحمن بن عيسى المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، وحنيف الدين بن عبدالرحمن المرشدي (ت: ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)، وإمام الدين بن أحمد المرشدي (ت: ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)[٢].

١٦ – أسرة المرغني:

أسرة علمية ظهر ذكرها العلمي في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وبرعت في الفقه الحنفي، تولى بعض أبناء الأسرة التدريس والإفتاء في المسجد

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ١٣٤، ٢٦٠، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٥٠٠، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٥٨، والصبحي: وسام الكرم، ص ص ٢٠٧، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٣٢، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٩٧، ٢٠٢.

(٢) انظر: العجيمي: خبايا الزوايا، ص ص ١٩٥، ١٩٩، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ص ١٣٠، ١٨٤، ٢٥٠، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣٢.

الحرام، كما تولى منهم إمامة المقام الحنفي: محمد ياسين بن عبدالله المرغني (ت: ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)، وعلي المرغني، ومحمد المرغني (من أهل القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)[١].

١٧ - **أسرة نائب الحرم:**

هي أسرة قديمة في مكة، ونيابتهم في الحرم هي نيابة عن أمير البلاد في شؤون المسجد ومراقبة موظفيه من خدم وموظفين وأئمة، ومن أبناء هذه الأسرة أئمة المقام الحنفي: إبراهيم نائب الحرم، وأحمد نائب الحرم، وسليمان نائب الحرم، وجميعهم من أئمة القرن (الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)[٢].

ومن الأسر الأحناف الذين برز من أبنائهم أئمة في المسجد الحرام: ابن ظهيرة، الأنصاري، البكري، البهاري، دهان، خوج، الراضي، كمال، سراج، السنجاري، السمرقندي، شفي، شمس، الصاغاني، عتاقي، الفتني، القطبي، قيِّم زادة، قنق، لبني، مرعشلي، المزجاجي، مخدومي، الموروي، ميرة .

المطلب الثاني: الأسر المنتسبة إلى المذهب المالكي:

١ - **أسرة حسين المالكي:**

بيت حسين المالكي بيت علم وإمامة وفتوى، وكان من أشهر أئمة المقام المالكي: حسين بن إبراهيم المالكي (ت: ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)، ومحمد الأمير المالكي (كان حياً سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م)، ومحمد عابد بن حسين المالكي (ت: ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م)، ومحمد علي بن حسين المالكي (ت: ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، ولا تزال أسرة حسين المالكي في مكة يشتغلون في مناصب حكومية[٣].

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٦٠، ١١٨ ، ٤٩١ ، والصبحي: وسام الكرم، ص ص٣٠٥، ٤١٥، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٤١.

(٣) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٨١، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٦٠، والصبحي: وسام الكرم، ص ٥٢.

٢ – أسرة خالد الجعفري :

الجعفري نسبة إلى جعفر بن أبي طالب ﷺ، وأسرة خالد الجعفري بيت قضاء وفتوى وإمامة وخطابة، وممن ولِّي منهم إمامة المقام المالكي: خالد بن محمد الجعفري (ت: ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م)، وأحمد بن خالد الجعفري (كان حياً في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي)، وعلي بن خالد الجعفري (كان حياً في القرن الحادي عشرالهجري / السابع عشرالميلادي) [١].

ومن الأسر على المذهب المالكي: ابن عباس، الأزهري، الدكالي، القبيباتي، المشاط، المنصوري، النبهاني.

المطلب الثالث: الأسر المنتسبة إلى المذهب الشافعي:

١ – أسرة الريس أو (الزمزمي) :

أسرة الريِّس أو الزمزمي بيت قديم بمكة شهير بالعلم والفضل، عرفوا بـ "بيت الزمزمي "لتوليهم وظيفة رئاسة زمزم، ثم بـ "بيت الريس"، ظهر من هذه الأسرة علماء تولوا وظائف الإفتاء، ورئاسة المؤقتين بقبة بئر زمزم، والتدريس بالمسجد الحرام، والإمامة. ومن الأئمة بالمقام الشافعي: عبد العزيز بن محمد الزمزمي (ت: ١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م)، وعبدالله بن عبدالله الريس (كان حياً في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)، ومحمد صالح بن إبراهيم الريس (ت: ١٢٤٠هـ / ١٨٤٤م)[٢].

٢ – أسرة السقاف:

تعود أصول هذه الأسرة إلى حضرموت، وتنسب إلى أبي بكر بن محمد بن أبي بكر ابن عقيل الشافعي (ت: ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م)، الذي قدم مكة المكرمة، وبرز من أسرة

(١) انظر: الطبري: الأرج المسكي، ص ١٨٦، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ١٨٧، والصبحي: وسام الكرم: ص ٥١.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص٢٥٩، ٢٩٤، ٣٧٦، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣٦، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٦٦ – ١٦٨.

السقاف بعض العلماء، منهم أئمة في المقام الشافعي: عيدروس السقاف (كان حياً في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م)، وعمر بن عبدالله السقاف (ت: ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م)، ومحمد ابن عبدالله السقاف (ت: ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)، وحسن بن محمد السقاف (كان حياً في سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)، وعلوي بن أحمد السقاف (ت: ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م)[١].

٣ – أسرة الشيبي:

هم ذرية شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجبي من أولاد عبدالدار، وقد ظل بيتهم عامراً بمكة، كما ظلت خدمتهم في الحجابة خالدة، وما زال نسلهم في مكة[٢]، برز منهم علماء، وفي آخر فترة البحث ولِّي منهم الإمامة في المقام الشافعي بعض الأئمة، وهم: عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي (ت: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، ومحمد صالح بن أحمد الشيبي (ت: ١٣٣٥هـ / ١٩٢٩م)، عبدالقادر بن محمد الشيبي (ت: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)[٣].

٤ – أسرة الطبري:

أسرة الطبري أسرة عريقة، من أقدم البيوت بمكة، وبيتهم بيت علم وشرف، استوطنوا مكة المكرمة منذ القرن السادس الهجري، وانفردوا بمناصب دينية لم يشاركهم فيها أحد بمكة المكرمة، كالفتيا والقضاء والإمامة والخطابة في المسجد الحرام، وظلوا على ذلك عدة قرون، وكان منصب الإمامة للمقام الشافعي مخصوصاً بهم، يتوارثونه، لوجود الإذن المطلق لهم من زمن السلاطين العثمانيين السابقين والأشراف، ويكفي أن نعلم أن العلماء من هذه الأسرة الذين تولوا إمامة المقام الشافعي خلال فترة البحث، بلغوا (٢٨) إماماً[٤].

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٦٥، ١٢٨، ٣٤٣ ، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٧١.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٤٠.

(٣) الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٢٤٠، ٢٦٢، ٣٥٤.

(٤) الطبري: الأرج المسكي، ص ١٨٤، ومرداد: مختصر نشر النور، ص٢٧٠.

وامتد عطاء هذه الأسرة منذ ظهورها في القرن السادس الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري، فقد انقرضوا، ويذكر مرداد (ت: ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) أنه لم يكن في زمانه في القرن الرابع عشر الهجري أحد من أولاد الظهور لهؤلاء الأسر، بل من قبله من نحو مئة وخمسين سنة، أي مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري انقرضت هذه الأسرة، وكان آخر من سجلت المصادر إماماً للمقام الشافعي؛ محمد جمال الدين بن علي الطبري (ت: ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م)[(١)].

٥ – **أسرة فقيه :**

أسرة علمية، برز أبناؤها في حفظ القرآن الكريم وحسن قراءته وتجويده، فتولى بعضهم منصب الخطابة والإمامة بالمسجد الحرام، ومن أئمتهم في المقام الشافعي: عبدالله بن جعفر فقيه (ت: ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، وسليمان بن أحمد بن جعفر فقيه (ت: ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)[(٢)]، وأحمد بن عبدالله بن جعفر فقيه (كان حياً في القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي).

٦ – **أسرة المنوفي:**

هي أسرة علمية، أصلهم من المنوفية بمصر، قدم جدهم الشيخ محمد بن أحمد المنوفي الشافعي مكة المكرمة أول القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وكان عالماً فاضلاً، تولى أبناؤه العديد من المناصب، وشاركوا الطبريين إمامة المقام الشافعي ثم الخطابة، وصف بيتهم بأنه بيت علم وخطابة وفضل ورياسة، ومن أئمتهم في المقام الشافعي: عبدالجواد بن محمد المنوفي (ت: ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م)، محمد سعيد بن محمد المنوفي (ت: ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م)، وسعيد بن محمد المنوفي (ت: ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، وزين العابدين بن محمد المنوفي (ت: ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م)، وحسين بن

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص٤٥٨، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٨١ – ١٨٤، وصالح ابن حميد: تاريخ أمة، ١ / ٣٩.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ص١١٠، ٣١٤، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٩٤.

سعيد المنوفي (ت: ١١٦٧هـ / ١٧٥٣م)، وإبراهيم بن سعيد المنوفي (ت: ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م)[(١)].

ومن الأسر على المذهب الشافعي: بابصيل، بسيوني، بصراوي، البكري، جمل الليل، الحضرمي، الخطيب، الخليدي، الزواوي، الكازروني، الكردي، سراج، شطا، الشلي، فدعق، النخلي .

المطلب الرابع : الأسر المنتسبة للمذهب الحنبلي :

١ – أسرة ابن ظهيرة :

أسرة ابن ظهيرة القرشية الأصل، من أشهر الأسر المكية وأبرزها في شتى نواحي الحياة، وامتازت هذه الأسرة بأن كان لها دور أكبر وأكثر تأثيراً في الحياة المكية على مدى قرون عدة، فنرى كثيراً من أبناء هذه الأسرة يتولون مناصب الإفتاء والقضاء والتدريس وإمامة الحرمين، واشتهر منهم أئمة في المقام الشافعي والحنبلي، ومن أئمة الحنبلي خلال فترة البحث: عبدالقادر بن محمد بن ظهيرة (ت: ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)، وأحمد بن عطية ابن ظهيرة (ت: ٩٤٢هـ / ١٥٣٦م)، وعبدالله بن عبدالقادر بن ظهيرة (كان حياً سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٦م)، وعبدالله بن أبي بكر بن ظهيرة (ت: ١٠٤٠هـ / ١٦٣١م)، وأبو بكر بن ظهيرة (ت: ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م)، وأحمد بن ظهيرة (كان حياً في القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي)[(٢)].

٢ – أسرة ابن حميد :

تُعَّد أسرة ابن حميد من الأسر التي استوطنت مكة المكرمة من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وهم من عنيزة بالقصيم، تولى أبناء

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٠٠، ٢٠١، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٣٣، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٢٠٢ – ٢٠٣.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص١٠٢، والسباعي: تاريخ مكة، ١ / ٣٧٢، والصبحي: وسام الكرم، ص٥٧.

هذه الأسرة إمامة المقام الحنبلي، فمن أئمتهم؛ محمد بن عبدالله بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، وهو أول من قَدِمَ من الأسرة لمكة المكرمة، وعلي بن محمد بن حميد (كان حياً سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م)، وعبدالله بن علي بن حميد (ت: ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م) [١].

ومن الأسر على المذهب الحنبلي: ابن داود، خوقير، القزويني، القسطلاني، هدهد، المغربي.

يتضح من ذلك العرض عن الأسر المنتسبة للمذاهب الفقهية الأربعة بعض الجوانب، من أهمها:

- كثرة الأسر المنتمية إلى المذهب الحنفي، وهو شيء طبيعي، لأنه مذهب الدولة الرسمي، فأكثر الوظائف تولى للأحناف.
- قلة الأسر المنتمية للمذهب الحنبلي، لقلة المنتمين لهذا المذهب في الحجاز.

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص٤٢٣، والصبحي: وسام الكرم، ص ص ٥٨، ٢٢٢، ٣٠١، ٣٦٤ .

الفصل الثالث

دور المقامات في الحياة الدينية والاجتماعية في مكة المكرمة خلال فترة البحث

المبحث الأول : دور علماء المقامات في الفتوى ومحاربة البدع.

المبحث الثاني : دور علماء المقامات في الحج.

المبحث الثالث : دور علماء المقامات في الأوضاع الاجتماعية.

المبحث الأول

دور علماء المقامات في الفتوى ومحاربة البدع

يُعد منصب الإفتاء من المناصب الدينية المهمة التي استحقها العلماء عن غيرهم، كما أنها من الوظائف الحيوية المرتبطة بحياة الناس حيث تقدم لهم الخدمات الجليلة بحل العديد من القضايا الشرعية، مما يسهم في ترابط وصفاء المجتمع من البدع والخرافات.

المطلب الأول: دور العلماء في الفتوى:

أولاً: منصب الإفتاء:

منصب الإفتاء من أهم المناصب الدينية في الإدارة الإسلامية، مثله مثل منصب القضاء، وربما يكون أهم، لما له من آثار في جميع نواحي الحياة.

وفي بداية عهد العثمانيين على الحجاز كان الإفتاء في مكة المكرمة يمارسه من يتأهل له، ولم يكن هناك منصبٌ رسميٌّ مقامٌ من جانب السلطنة[١].

وأول من تولى هذا المنصب الشيخ عبدالكريم القطبي (ت: ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م)، فقد تولى خدمة الإفتاء الحنفي، وعُيِّن له راتبٌ من جمرك جدة[٢].

ثم سعى علماء المذاهب الثلاثة الأخرى في تعيين مفتين، فوافقت السلطنة وعينت لكل مذهب مفتياً، وجعلت لهم راتباً (٥٠ عثمانياً) من جمرك جدة، فأصبح المفتون على المذاهب الأربعة موظفين رسميين يعينون من جانب السلطنة، ويتقاضون مرتبات مقابل الإفتاء، إلا أنه لا حرج لمن تأهل للإفتاء أن يقوم به تطوعاً[٣]، وقد ظلت أمور

---

(١) انظر: ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٢٩، وعلي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٩٠.

(٢) انظر: علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٩٠، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٣٨، وقد خالفهما هذا الرأي أحمد السباعي، الذي يذكر أن أول من تولى رئاسة الفتوى هو الشيخ قطب الدين الحنفي المكي عميد آل القطبي، ثم عبد الكريم القطبي. انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٤٠ ،ويترجح لدي الرأي الذي ذكره الطبري ووافقه عليه مرداد.

(٣) انظر: ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٢٩، وعلي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٩١، وسنوك: صفحات، ٤٩١/٢، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٣٨، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ /٥٤٠، وسهيل صابان: مراسلات الباب العالي، ص ٣٣٧.

الفتوى في العهد العثماني تتداولها بيوت العلم في مكة الكرمة، بترشيح من أمير مكة أو القاضي .

فطريقة تعيين المفتين، كانت بترشيح أسماء العلماء ورفعها إلى مفتي إستانبول، الذي كان رأس السلطة الدينية في الدولة العثمانية، وقد خضعت جميع الهيئات القضائية والدينية إلى سلطته بوصفه "شيخ الاسلام"[١]، وكان تثبيت الموظفين الدينيين في إستانبول وفي أقاليم الدولة العثمانية منوطاً به، وقد اختير المفتي في مكة المكرمة من أصحاب المذهب الحنفي، من الأتراك، بينما سمح للمذاهب الأخرى أن تختار مفتين من العلماء المحليين – غير الأتراك –، فكان معظم المفتين في مكة المكرمة من الحجازيين والشوام والمصريين والمغاربة، وعند موافقة الدولة العثمانية تصدر الفرمانات السلطانية بالتعيين، ويقرر لهم رواتب، وكان المفتون يظلون في منصب الإفتاء مدى الحياة، أي دون التقيد ببلوغهم سناً معينة يحالون بعدها للتقاعد[٢].

كما أن لمنصب الإفتاء في مكة المكرمة تنظيم كأي إدارة أخرى في الدولة العثمانية، فله رئيس وغالباً ما يكون من علماء الأحناف، ووكيل، ومفتين آخرين حسب المذاهب السنية الأخرى، وأمناء فتوى، ولكل من هؤلاء أعمال منوطة به[٣]، وهناك منصب "شيخ العلماء" أو "رئيس العلماء"، الذي تعينه الدولة، ويكون في الغالب من رجال الإفتاء، ويفضل مفتي الشافعية لهذا المنصب، ومن مهامه؛ تعيين المدرسين الجدد، وتوزيع الموارد المالية، وإصدار الفتوى والرد على الأسئلة والاستفسارات التي ترد إليه بعد عرضها على العلماء[٤].

---

(١) شيخ الإسلام: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، كان مسؤولاً عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية. انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٢.

(٢) انظر: مُحَمَّد علي بيومي: تاريخ القضاء، ص ص ٥٩، ٦١.

(٣) انظر: الكردي: التاريخ القويم، ٥ / ٤٢٢، وعبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٣٧.

(٤) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٨٤، وسنوك: صفحات، ٢ / ٤٩٤، ٥٠١، وعبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٣٦.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الفتوى:

من خلال الاطلاع على المصادر التي تحدثت عن فتاوى العلماء على اختلاف مذاهبهم الفقهية، نجد أنها شملت جميع نواحي الحياة، الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والإدارية وغيرها، ويمكننا استعراضها بإيجاز، كما يأتي:

الناحية الدينية: عالجت الفتوى شتى الجوانب الدينية بحكم أن العلماء هم المرجع في الأمور الدينية، فنجد الكثير من الفتاوى في مسائل فقهية تتعلق بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى دوِّن فيها مؤلفات بعضها مطبوع ومنها المخطوط[1]، كما كان للفتوى دور مهم في دعم أحكام القضاء، وأحياناً الاستعانة بالفتوى لإبطال بعض الأحكام[2].

الناحية السياسية: كان للمفتين في مكة المكرمة دور مؤثر على مستوى حكام الحجاز أو الدولة العثمانية، ففي النزاعات التي كانت بين الأشراف على الحكم كثيراً ما تؤثر الفتوى أو موقف رجال الفتوى على موقف الأطراف المتنازعة، ففي سنة (١١٠٦هـ / ١٦٩٥م)، أثناء الصراع بين الأشراف رفض الأهالي في مكة القتال حتى استصدروا فتوى بجواز الدفاع ضد المعتدين[3]، وفي سنة (١٣١١هـ / ١٨٩٤م)، أثناء النزاع بين الشريف عون الرفيق[4]، ووالي الحجاز عثمان نوري باشا[5]، انضم مفاتي المذاهب الأربعة مع الشريف، وكانت النتيجة فوز الشريف، وإصدار السلطان العثماني

(١) انظر: مكتبة الحرم المكي: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم ٢٠٨٦، ص ١٢، وعبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٣٧.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٨٨.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٤٥٤.

(٤) الشريف عون الرفيق: تولى شرافة مكة المكرمة سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م، وتوفي سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م. انظر: إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ٢٢٦.

(٥) عثمان نوري: تولى الوزير عثمان نوري باشا ولاية الحجاز سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م، كان عاقلاً فاضلاً، وعزل سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م. انظر: الكردي: التاريخ القويم، ٦ / ٣٠٢.

أمراً بعزل والي الحجاز ومن انضم إليه وإبعادهم عن الحجاز[١]؛ ومن ناحية أخرى كانت الدولة تلجأ إلى مفتي الأحناف في مكة المكرمة إذا أرادت استصدار أي حكم يتوافق مع الشرع الإسلامي، بينما تلجأ إلى شيخ العلماء "مفتي الشافعية "ومن ورائه العلماء حينما تريد دعم وجهة نظرها وموافقة كافة المذاهب على ما تودُّ إعلانه على الناس من إصلاحات أو تنظيمات جديدة، فيقوم شيخ العلماء بإصدار فتوى وعرضها على العلماء لأخذ موافقتهم على ذلك[٢].

الناحية الاقتصادية: تزخر المصادر بالعديد من الفتاوى التي تعالج النواحي الاقتصادية، مثل: أحكام البيوع، والدَّين، والحوالة، والإيجار، والوقف وغيرها[٣]، فعلى سبيل المثال: فتوى الشيخ عبدالرحمن بن عيسى المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ / ١٦٢٨م)، في إيجار الوقف وتنظيم غلته[٤].

الناحية الاجتماعية: كانت الفتوى من الأمور المهمة المرتبطة بحياة الناس وعلاقاتهم والمصالح المشتركة بينهم، فعالجت العديد من الجوانب الاجتماعية مثل: الأسرة وما يتعلق بها من أحكام النكاح والطلاق والرجعة والعدة والمهر والنفقة والرضاع والميراث[٥]، كما تناولت الفتوى جوانب أخرى تتعلق بمصالح الناس، منها: المحافظة على الوظائف، كالتنازل عن الوظيفة للغير، وعزل الموظف، ونجد أن الدولة تستجيب لمثل هذه الفتاوى وتصدر قراراً يحافظ على الوظائف ومصادر دخل الأسر،

---

(١) باسلامة: تاريخ الكعبة، ص ٤٠٧.

(٢) دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٧٦، وسنوك: صفحات، ٢ / ٤٩٤.

(٣) المرشيدي: عبد الرحمن بن عيسى وآخرون. مجموعة فتاوى بعض علماء البلد الحرام، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، قسم المخطوطات، مخطوطة رقم (٢٠٨٦)، لوحة (٥٤)؛ ومخطوطة رقم (٢٠٨٧)، لوحة (١)، وما بعدها.

(٤) المرشيدي: عبد الرحمن بن عيسى وآخرون. مجموعة فتاوى بعض علماء البلد الحرام، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، قسم المخطوطات، مخطوطة رقم (٢٠٨٧)، لوحة (١١).

(٥) المرشيدي: عبد الرحمن بن عيسى وآخرون. مجموعة فتاوى بعض علماء البلد الحرام، (مخطوط)، مكتبة الحرم المكي، قسم المخطوطات، مخطوطة رقم (٢٠٨٦)، لوحة (١٢).

فينقل أبو بكر الزرعة عام (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م) صورة الفرمان عام(١١٣٢هـ) بعدم تغيير الوظائف والأوقاف "كل ما كان لأهالي مكة المشرفة من الجهات وظائف وغيرها كائناً ما كان إذا توفي أحد منهم يكون حصته لمن بقي من بعده من الأولاد والعيال والأقارب..."[١].

الناحية العمرانية: شملت فتاوى العلماء المنشآت المعمارية، فحينما تقوم السلطات العثمانية بتعمير أو ترميم وإصلاح أي من المنشآت في الحرم المكي فإنهم يحتاجون إلى رجال الإفتاء لبيان الوجه الشرعي في ذلك، ففي عمارة الكعبة – مثلاً – تطلب الفتوى في كل صغيرة وكبيرة[٢]، وفي عمارة مقام إبراهيم عليه السلام والمقامات الأربعة كانت الفتوى ضرورية في الاستمرار في تعمير المقامات وترميمها، من جانب آخر كان الامتناع عن الفتوى سبباً في توقف البعض عن هدم بعض الدور[٣].

بالإضافة إلى ما سبق فإن الفتوى عالجت جوانب عديدة منها: الصحية، والقوانين الحديثة، والأسلوب الجديد في الملابس وغيرها.

يتضح من كل ما سبق حول أهمية الفتوى عدة أمور، منها:

- كانت الفتوى ورجال الإفتاء عنصراً مهماً في الحياة الدينية، عالجوا بالفتوى جميع نواحي الحياة، إذ كانت الفتوى توفر الحل للعديد من القضايا الشرعية، يَلجأ إليها المسؤولون على مستوى الدولة وحكام الحجاز والمجتمع والأفراد .
- توضح الفتوى مدى تدين المجتمع وحرصه على موافقة الشرع وتطبيقه في جميع نواحي حياتهم .

---

(١) انظر: أبو بكر الزرعة : بساط الكرم، ص ١٧ وما بعدها، وسنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٢.

(٢) انظر: النهروالي: الإعلام، ص ٩٠، والقطبي: إعلام العلماء، ص ٥٥، وابن علان: عمارة الكعبة المشرفة، ص ص ٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ٢٥٠، ٢٧٠، وباسلامة: تاريخ الكعبة، ص ص ١٣٣، ١٤٠، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٤٦.

(٣) ابن علان: عمارة الكعبة المشرفة، ص ٢٠١

- كما توضح المكانة الاجتماعية للعلماء فهم المرجع الذي يسهم في حل قضايا المجتمع، لما يتمتعون به من كفاءة علمية وتقدير في مجتمعهم.
- كانت مكة المكرمة مركزاً إسلامياً للفتيا، ترد إليها الأسئلة من بعض الأقطار الإسلامية .

المطلب الثاني: دور العلماء في محاربة البدع :

أولاً : الحالة الدينية في مكة المكرمة خلال فترة البحث :

قبل الحديث عن البدع في مكة المكرمة خلال فترة البحث، من المناسب توضيح الحالة الدينية فيها من خلال بيان المذاهب والفرق الدينية التي كان لها وجود أو تأثير.

وعوداً على بدء ففي تمهيد البحث تطرقنا إلى انتشار المذاهب الفقهية، ونجد أن جميع المذاهب السنية الأربعة وغيرها من الفرق الدينية الإسلامية حرصت أن يكون لها تواجد في منطقة الحجاز بشكل عام وفي مكة المكرمة على وجه الخصوص لما تتمتع به مكة المكرمة من قدسية في نفوس المسلمين ومكانة في العالم الإسلامي . ولتوضيح الحالة الدينية سنناقشها من جانبين، هما:

المذاهب السنِّية الأربعة، والفرق الدينية :

أولاً: المذاهب السنية الأربعة: ونرتبها حسب تأثيرها في مكة المكرمة، الشافعي، ثم الحنفي، ثم المالكي، وأخيراً الحنبلي.

المذهب الشافعي: أتباع هذا المذهب هم الغالبية، فهم الأكثر عدداً ولهم تأثير واسع في المجتمع المكي، والوسط العلمي، يتحدث الطبري (ت: ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) عن كثرة أتباع المذهب الشافعي في عصره، فيقول: (ينبغي إقامة القضاة على المذاهب، خصوصاً على مذهب الشافعي، فإن غالب أهل القطر الحجازي شافعيون)[١].كما يشير ابن عبدالسلام الدرعي في رحلته عام (١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م)إلى مكانة المذهب الشافعي

(١) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٩٠.

على مستوى طلبة العلم وغيرهم[١]. ويتابع المستشرق سنوك في رحلته عام (١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م) نشاط هذا المذهب في مكة المكرمة، فيتحدث عن نفوذه وتأثيره على المكيين، وأهميته في الحياة العلمية وحلقات التدريس، لهذا فمن غير المستغرب أن شيخ العلماء يكون من علماء الشافعية[٢].

المذهب الحنفي: يأتي في المرتبة التالية بعد المذهب الشافعي، فإذا كان الشافعي له المكانة في المجتمع المكي، فإن المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرسمي ولذا فإن أتباعه كثيرو العدد، ويذكر ابن عبدالسلام الدرعي مكانة المذهب الحنفي في مكة المكرمة ومنافسته للمذهب الشافعي، فيقول: "وأما الحنفية كالشافعية، فلهم اليد الطولى في الحرمين الشريفين في طلبة العلم وغيرهم، ومنهم الأئمة والقضاة والمفتون"[٣]. فأكثر الموظفين الرسميين هم من الأحناف، ويذكر المستشرق سنوك أنه في حلقات التدريس تبلغ نسبة المدرسين الأحناف ثلث المدرسين البالغ عددهم من ٥٠ – ٦٠ مدرساً، بينهم علماء من مكة ومن مختلف مناطق الدولة العثمانية[٤].

المذهب المالكي: أتباع هذا المذهب في مكة المكرمة أقل من أتباع المذهبين الشافعي والحنفي، وهم أكثر من أتباع المذهب الحنبلي، ومعظمهم من المجاورين، فحلقات التدريس تزيد قليلاً عن حلقات المذهب الحنبلي، وكذلك عدد الأئمة في المقام المالكي[٥].

---

(١) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبد السلام، ص ١٤١.

(٢) انظر: سنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٤، ٥٠٧، وعبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ص ٧٣، ٧٥.

(٣) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبد السلام، ص ١٤١.

(٤) انظر: سنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٥، وعبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٧٥.

(٥) انظر: حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبد السلام، ص ١٤٠، وسنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٤، وعبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٧٥.

المذهب الحنبلي: وأتباعه في مكة أقل من القليل، ويدل على ذلك، عندما أنشئت المدارس السليمانية، لم يكن زمن بنائها حنبلي مؤهل للتدريس بالمدرسة الحنبلية فجعلت داراً للحديث، وفي عام (١٠٣٥هـ / ١٦٢٦م)، أرادوا إقامة قاضٍ حنبلي فلم يتيسر لعدم وجود حنبلي يقوم بذلك[١]. وفي عام (١١٩٦هـ / ١٧٨١م)، يصف ابن عبدالسلام الدرعي المذهب الحنبلي في مصر والحجاز، فيقول: (وأما الحنابلة فما أضعف مذهبهم في مصر والحرمين) [٢]. واستمر ضعف وجود المذهب الحنبلي في مكة وقلة أتباعه، ففي بداية القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، يؤكد المستشرق الهولندي سنوك هذا الرأي، فيذكر أن هناك مدرساً أو اثنين من مدرسي الحرم يقومان بتدريس الفقه الحنبلي، ويتمثل بالمثل القائل "ابحث عنهم بشمعة "، لقلة عددهم[٣].

يتضح من هذا العرض للمذاهب السنية الأربعة بعض الجوانب، منها:

١- محافظة الدولة العثمانية على استقلالية المذاهب السنية الأربعة، فلكل مذهب أئمته، ومفتوه، وحلقاته الدراسية .

٢- كان تواجد المذاهب السنية الأربعة في مكة المكرمة بنسب متفاوتة من حيث الكثافة العددية للعلماء والطلاب، يأتي في مقدمتهم الشافعي على المستوى الاجتماعي، ثم الحنفي على المستوى الاجتماعي، لكنه الأول على المستوى الرسمي، ثم المالكي، وأخيراً الحنبلي لقلة أتباعه من العلماء والطلاب .

ثانياً: الفرق الدينية الأخرى:

وأشهرها فرق الشيعة والصوفية:

الشيعة: ومن فرقهم؛ الزيدية، والجعفرية، والإثناعشرية، والباطنية، وقد بدأ المذهب الشيعي يمد ظله في مكة المكرمة بتأثير الحكم الفاطمي في مصر، مع ميل بعض

---

(١) انظر: القطبي: إعلام العلماء، ص ١١٥، وعلي الطبري: الأرج المسكي، ص ص ٨٠، ١٩٠.

(٢) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص ١٤١.

(٣) انظر: سنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٤، وعبدالوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف، ص ٧٥.

الأشراف إلى التشيع، وكان من أهداف توجه الدولة العثمانية إلى البلاد العربية الوقوف في وجه المد الصفوي الشيعي، وخلال فترة البحث كان هناك وجود لبعض الفرق الشيعية في مكة المكرمة، ففي عام (١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م)، يذكر العياشي في رحلته عن الشريف زيد[١]، فيقول: (كان يعتقد اعتقاد أهل بيته من الزيدية ثم باينهم ورجع إلى معتقد أهل السنة وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة...) [٢]، وفي عام (١١٥٧هـ / ١٧٤٤م)، حاول نادر شاه أن يجعل للمذهب الجعفري مقاماً في المسجد الحرام بجوار المذاهب الأربعة، فلم يتم له ذلك، وأمر شريف مكة بلعن الروافض فوق المنابر[٣].

الصوفية: خلال فترة البحث وجدت فرق الصوفية الدعم والرعاية من الدولة العثمانية، فتشير الوثائق العثمانية المرسلة إلى ولاية الحجاز إلى دور السلاطين العثمانيين في تقديم المساعدة والتسهيلات لمشايخ الطرق الصوفية، وكان من أهم هذه الطرق: النقشبندية، والبكتاشية، والمولوية، والرفاعية، والخلوتية، والأحمدية، والكازرونية . وتخصيص دعم مادي وعيني لزوايا صوفية[٤]. وفي ظل هذا الدعم ظهرت بعض الزوايا الصوفية[٥].

ثانياً: دور العلماء في محاربة البدع:

تعددت البدع وتنوعت في مكة المكرمة خلال فترة البحث، منها بدع منذ العهد الفاطمي، واستمرت حتى العهد العثماني، بعض هذه البدع ظاهرة في المجتمع أصبحت

---

(١) الشريف زيد بن محسن بن حسين أبي نمي، تولى أمارة مكة المكرمة عام ١٠٤١هـ، إلى أن توفي عام ١٠٧٧هـ. انظر: الزركلي: الأعلام، ٣ / ٦٠، ومساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٣٣.

(٢) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٤٢٦، وعبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢٠٥، رحلة العياشي.

(٣) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٤٨٩.

(٤) انظر: السنجاري: منائح الكرم، ١ / ٤٧، وسهيل صابان: مراسلات الباب العالي، ص ص ١٧٩، ١٩٧، ٢٣٢.

(٥) ذكر في كتاب خبايا الزوايا حوالي (١٤) زاوية للفرق الصوفية في مكة المكرمة. انظر: العجيمي: خبايا الزوايا، ص ١ وما بعدها.

من العادات والتقاليد التي يقام لها احتفالات سنوية، والبعض تأثيره محدود، ولكثرتها وتنوعها وصعوبة حصرها، سوف نذكر أبرزها بإيجاز من جانبين، هما:

البدع الموجودة في مكة المكرمة خلال فترة البحث، وجهود العلماء في محاربتها .

أ) البدع الموجودة في مكة المكرمة: ومن أبرزها:

١- تعدد المقامات في المسجد الحرام: وهي من البدع التي كانت سبباً في تفرق الجماعات، ووقوف كل طائفة في مقام من هذه المقامات(١).

ويتبعها بدع أخرى ارتبطت بها، مثل:

بدعة إيقاد المشاعل في المقامات الأربعة في العشر الأواخر من رمضان، وليلة العيد، وليلة هلال شهر رجب، وشهر ربيع الأول . وبدعة الاحتفال بليلة الختمة لكل إمام من أئمة المقامات الأربعة في العشر الأواخر من رمضان المبارك، حيث يخلع الأمير على الإمام الذي ختم تلك الليلة بعد فراغه من الصلاة(٢).

٢ – زيارة القبور: انتشرت في هذه الفترة زيارة القبور وتعظيمها، كما يلاحظ أن ركب الحجيج أثناء رحلته إلى الحجاز قد اتخذ عادة الوقوف بالدرب على القبور والتبرك بها وتعظيمها، كما شاع بناء القباب على القبور والتعظيم لها(٣).

٣– بدعة المحمل: ارتبط وصول محمل الحج إلى مكة المكرمة ببعض البدع المخالفة للشرع والمظاهر الشركية والمنكرات، فكان المحمل يسير في الأماكن المقدسة، كعادته كل سنة، على أنغام الموسيقى وأصوات الطبول والأبواق(٤).

---

(١) تم مناقشة تعدد المقامات في الفصل الأول من هذا البحث، وللمزيد من المعلومات انظر: الفاسي: شفاء الغرام، ١ / ٣٢٣، ٣٢٦، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٨٦، والنهروالي: الإعلام، ص ٢٩٧، السباعي: تاريخ مكة، ١ / ٢٨٨، الصبحي: وسام الكرم، ص ص ٥٩ – ٦٢.

(٢) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣٦.

(٣) البتنوني: الرحلة، ص ١٤٨.

(٤) انظر: حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص٤٥، وما بعدها، ورفعت: مرآة الحرمين، ١ / ٩، وما بعدها.

٤ – الاحتفال بالمولد النبوي: حيث يقام احتفال كبير في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، يحضره عِليَة القوم، وينشد المنشدون القصائد الدينية، وتضاء مكة المكرمة بالمشاعل، كما يخرج في هذا اليوم موكب كبير من المسجد الحرام إلى مولد النبي ﷺ، بعد صلاة المغرب، تضاء فيه الشموع، وتلقى فيه الخطب، ثم يعود إلى المسجد الحرام لصلاة العشاء(١).

٥ – الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج: وهي تشبه الاحتفال بالمولد النبوي، حيث يقام احتفالٌ عظيمٌ في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من كل عام، يطلق الأهالي فيه المدافع والنيران للإعلان عن ليلة الإسراء والمعراج، ويعتمرون في هذه الليلة، وبعضهم يزور المدينة المنورة(٢).

٦ – الاحتفال بليلة النصف من شهر شعبان: وفي هذه الليلة يبادر أهل مكة المكرمة إلى العمرة والطواف، فيجتمعون في المسجد الحرام، ويوقدون المصابيح، والمشاعل، ويصلون فرادى وجماعات مئة ركعة(٣).

ب) جهود العلماء في محاربة البدع

مقابل هذه البدع المتنوعة، تعددت جهود العلماء وتنوعت في محاربتها، فمنها: الدروس والمحاضرات، والإنكار العملي لهذه البدع، وتصنيف الكتب والرسائل المختصرة، كما أن هذه الجهود لم تقتصر على العلماء أئمة المقامات فحسب، فقد بذل العلماء من القضاة والمفتين والأئمة والمدرسين جهوداً في الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ونبذ الخرافات والبدع.

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٥٥، ٣١٦، وابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ٢٨٥، وسنوك: صفحات، ٢ / ٣٦٢، ٥٣٨، ورفعت: مرآة الحرمين، ١ / ١٨٦، ١٨٨، والبتنوني: الرحلة، ص ٩٧.

(٢) انظر: ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٦٢، وما بعدها، وسنوك: صفحات، ٢ / ٣٧٥، وحمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٤٣١.

(٣) انظر: سنوك: صفحات، ٢ / ٣٨٠، وحمساء الدوسري: العلاقات بين مصر والحجاز، ص ٤٣٢.

ومن الصعوبة حصر هذه الجهود، خاصة أن فترة البحث تربو على أربعة قرون، ونكتفي بذكر أبرز هذه الجهود مع ذكر نماذج منها:

١ – الدروس العلمية والمحاضرات :

جرت العادة أن يخصص العلماء بعض المحاضرات والدروس من بداية شهر ربيع الأول عن المولد النبوي، وكذلك المحاضرات والدروس بعد منتصف شهر رجب عن الإسراء والمعراج[١]، وغيرها من الاحتفالات السنوية .

٢ – الإنكار العملي :

تذكر المصادر جهود بعض العلماء العملية في إنكارهم للبدع، ففي عام (٩٢٦هـ / ١٥٢٠م)، نهى الشيخ محمد بن عراق عن فعل المولد النبوي، وأنه بدعة يجب تركها، وفي عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)، حاول قاضي الشافعية إبطال هذه البدعة، ووعد من يتركها بإعطائه مبلغ من الصدقة، فعارضه أحد شيوخ الصوفية (القادرية) [٢].

كما واجه العلماء بعض مشايخ الصوفية ومنعوهم من نشر بدعهم، ففي عام (٩٣١هـ / ١٥٢٥م)، تصدى الشيخ شهاب الدين الأنصاري لأحد مشايخ الصوفية وطلبه لمجلس الشرع، فأمر القاضي الشافعي بمنعه من الكلام على العامة بالمسجد الحرام[٣].

وكان بعض العلماء ينكر بدعة تعدد المقامات بأفعاله، فيصلي مع الإمام الأول حتى لو الإمام مخالف لمذهبه، ففي ترجمة الشيخ يحيى بن أحمد البهاري (ت: ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م)، إمام المقام الحنفي بالإنابة، أنه خلال مدة مجاورته بمكة ما فاتته الجماعة بالمسجد الحرام مع الإمام الأول، وكذا ما نقله الشيخ محيي الدين الأيديني من رسالة

---

(١) سنوك: صفحات، ٢ / ٥٣٨.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٥٥، ٥٩٧.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٣٥٥.

فيها؛ النهي عن تكرار الجماعة في المسجد الحرام، وبيان محذوراتها، وأورد أمثلة لبعض العلماء المجاورين الذين يصلون مع الإمام الأول مع مخالفته لمذهبهم[1].

٣ – التصنيف:

من الواضح كثرة تصانيف العلماء التي تناقش عقيدة التوحيد وتوضح الحكم الشرعي في البدع والخرافات، فجهود العلماء بارزة في هذا الجانب ومتعددة، منها: الكتب، والرسائل المختصرة، والفتاوى:

أ) **الكتب:**

فمن الكتب المصنفة في المولد النبوي:

مشكاة الأنوار في أوصاف المختار، للشيخ عبدالله المرغني (ت: ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م).

بلوغ المرام شرح مولد شرف الأنام، للشيخ أحمد المرزوقي (ت: ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥م).

ومن التصنيف في الإسراء والمعراج :

نفحات القبول والابتهاج في قصة الإسراء والمعراج، للشيخ عبدالحميد قدس (ت: ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م).

ضوء السراج في كيفية المعراج، للشيخ أحمد الخطيب (ت: ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)[2].

---

(١) انظر: مكتبة مكة المكرمة: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم ١٠٢، ٢ ق، صحيفة ١-٢ / ٥، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١٠٢٣.

(٢) انظر: آمال رمضان: الحياة العلمية، ٢ / ٧١١، ٧٧٥.

ب) **الرسائل:**

فمن الرسائل التي ناقشت بعض البدع ما يلي:

- رسالتان: "رسالة في كراهة تكرار الجماعة بالمسجد "و"رسالة في حكم الاقتداء بالمخالف"، للشيخ رحمة الله السندي (ت: ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م).
- غاية التحقيق، ونهاية التدقيق، في مسائل ابتلي بها أهل الحرمين الشريفين، للشيخ علي القاري (ت: ١٠١٤هـ / ١٦٠٦م)، وذكر مرداد هذه الرسالة بعنوان "رسالة في بدع الحرمين"، وهي رسالة لنقد بدع ستة انتشرت بين أهل الحرمين وخصص كل واحدة منها بفصل: الأول في الصلاة بالمخالف، والثاني في تكرار الجماعة بالمسجد، والثالث في وقت العصر واختلاف الأقوال فيه، والرابع في القراءة خلف الإمام، والخامس في الركعات الأربعة بعد الجمعة احتياطاً بعد الصلاة وراء المخالف، والسادس في الصلاة على الميت في المسجد[١].
- رسالة في تكرار الجماعة في الحرمين الشريفين، للشيخ محيي الدين بن يوسف الأيديني الرومي، كتابتها تعود للقرن (١٣هـ)، ناقش فيها حكم الصلاة وراء الإمام المخالف في المذهب[٢].

ج) **الفتاوى:**

من مهام المفتي محاربة البدع والرد على الأسئلة وبيان الحكم الشرعي فيها، والفتاوى المتعلقة بالبدع أكثر من أن تحصى، منها؛ فتوى الشيخ أحمد زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)، ضد أحد مشايخ الصوفية، ووقع عليها (١٨) عالماً، بينهم مفتي الحنابلة والمالكية، منع فيها شيخ النقشبندية من مزاولة نشاطه[٣].

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٩٦، والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ص ٢٨٨، ٣٦٨.

(٢) مكتبة مكة المكرمة: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم ١٠٢، ٢ ق.

(٣) انظر: سنوك: صفحات، ٢ / ٤٩٩، ودحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٨٥.

ويسجل لنا التاريخ بعض الصفحات المشرقة التي ضعفت فيها البدع في مكة المكرمة، عندما تعاون الحكام مع العلماء، وهي فترات قصيرة مقارنة بفترة البحث، ومنها:

١ – جهود الشيخ محمد بن عراق (ت: ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م)، فعند قدومه إلى مكة المكرمة أخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحارب الكثير من البدع والمنكرات التي شاعت بين الناس في عقائدهم . فمن نجاحاته في إزالة البدع، إزالته لبدعة كان حجاج الأتراك يمارسونها كل عام، ففي موسم الحج يتقدم إمام المقام الشافعي عند باب الكعبة تخفيفاً للزحام، فيقوم بعض المتعصبين من الأحناف الأتراك بتقديم إمامهم وسط حجر إسماعيل عليه السلام ومكبرهم على جدار الحِجْر، فأنكر هذه البدعة الشيخ محمد بن عراق وبيَّن ضررها على الطائفين والمصلين وبذل جهوداً لدى شريف مكة بركات بن محمد والوالي العثماني حسين الرومي في جدة حتى أزيلت وتأخر كل من الشافعية والحنفية إلى مقامهم(١).

٢ – جهود الشيخ محمد بن سليمان الروداني(ت: ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م)، وبدعم من الوزير العثماني أحمد باشا الكبرلي وشريف مكة المكرمة بركات بن محمد بن إبراهيم، قاوم البدع المنتشرة في عهده، وأثارت أعماله هذه أصحاب البدع والمصالح فاغتنموا فرصة وفاة الوزير العثماني فأثاروا ضده الشريف وطلب من السلطان الأمر بإخراجه من مكة، فخرج إلى بيت المقدس بعد أن أُهين وأساءت إليه العامة، فكان ضحية أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر(٢).

٣ – في فترة حكم الدولة السعودية الأولى على الحجاز، أزيلت كثير من البدع، يتضح ذلك من رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز للسلطان العثماني عام (١٢١٨هـ/

---

(١) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٩٧، ٢٩٥.

(٢) الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٣٥٩.

١٨٠٣م)، يخبره فيها بإزالة القباب التي تعلو القبور، ومنعه قدوم المحمل لوجود البدع الشركية المخالفة للشرع[١].

واضح أن جهود العلماء في محاربة البدع متنوعة، ومع هذا استمر كثير منها إلى دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، وفي نظري أن استمرار البدع هذه المدة الطويلة يعود إلى عدة أسباب، منها:

١ – ميل بعض العلماء لهذه البدع وتأييدهم لها، فالقاضي جارالله بن فهد كان يشارك الصوفية في إحياء لياليهم وترديد الأذكار حتى الصباح، ويمتدح مشايخهم، كما كان السنجاري يميل إلى التصوف[٢]. ومن العلماء من لم ينكر هذه البدع خاصة تعدد المقامات حرصاً على الانتفاع بوظائف الأئمة والخطباء .

٢ – تأييد بعض حكام مكة المكرمة والسلاطين العثمانيين لكثير من البدع، فقد كانت الاحتفالات تتم بمشاركة عِليَة القوم من الأشراف والوالي العثماني وكبار الموظفين، وتتضح رعاية السلاطين لهذه البدع بترميم المقامات، وتجديدها، واستحداث وظائف الأئمة، وتعمير مولد النبي ﷺ عام (١٠٠٩هـ / ١٦٧٩م)، واوقفوا عليه وقفاً، ورتبوا له مؤذناً، وخادماً، وإماماً[٣].

٣ – ضعف مساندة بعض الحكام للعلماء في محاربتهم للبدع، ولهذا كان الشيخ علي القاري (ت: ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م)، ينتقد بعض البدع في المسجد الحرام وسكوت الحكام عنها وأهل العلم[٤]. ومن العلماء من أوذي وسجن بسبب إنكاره للبدع، فعلى سبيل المثال الشيخ أبو بكر خوقير (ت: ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، سجنه

---

(١) رسالة هامة في دخول الإمام سعود مكة المكرمة. (مخطوط)، المكتبة المركزية، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، رقم ٨٧٣٦ / خ / ٥، ١١٩ – ١٢٠ ل. انظر: ملحق الوثائق، لوحة رقم (١).

(٢) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٣٥٥، والسنجاري: منائح الكرم، ١ / ٤٧.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ٣ / ٥٠٦.

(٤) الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٧٥.

الشريف حسين عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، فقد كان أمّاراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، يدعو إلى مذهب السلف ويحارب البدع، وظل في السجن حتى أخرجه الملك عبدالعزيز[١].

وفي الفصل الرابع سنتناول بإذن الله علاقة العلماء بحكام مكة المكرمة، وعلاقتهم بالدولة العثمانية .

٤ – انتشار البدع وقلة المنكرين، حتى أصبحت مكة المكرمة مرتعاً خصباً للبدع والخرافات، وقد ساءت الأمور حتى أن العالم الضليع بفقه السنة يجد مواجهة من أهل البدع، مثل القاضي الشافعي عبد اللطيف با كثير سماه الناس "قاضي بدعة "لكثرة إنكاره للبدع[٢].

ومع دخول الملك عبدالعزيز لمكة المكرمة عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، تحسن الوضع كثيراً، خاصة أنه حامل لواء الدعوة السلفية التي تحارب البدع، فنهج سياسة حكيمة في القضاء على البدع تقوم على ارتباطه بالعلماء والأخذ برأيهم[٣] مع الحزم والتدرج في معالجة الأمور .

فألغى بدعة تعدد المقامات تدريجياً، وجمع المسلمين في صلاتهم في المسجد الحرام على إمام واحد . وهذا ما سنناقشه بالتفصيل في الفصل الخامس بإذن الله .

ومنع إقامة حفلات المولد النبوي ،ثم حُولت دار مولد النبي ﷺ إلى مكتبة مكة المكرمة عام (١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)[٤].

---

(١) الصبحي: وسام الكرم، ص ٩٩، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١١٤٥.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ٢/ ٢٩٨.

(٣) جريدة أم القرى، ع ١، عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ص ٣.

(٤) عبدالوهاب أبو سليمان: مكتبة مكة المكرمة، ص ٨٠.

ومنع المحمل من القدوم إلى مكة المكرمة، واصطحابه للأمور المخالفة للشرع، فكان آخر حج للمحمل المصري هو حج عام (١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)[١].

يصف السباعي موقف رجال الملك عبدالعزيز من البدع بعد دخولهم مكة المكرمة، فيقول: (... ثم نادى مناديهم بضرورة هدم القباب التي تعلو بعض القبور فهدمت، وضرورة إبطال البدع وتحريم شرب الدخان فحُرِّم شربه)[٢].

---

(١) الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي: الحرمان الشريفان، ص ١٩٣.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٧١٩.

المبحث الثاني

دور علماء المقامات في الحج

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، فالحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله على المسلمين المستطيعين، في أشهر معلومات، يتوافد فيها جموع المسلمين من كل مكان ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[2]، وقد تعددت هذه المنافع، وارتفعت معانيها وسمت أهدافها حتى شملت منافع الدنيا والآخرة .

وكان لعلماء المقامات أدوار بارزة في مواسم الحج، نستطيع أن نرصدها من خلال الجوانب الآتية:

- التغيرات التي تطرأ في موسم الحج .
- خدمات الحج .
- الحج مجمع علمي وثقافي.

أولاً: التغيرات التي تطرأ في موسم الحج:

تنوعت هذه التغيرات التي تحدث في موسم الحج، وكان القاسم المشترك فيها العلماء، ومنها:

أ- تحديد بداية دخول الشهر:

وقد ظهر دور العلماء في هذا الجانب في اجتهادهم لتحديد بداية دخول الشهر، إذ كانوا في نهاية شهر ذي القعدة يطلع جماعة منهم مع القاضي الشافعي على جبل أبي قبيس لرؤية الهلال . وتكرر ذلك مرات عديدة، منها؛ - مثلاً - عام (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م)،

---

(١) سورة آل عمران: آية (٩٧).

(٢) سورة الحج: آية (٢٨).

وعام (٩٢٦هـ / ١٥٢٠م)[(١)]، وفي آخر فترة البحث برزت جهود الشيخ خليفة النبهاني (ت: ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م)، إمام المقام المالكي، في تحديد التوقيت، فله اهتمام بعلم الفلك، وله فيه عدة مؤلفات، وقد أسندت إليه رئاسة التوقيت في مكة المكرمة[(٢)].

ب – تغيير مصلى بعض الأئمة :

في موسم الحج، عندما يزدحم المسجد الحرام بالحجاج، يتقدم إمام المقام الشافعي فيصلي قرب باب الكعبة تخفيفاً للزحام – وهو ما نراه في وقتنا الحاضر – وأحياناً يتأخر ويصلي فوق قبة زمزم[(٣)].

وفي المقابل كان أئمة المقام الحنفي يتقدمون ويصلون في حجر اسماعيل عليه السلام، تقليداً لتقدم الأئمة الشافعية وبتأثير الحجاج الأتراك، مما يسبب الزحام، الأمر الذي عده العلماء بدعة وعملوا على إزالتها بتأخر الإمام الحنفي[(٤)].

ج – صلاة الإمام المالكي والحنبلي :

عندما يصل الحجاج لمكة المكرمة، يصلي جميع الأئمة الصلوات الخمس، بعد أن كان المقام المالكي والحنبلي لا يصليان إلا الصبح في جميع السنة، ويتغير ترتيبهم في الصلاة، فيتقدم المالكي في جميع الصلوات[(٥)].

قال علي الطبري (ت: ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م): (والمالكي والحنبلي لا يصليان إلا الصبح فقط في جميع السنة إلا في شهر الحج منها، فإن المالكي يصلي الخمس،...، وفي

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٩٧، ٢٩٣.

(٢) انظر: جريدة أم القرى: ع ٢، عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ص ٤، والصبحي: وسام الكرم، ص ١٧٢، صالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١١٥١.

(٣) انظر: سنوك: صفحات، ١ / ٨١، ٢ / ٣٨٩، وعبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٥١٢، رحلة العلمي الوزاني.

(٤) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٩٧، ٢٩٥.

(٥) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص ١٩٠، وعلي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٤.

الموسم يتقدم المالكي في الكل)[1]، وهذا قد يكون سببه قلة أعداد أتباع المذهبين المالكي والحنبلي في مكة المكرمة طول العام، وتزايدهم في موسم الحج، فيحتاجون للصلاة خلف إمامهم في جميع الصلوات .

ثانياً: خدمات الحج:

ترافقت مع موسم الحج خدمات عظيمة أسهمت في توفير سبل الراحة للحجاج والمعتمرين، قام بها أهل مكة المكرمة بشكل عام والعلماء خاصة.

ومن هذه الخدمات:

١ – الطوافة:

وهي من المهن التي ارتبطت بهذا الموسم خدمة للحجاج، عمل فيها طائفة من العلماء أئمة المقامات، وكان لهم مرتبات بالإضافة إلى ما يتحصلونه من الحجاج . بل إن بعض الأسر يعملون بهذه الخدمة، ففي ترجمة الشيخ سراج الدين المالكي (كان حياً عام ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م)، أنه (له عقب، حرفتهم مطوفون من ذوي البيوتات، ولهم بالحكومة السنيّة مرتبات)[2]. وبعض العلماء كان مطوِّفاً لبلد خصصت له، مثل: الشيخ عبدالله الكردي الشافعي (كان حياً في القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي)، إمام المقام الشافعي، كان مطوف الأكراد[3]، وتولى بعض العلماء مشيخة المطوفين، ففي ترجمة الشيخ عبدالله بن جعفر فقيه الشافعي (ت: ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، الإمام والخطيب بالمسجد الحرام، أن أباه كان شيخ المطوفين بمكة المكرمة في زمن الشريف محمد بن عون[4].

(١) علي الطبري: الأرج المسكي، ص ١٧٤.

(٢) صالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١٠٤٧.

(٣) صالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١١٠٥.

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣١٤.

ولقد توسع نطاق الطوافة في آخر العهد العثماني، وزاد عدد المطوفين، كما توسع أمراء مكة المكرمة في توزيع البلاد الإسلامية بين المطوفين فكان كل مطوِّف مسؤولاً عن بلد، ثم قُرِّر على الحجاج رسوماً للمطوِّف[١].

ومن العلماء من هو خطيب وإمام ومطوِّف معاً .

٢ – التجارة:

لا شك أن موسم الحج يمثل موسم ازدهار التجارة في مكة المكرمة، وقد عمل علماء مكة المكرمة في هذا المجال فأفادوا الحجاج واستفادوا، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ عبدالله عتاقي (ت: ١١٠٨هـ / ١٦٩٧م)، الذي يوصف بأنه كان صاحب جاه وثروة عظيمة، ذا عقار ومال جسيم[٢]. والشيخ عبدالقادر بن علي المشاط (ت: ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م)، إمام المقام المالكي، كان والده من أكابر تجار مكة المعروفين، أما هو فكان من كبار التجار، ذا ثروة عظيمة، يشار إليه بمكة بشيخ التجار[٣]، وقد أشار محمد السنوسي في حجته عام (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، بأن كثيراً من علماء مكة يشتغلون بالتجارة[٤].

٣ – السكن:

يعتبر السكن في موسم الحج من الخدمات المهمة التي يحتاجها الحاج في مكة المكرمة، وقد تعددت أماكن السكن، ومن أهمها :

الأربطة: وكان لها أثر في استقبال الحجاج سواء من قوافل المحمل المصري، أم الشامي، أم اليمني، وكانت تدور فيها حلقات علمية يحضرها العلماء وطلاب العلم،

---

(١) انظر: غازي :إفادة الأنام، ٤ / ١٦٨، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٥٢ – ٦٥٣.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٠٩، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١٠٣٤.

(٣) الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٦٠، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١٠٩٩.

(٤) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٥٣٩.

فهي فرصة لتبادل العلوم والإجازات، إذ إن بعض الأربطة يسكنها علماء، وبعضها النظار عليها من العلماء[١].

الدور: كانت دور أهل مكة المكرمة تمتلئ بالحجاج من كل الجنسيات في مواسم الحج، مختلطين بالأهالي والعلماء، يتعارف بعضهم على بعض، وقد يتكون علاقة تمتد إلى ما بعد موسم الحج، فيسكن عموم الحجاج في الدُور بعد كرائها، وبعض الأعيان يسكن عند العلماء والقضاة المكيين من مذهبهم[٢].

وهناك أماكن أخرى لسكن الحاج مثل؛ المدارس، والمخيمات في المشاعر، وغيرها.

٤ – الحج عن الغير:

يقوم بعض العلماء المكيين بأداء فريضة الحج عمن لم يستطع، وبقدر ما يكون في هذه الخدمة من عمل خير، فإن فيها أيضاً زيادة الدخل المادي للعلماء[٣].

من الواضح أن الخدمات التي يقوم بها العلماء في موسم الحج متعددة، وتهدف إلى توفير الراحة والطمأنينة لعموم الحجاج، وفي المقابل أصبح موسم الحج من مصادر الدخل المادي لأهالي مكة المكرمة والعلماء.

ثالثاً: الحج مجمع علمي وثقافي:

ارتبط موسم الحج ارتباطاً وثيقاً بالعلم والتعلم والمعرفة والتثقيف، فمكة المكرمة يفد إليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وكل يأتي محملاً بثقافته ومعرفته وعلمه، وتبدأ حلقة اتصال المعرفة من جنبات البلد الحرام، وقد تنبه علماء مكة المكرمة للجانب العلمي في الحج وارتباط وفود الحجيج بالحركة العلمية، فأعد العالم المكي نفسه لهذه المهمة العظيمة، وصار مشاركاً فاعلاً في جميع العلوم.

---

(١) حسين شافعي: الأربطة، ص ١٩.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٣٧٧، ٤٢٦، وسنوك: صفحات، ٢ / ٣٥٢.

(٣) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٠٣.

وعادة تتغير المحاضرات والحلقات العلمية التي كانت تملأ المسجد الحرام طوال العام، فابتداءً من شوَّال إلى نهاية ذي القعدة يكون التدريس في المناسك[1].

فما أن تحط رحال الحجاج على أرض مكة المكرمة إلا ويبدؤون بطلب العلم، وملاقاة العلماء وتحصيل السماع والإجازات، وحضور حلقات العلم التي يعج بها المسجد الحرام .

من المظاهر العلمية الواضحة في هذا الموسم هو التقاء واجتماع العلماء وطلاب العلم من مختلف الأجناس مع بعضهم، حيث يتلقون العلوم النافعة ويتبادلون الدروس، فكان من الحجاج -علماء أو طلبة علم- من يجمعون في رحلتهم إلى مكة المكرمة نيَّة أداء فريضة الحج مع نيَّة طلب العلم الشرعي، ومن هؤلاء العلماء:

أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت: ١١٢٩هـ / ١٧١٧م)، الذي قدم مكة المكرمة حاجاً عام (١١٢١هـ / ١٧٠٩م)، والتقى عدداً من علمائها وأخذ عنهم، ومنهم: محمد تاج الدين القلعي الحنفي (ت: ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م)، إمام وخطيب المسجد الحرام، وابنه عبدالمنعم (ت: ١١٧٤هـ / ١٧٦١م)، إمام وخطيب المسجد الحرام[2].

أبو العلاء إدريس، الذي رحل إلى مكة المكرمة بقصد الحج ثلاث مرات، عام (١٢٢٥هـ / ١٨٠٩م)، وعام (١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م)، وعام (١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م)، والتقى بالعلماء وسمع منهم، أمثال: محمد صالح الريس (ت: ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م)، إمام المقام الشافعي، وحضر مجلسه في المسجد الحرام بين العشائين، في صحيح البخاري[3].

---

(١) سنوك: صفحات، ص ٥٣٩، والشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٧.

(٢) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٢١٤، وعبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢٦١، رحلة أحمد بن ناصر.

(٣) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٤٩٤، رحلة أبو العلاء إدريس.

ومما يستفيده العلماء وطلاب العلم في هذا الموسم الحصول على عدد من الإجازات العلمية في كثير من العلوم، فيحصل عدد من الوافدين على إجازات علمية من علماء مكة المكرمة، ويحصل طلاب العلم في مكة المكرمة على إجازات علمية من العلماء الوافدين إليها، ومن الأمثلة على ذلك، أن الشيخ العلمي الوزاني ابن حسون حج عام (١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م)، وحضر دروس الشيخ أحمد بن زيني دحلان (ت: ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)، إمام وخطيب المسجد الحرام، وحصل على إجازاته[١]، كما أن الشيخ عبدالله بن محمد كوجك (ت: ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م)، إمام المقام الحنفي، حصل على عدد من الإجازات العلمية من العلماء الوافدين لمكة المكرمة في موسم الحج[٢].

وقد تنوعت استفادة طلاب العلم أثناء لقائهم بالعلماء في موسم الحج فبعضهم يحرص على تلقي علوم القرآن والتجويد مشافهة، إذ إن علوم القراءات والتجويد الأصل فيها المشافهة، والبعض يحرص على تلقي علوم الحديث، وبعضهم يحرص على طرح الأسئلة والاستفسار عن بعض الأمور الدينية ومناسك الحج، وبعضهم الآخر يحرص على المناظرات بين العلماء من أهل السنة وبعض الفرق الأخرى[٣]، بالإضافة إلى المسائل العلمية بين العلماء، والفتوى[٤].

ويطَّلع كثير من العلماء وطلاب العلم على مؤلفات العلماء المكيين في موسم الحج، مثل الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، الذي حج أربع حجات، منها: عام (١١٢١هـ / ١٧٠٩م)، والتقى بعدد من العلماء واطلع على كتبهم ومؤلفاتهم[٥].

---

(١) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٥٢٢، رحلة العلمي الوزاني.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣١٧، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ١٣٦.

(٣) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٤٥٦، ٤٧٥، ٤٩٦، ٥٢٣.

(٤) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص ص ١٤٠، ١٤٢.

(٥) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢٦١.

وكانت المجاورة بمكة المكرمة من المظاهر العلمية التي ارتبطت بموسم الحج، ومع تعدد الدوافع والأسباب للمجاورة، إلا أن الدوافع العلمية تأتي في الأولوية، فيأتي الحاج وهو إما مشتغل بالعلم قبل مجيئه وإما محب للعلم والعلماء معجبٌ بالحالة العلمية، وقد تطول المجاورة أو تقصر، فمن العلماء المجاورين العياشي الذي حج عام (١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م)، وجاور بمكة المكرمة والتقى بالعلماء المكيين وأخذ عنهم، ومنهم: زين العابدين الطبري (ت: ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م)، إمام المقام، ومفتي الشافعية، وكذا الفقيه أحمد تاج الدين المالكي، إمام المقام وقاضي المالكية[١].

كما كانت الخطب في موسم الحج مما اعتاد عليه علماء مكة المكرمة، ففي بداية فترة البحث كانت العادة أن يكون هناك خطيبان، أحدهما في اليوم السابع من شهر ذي الحجة، والآخر لخطبة يوم عرفات ويوم العيد، والخطباء كثر، ومنهم على سبيل المثال؛ العالم محمد مكي بن فروخ الموروي الحنفي (ت: ١٠٦١هـ / ١٦٥١م)، الذي كان خطيباً للمسجد الحرام، وبمسجد نمرة والمشعر الحرام[٢].

وتنشط كذلك الحركة الأدبية والثقافية في مكة في موسم الحج، بل تحدث كثير من اللقاءات والجلسات الأدبية بين علماء وأدباء مكة وبعض الحجاج من العلماء والأدباء الوافدين المولعين بالأدب، فتعقد الجلسات ويتم تداول القصائد والأشعار في المديح للأمراء وبعض كبار رجال الدولة والعلماء، ففي رحلة الأميرة خُناثة للحج عام (١١٤٣هـ / ١٧٣١م)، التي سجلها الوزير عبدالقادر الإسحاقي، ذكر فيها الشهادة التي كتبها الشيخ محمد بن علي الطبري (ت: ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م)، إمام المقام الشافعي، للأميرة خناثة، وذيلها بقصيدة رائية من ثلاثة عشر بيتاً في مدح الأميرة؛ وفي الرحلة نفسها يذكر الإسحاقي لقاءه مع الشيخ تاج الدين بن عبد المحسن القلعي

---

(١) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢١٦، رحلة العياشي.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٩٧، ٥٥٠؛ ورفعت: مرآة الحرمين، ٤٧/١، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٩٩١/٣.

(ت:١١٤٩هـ/ ١٧٢٥م)، إمام المقام الحنفي ومفتي الحنفية بالحرم المكي، وتبادلا إنشاد الشعر[١].

ويعتبر موسم الحج فرصة عظيمة لاقتناء الكتب والمؤلفات بين الحجاج، فنجد ابن عبدالسلام الدرعي في حجته عام (١٢١١هـ / ١٧٩٦م)، يشكر أحد علماء المالكية على الكتب التي وهبها إياه، ثم نجده يحرص على شراء نسخة من مسند الإمام أحمد؛ وقد تميزت مكة المكرمة بوفرة الكتب ورخص أثمانها، وأكد الدرعي هذه الحقيقة حين قال: (وبمكة المكرمة من الكتب سيما فقه الحنفية العجب، وهي كاسدة جداً لا يكاد يباع منها شيء إلا بالموسم) [٢].

وقد ألف علماء مكة المكرمة العديد من الكتب والرسائل المتعلقة بمناسك الحج، وهي كثيرة، ومنها: "القول المبرور في فضل عرفة والدعاء بها المأثور "، لجارالله بن فهد، و"الأقوال المعرفة بفضائل أعمال عرفة "، لمحمد بن علان الصديقي (ت: ١٠٥٧هـ / ١٦٤٨م)، و "بغية المناسك "، لحنيف الدين المرشدي (ت: ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، و "رسالة في المناسك "، لأحمد شمس المكي (ت: ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام[٣].

ومن ضمن المؤلفات المرتبطة بموسم الحج ما كتبه بعض الحجاج وعرف بأدب الرحلات، ولولا توفيق الله ما انتشر هذا الفن الأدبي أيام المواسم وخاصة في الحج، فأثناء رحلة الحاج ووجوده بمكة المكرمة يستغل وقته في تأليف كتاب يضمنه رحلته إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ومشاهداته في طريق الحج[٤].

---

(١) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٣٠٢، ٣٠٣، رحلة الأميرة خناثة.

(٢) حمد الجاسر: ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص ص ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤.

(٣) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٢٩٨، وابن علان: عمارة الكعبة، ص ٦٢، والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ص ٣٤٠، ٤٠١.

(٤) انظر على سبيل المثال: عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٥ وما بعدها، وسنوك: صفحات، ١/٥ وما بعدها، ورفعت: مرآة الحرمين، ١ / ١ وما بعدها، والبتنوني: الرحلة، ص ٩ وما بعدها.

كان علماء مكة المكرمة يوقرون علماء البلاد الإسلامية ويستقبلونهم بحفاوة وترحاب إجلالاً لمكانتهم العلمية، ولإشعارهم بالأنس والمحبة وأنهم في بلادهم:

ففي عام (١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م)، حين قدم الرحالة العياشي حاجاً استقبله العالم تاج الدين المالكي في منزله في منى، كما أعد إمام المقام المفتي الشافعي العالم زين العابدين بن سعيد المنوفي (ت: ١١٥١هـ / ١٧٣٨م)، حفلة كبيرة للوفد المغربي، فحضرها الوزير الإسحاقي وأعيان الوفد[١]، أما المحدث الفقيه الهندي أبو سعيد الدهلوي (ت: ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، فقد أدى فريضة الحج واستقبله العلماء، واحتفى به الشيخ عبدالله سراج مفتي الأحناف بمكة المكرمة، والشيخ عبدالله المرغني، وغيرهما من العلماء[٢].

فيتضح أن علماء مكة المكرمة كان لهم أدوار متميزة ومتنوعة في مواسم الحج خدمة للحجاج، كان من أبرزها النشاط العلمي، إذ يمثل موسم الحج مركزاً علمياً للمسلمين.

---

(١) عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ١ / ٢٠٥، ٣٠٣.

(٢) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ٢٢٤

المبحث الثالث

دور علماء المقامات في الأوضاع الاجتماعية

استوعبت مكة المكرمة مجتمعاً يضم العديد من المهاجرين المجاورين، فهناك التركي، والفارسي، والإندونيسي، والهندي، والبخاري، والأفريقي، والماليزي، وأجناس أخرى، وهناك أهل مكة المكرمة المنحدرين من بيوتات عريقة مثل الأشراف والسادة الهاشميين، وبني شيبة، ويمكننا أن نميز في هذا المجتمع أربع فئات كانت موجودة في فترة البحث، وهي:

الأمراء: وهم من الأشراف.

العلماء والأعيان وشيوخ القبائل وكبار الموظفين والتجار: وهم من سكان مكة المكرمة الأصليين أو من المجاورين.

العامة: وهم سائر الناس.

الموالي: من العبيد أو من الأغوات[1].

ونتيجة لهذا التنوع في فئات المجتمع تنوعت العادات والتقاليد، والمناسبات، وأساليب الحياة، وطرائق المعيشة.

ومن الطبيعي أن يؤثر العلماء في الأوضاع الاجتماعية، فالمتأمل لا يجد صعوبة في إدراك مكانتهم وقيمتهم بين فئات المجتمع المختلفة، فهم يتميزون عن عامة الناس بعلمهم وتواضعهم وزهدهم وتحليهم بالأخلاق الرفيعة مما يقرب الناس إليهم، ولذلك كان للعلماء دور بارز في الأوضاع الاجتماعية تمثل في: دورهم في العادات والتقاليد، وعلاقتهم بفئات المجتمع، وإسهاماتهم في تنمية مجتمعهم، وغيرها من الأدوار الاجتماعية.

---

(١) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣٢.

أولاً : العادات والتقاليد:

شارك العلماء فئات المجتمع المكي في احتفالاتهم العامة، واحتفالات الزواج، وعادات المأتم . ففي عيدي الفطر والأضحى يتوجه العلماء مع سائر الناس للمسجد الحرام للاستماع للخطبة، وقد تحلى العلماء بأفضل اللباس(١) .

واشترك بعض العلماء في حفلات الطرب النزيهة بما تحويه من ألعاب، وقد شجع بعضهم الأيام التي يحتفل بها الناس مثل الاحتفال بالمولد النبوي، وأنكرها بعضهم لما تحويه من بدع(٢) .

ومن الاحتفالات التي كان العلماء يشاركون فيها، احتفالات قدوم الصرة كل سنة إلى مكة المكرمة .

كما كانوا يحضرون حفلات الزواج لجميع فئات المجتمع، فيحضرون عقد القران، وصباح الدخلة، ويهنئون العريس ووالده، فعلى سبيل المثال، حضر العلماء مع الشريف والقضاة حفل زواج ولد الأمير قاسم الشرواني، ثم هنؤوا الزوج ووالده(٣) .

كما كان العلماء يدعون كافة فئات المجتمع لمشاركتهم أفراحهم وحفلات زواجهم، مثل حضورهم زواج إمام المقام الحنبلي عام (٩٢٤هـ / ١٥١٨م)، وعقد القران لإمام الشافعية عام (٩٣٥هـ / ١٥٢٨م)، وحفلة الزواج لابنة إمام المقام الشافعي عام (٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)(٤) .

وكما شارك العلماء الناس في أفراحهم شاركوهم في أحزانهم، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها:

---

(١) فاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ٢٩٢.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٦٤٧، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ٢٩٢.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٢، ٤٨.

(٤) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٤٤٨، ٢ / ٧٠١.

عند وفاة الشيخ محيي الدين النويري (٩٢٤هـ / ١٥١٨م)، شيعه جماعة من العلماء، كما شيعوا القاضي جمال الدين بن ظهيرة، وشيعوا جوهرة الحبشية مستولدة الشريف بركات[١]، إضافة لقيامهم بواجب العزاء والمواساة عند حلول المصائب .

ثانياً: علاقة علماء المقامات بفئات المجتمع.

تميزت علاقة العلماء بفئات المجتمع بالقوة والترابط والتعاطف والكرم، فكان العلماء مقربين من أمير مكة المكرمة، يتضح ذلك في مجلسه، فالجهة اليمنى تكون لبني عمه من الأشراف، والجهة اليسرى مخصصة للعلماء والأعيان[٢]. ولا شك أن هذا التقارب له أثره في معالجة قضايا المجتمع، وقد استمر هذا التقارب معظم فترات البحث . وهذا ما سنتناوله – بإذن الله – بشيء من الإيضاح في الفصل الرابع.

كما كانت علاقة العلماء مع بعضهم مبنية على الود والاحترام والتقدير، مما يُخَلِّف آثاراً إيجابية على فئات المجتمع الأخرى، والتي ستقتدي متأثرة بالعلماء ومحتذية نهجهم في الكثير من العادات والتقاليد، فمن نماذج الترابط بين العلماء – مثلاً – ما ذكره مرداد في ترجمة الشيخ محمد بن حميد[٣] (ت: ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، فيقول: (وكان بينه وبين والدي والعلامة الشيخ عبدالرحمن سراج[٤] محبة عظيمة ومودة أكيدة أمضوا زمانهم بالاجتماع والمباحثات في العلوم والاشتغال بالأدبيات والمطالعة في الدواوين، وعلم

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٤٦، ٧٦، ٩٤.

(٢) ابن علان: عمارة الكعبة، ص ٣٢.

(٣) الشيخ مُحَمَّد بن عبدالله بن حميد، إمام المقام الحنبلي، وخطيب المسجد الحرام، ولد عام (١٢٣٦هـ)، في عنيزة، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام، كما ولِّي إفتاء مكة المكرمة، توفي عام (١٢٩٥هـ). مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٢٣.

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله سراج، إمام المقام الحنفي، وخطيب المسجد الحرام، ولد عام (١٢٤٩هـ)، بمكة المكرمة، تصّدر للتدريس بالمسجد الحرام، كما ولِّي الإفتاء، توفي عام (١٣١٤هـ). مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٤٣.

المحاضرات حتى أنه بعد أن دفن وقف الشيخ عبدالرحمن سراج المذكور يبكي على قبره بصوته، وهو لا يقدر على تملك نفسه)[١].

ومن هذا يتضح ترابط العلماء والعلاقة الودية بينهم، كما يتضح أن الاختلاف المذهبي لم يكن مؤثراً في تفريق المجتمع، رغم تفرقهم أثناء الصلاة في المقامات .

ولم تتوقف علاقة العلماء عند أمراء مكة المكرمة أو بينهم، بل ارتبطوا بكافة الناس على مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال، الشيخ أحمد بن عبدالشكور[٢] (ت: ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، من العلماء الذين عرفوا بمخالطتهم للناس على الدوام، هيأ مكاناً بالقرب من داره ليجتمع الناس فيه من الأفاضل والأعيان والعلماء وعامة الناس للمقيل والترويح فيه، وكان بنفسه يعمل على مباشرة الناس من تقديم الطعام والشراب لهم، وعندما توفي أسف الناس عليه كثيراً[٣].

ونرى العلماء كذلك يهتمون بشؤون الأهالي، ولا سيما الفقراء منهم وأهل الحاجة، فكانوا محل عطفهم ورعايتهم، فعرف في البذل والعطاء كثير من العلماء كالشيخ عبدالرحمن سراج (ت: ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، الذي يخص بالعطاء الفقراء من طلبة العلم[٤].

كما كان من أوجه الاهتمام ببعض الفئات المحتاجة، إنشاء الأربطة، التي تعددت أهداف إنشائها، فكانت ملجأً للأيتام والأرامل والنساء، ومسكناً للعلماء وطلبة العلم المجاورين، وبخاصة الفقراء منهم، وقد بلغت في العهد العثماني حوالي (١٥٦) رباطاً.

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤٢٤.

(٢) الشيخ أحمد بن أمين بن عبد الشكور، الإمام الملازم بالمقام الحنفي بالمسجد الحرام، ولد عام (١٢٥٥هـ)، بمكة المكرمة، تصدر للتدريس، توفي عام (١٣٢٣هـ). مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٠٣.

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص ١٠٣.

(٤) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٢٣، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١١٢١.

وبعض هذه الأربطة يتولى نظارتها العلماء، مثل رباط المغاربة الذي تولى نظارته الشيخ عبدالقادر المشاط (١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م)، إمام المقام المالكي[١].

من جانب آخر كان بعض العلماء يهتم بتوجيه الصغار إلى طلب العلم، فكان العالم محمد نور الجبرتي (ت: ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م)، يحث الصغار على طلب العلم ويحببهم فيه ويخالطهم ليلزمهم على الحضور عنده أو عند غيره[٢].

ثالثاً: مساهمة العلماء في تنمية المجتمع .

ساهم علماء المقامات في تنمية المجتمع المكي، وسلكوا في سبيل ذلك عدة طرق، منها:

حل مشاكل الأسرة من خلال الفتوى التي أبرزت جهود العلماء في محاولة القضاء على الكثير من المشكلات الزوجية[٣].

كما كان للعلماء أثر واضح في تجنيب المجتمع الفتن، ففي عام (١٢٠٣هـ / ١٧٨٩م)، عندما تعرض أحد حجاج البنغال للخطيب وهو يخطب فوق المنبر وضربه بسكين فسقط ميتاً، وشاع عند الناس ظهور المهدي المنتظر، عند ذلك تقدم أحد العلماء وأتم الخطبة وأقيمت الصلاة وهدأ الاضطراب[٤].

وساهم العلماء في تنمية النواحي الاجتماعية، فتعاونوا مع فئات المجتمع الأخرى وشاركوهم في إنجاز بعض المشاريع العمرانية والصحية الهادفة لخدمة المجتمع وراحته، فقام بعضهم ببناء الأسوار على بعض المقابر وبناء مغاسل الموتى وتشييد الأربطة، كما

---

(١) حسين شافعي: الأربطة، ص ٣٧، وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١ / ١٥٤.

(٢) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٤١٦.

(٣) سنوك: صفحات، ٢ / ٥٠٢.

(٤) السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥١٢.

حرص العديد من العلماء على إنجاز بعض الاصلاحات في الحرم المكي، فما كان يتم تجديد الكعبة وكسوتها إلا بحضورهم[1].

وتفاعل العلماء مع قضايا المجتمع، فنجد – مثلاً – إمام الشافعية يقنت يوم الجمعة، في شهر محرم عام (٩٢٥هـ / ١٥١٩م)، ويدعو الله تعالى بدفع البلية[2]. وقد امتد دور العلماء في هذا الجانب ليشمل الدفاع عن القضايا التي تهم المجتمع، ومن النماذج على ذلك، في عام (١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م)، عندما أصدرت الدولة العثمانية قراراً بمنع بيع الرقيق في شوارع مكة المكرمة، تحرك العلماء لدى قاضي مكة ووالي جدة وأقنعوهم بالأضرار التي نتجت عن ذلك على المجتمع، فصدر الأمر بالموافقة على جميع ما طلبه العلماء وبقاء بيع الرقيق[3]. وفي عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م)، قدمت الصرة وقد غرق بعض المخصصات العينية في البحر كصناديق السكر، فاستدعى ذلك بعض العلماء وأعيان مكة أن يبعثوا بخطاب إلى والي مصر يرجونه إحضار غيرها لأن الناس يحتفلون بها سنوياً وإنقاصها يثير بلبلة وفتن في المجتمع، وفي عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م)، عند حصار جدة، وتوقف الواردات، ضاقت المعيشة على أهل مكة المكرمة، فبعث العلماء بخطاب للشريف علي بن الحسين لتسهيل وصول واردات الأقوات والأرزاق[4]. وهذا يؤكد حرص العلماء على استقرار المجتمع وحفظ الأمن في البلاد .

يتضح مما سبق أن علماء المقامات كان لهم دور فاعل في الأوضاع الاجتماعية، فقد كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية ومؤهلات علمية أتاحت لهم الارتباط بجميع فئات المجتمع، ومعرفة قضاياهم والمساهمة في حلها والدفاع عنها .

---

(١) انظر: النهروالي: الإعلام، ص ٣٨٨، والقطبي: إعلام العلماء، ص ١٢١، والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٤٨.

(٢) ابن فهد: نيل المنى، ١ / ١٠٥.

(٣) انظر: سنوك: صفحات، ١ / ٢٨٦، وسنان أوغلو: نجد والحجاز، ص ٦٣.

(٤) جريدة أم القرى ،ع ٢، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٢.

ومن خلال هذا العرض لدور علماء المقامات في الحياة الدينية والاجتماعية في مكة المكرمة خلال فترة البحث، يمكن أن ندرك عدة أمور، منها:

١- أن العلماء تمتعوا بمكانة دينية واجتماعية أهلتهم أن يؤدوا أدواراً مهمة في المجتمع.

٢- تنوعت أدوار العلماء في المجتمع المكي، وكان هذا التنوع يتجه لتحقيق هدف واحد هو الحرص على تماسك المجتمع وترابطه، فنجد العلماء حريصين على تمسك المجتمع بتطبيق الشرع الحنيف والابتعاد عن البدع.

٣- تجاوزت أدوار العلماء المجتمع المكي إلى المسلمين بشكل عام، عندما يقدمون أدواراً عديدة في موسم الحج، مثل: الطوافة، والضيافة، والنشاط العلمي، كان من نتائجها: نشر العلم، و بناء علاقات ودية وحميمة مع عامة المسلمين يمتد أثرها إلى البلاد الإسلامية.

الفصل الرابع

دور المقامات في الأوضاع السياسية خلال فترة الدراسة

المبحث الأول : علاقة علماء المقامات بحكام مكة المكرمة .

المبحث الثاني : علاقة علماء المقامات بالخلافة العثمانية .

المبحث الثالث : علاقة علماء المقامات بالحركات الداخلية والخارجية في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة .

الفصل الرابع

دور المقامات في الأوضاع السياسية خلال فترة الدراسة

قبل أن نتحدث عن دور المقامات في الأوضاع السياسية، ينبغي أن نعرِّف بالقوى السياسية التي اكتنفت الحجاز خلال فترة البحث، ويمكن مناقشتها بإيجاز من عدة محاور كما يلي:

أ- الأشراف:

في عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) أعلن شريف مكة المكرمة بركات بن محمد تبعية الحجاز للسلطان العثماني سليم، بعد أن أرسل ابنه للقاهرة لتهنئة السلطان العثماني بضم الشام ومصر، وخلال فترة البحث بقي الأشراف في حكم مكة المكرمة مدة تزيد على (٤٠٠) عام تولى الشرافة منهم نحو من (٤٥) أميراً، واشتركت ثلاث أسر رئيسية في التنافس على الإمارة وهي أسرة ذوي زيد وذوي عون وذوي بركات، وكانت أسرة ذوي زيد قد تولت الإمارة لفترة طويلة، وشهد عهد بعض الأشراف القتل وسفك الدماء، واتسم عهد بعضهم الآخر بالصلاح والعدل والخير[١].

ولقد تزامن مع عهد الأشراف في فترة البحث بزوغ شمس الدولة السعودية الأولى عام (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م).

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، كان شريف مكة الشريف حسين[٢] قد أجرى مباحثات، واتُّفِق معه على إعلان الثورة، لتحقيق حلمه الاستقلال بالبلاد العربية وتكوين دولة يكون فيها هو خليفة المسلمين، وتم له الاستقلال بإعلانه الثورة ضد الدولة العثمانية في (شعبان عام ١٣٣٤هـ / يونيو عام ١٩١٦م) وإعلان

---

(١) انظر: إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص٩؛ وآمال رمضان: الحياة العلمية، ٢٨/١.

(٢) الشريف حسين بن علي، ولد عام (١٢٧٠هـ /١٨٥٣م) في الأستانة ، عينه العثمانيون أميراً على مكة عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ثم تحالف مع الإنكليز ضد العثمانيين، وأخرجه الملك عبد العزيز من مكة عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، ومات في الأردن عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٤٠.

نفسه ملكًا للعرب، وبذلك خرجت ولاية الحجاز عامة ومدينة مكة المكرمة خاصة عن الدولة العثمانية، بعدما دامت العلاقات بينهما لأكثر من أربعة قرون[١].

ب- العثمانيون:

دخلت الحجاز تحت الحكم العثماني بعد دخول مصر عام(٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، واستمرت إلى عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، وخلال هذه الفترة يمكن تقسيم علاقة الدولة العثمانية بمكة المكرمة وحكامها الأشراف إلى عصرين، هما:

العصر العثماني الأول: ويبدأ بدخول الحجاز تحت الحكم العثماني عام (٩٢٣هـ) حتى عام (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م) وهي السنة التي ألحقت فيها الحجاز بولاية مصر تحت حكم محمد علي. وفي هذا العصر كانت ولاية الحجاز مستقلة ذاتيًا تحت التبعية العثمانية، وفي العادة كان السلطان العثماني يرسل فرمانًا يتضمن تعيين أمير جديد لمكة المكرمة ويحدد في هذا الفرمان صلاحيات الأمير وواجباته واختصاصاته. ولبعد الدولة العثمانية عن ممارسة نفوذها المباشر على الحجاز، عانت مكة المكرمة خلال هذا العصر كثيرًا من الصراعات المريرة بين الأشراف حول منصب الشرافة، إضافة لانشغال الدولة بحروبها مع أوروبا وتدخل السلطات المحلية في مصر والشام واليمن في الشؤون الداخلية لمكة المكرمة، وتحريض الأشراف ضد بعضهم[٢].

وفي العصر العثماني الثاني: الذي ابتدأ مع انحسار قوة محمد علي باشا في الحجاز، والممتد من الفترة ما بين عام(١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) إلى عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، وفي هذه الفترة بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحجاز السياسي وتاريخ مكة المكرمة على وجه الخصوص، تمثلت تلك المرحلة في محاولات التدخل بشكل واسع ومباشر من قبل الحكومة العثمانية في الشؤون الداخلية للحجاز، حرصت على تقوية حكمها المركزي

---

(١) فاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص٢٠.

(٢) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢/٥١٤، وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ص ٨، ٤٣؛ وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص٩، وما بعدها.

وإحكام قبضتها وسيطرتها على ولاية الحجاز أكثر من ذي قبل، فعملت على تقليص نفوذ أمراء مكة وتوسيع نفوذ وسلطات الوالي العثماني وذلك منذ عام (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م)، فأصبحت هناك سلطة ثنائية ترتكز على الوالي والشريف، مما نتج عنه احتدام الصراع بين الطرفين، وفي عام (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م) نقل مقر الوالي من جدة إلى مكة، ولقب بشيخ الحرم، وأصبح من مهامه الترشيح لأحد الأشراف أو عزله ثم يرفع بذلك للسلطة العثمانية ويتلقى تعليماتهم في هذا الشأن[١].

أما بالنسبة للقوة الحربية فقد كان للشريف قوات عسكرية في ولاية الحجاز وهو المسؤول الأول عنها، ثم حدث التغير واستبدلت الحاميات المصرية بقوات عسكرية تركية منذ عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م)، وعينت رئيساً لها من قبل الدولة، فأصبحت القوة العسكرية تحت إشراف الدولة مباشرة[٢]، وبذلك دعمت الدولة العثمانية قبضتها أكثر على مكة المكرمة.

جـ- السعوديون:

اتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ آل سعود إلى ثلاثة أدوار، اصطلحوا على تسميتها باسم: الدولة السعودية الأولى، والدولة السعودية الثانية، والدولة السعودية المعاصرة (المملكة العربية السعودية).

وفي الدولة السعودية الأولى، دور التكوين والتأسيس، بدأ ظهور الدولة عام (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م)، وهو العام الذي اتفق فيه الأمير محمد بن سعود[٣]-رحمه الله-

---

(١) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص٧، وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص٢٣.

(٢) انظر: فاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص٢٧.

(٣) محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود، تولى إمارة الدرعية عام (١١٣٩هـ/١٧٢٧م)، وفي أيامه (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية، كان شجاعاً حازماً، توفي بالدرعية عام (١١٧٩هـ/١٧٦٥م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٦/١٣٨.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب[١] -رحمه الله- في "اتفاق الدرعية" على نشر الدعوة السلفية، وبعد أن استقر للدولة الأمر في وسط نجد أخذت في ضم مناطق لها في شبه الجزيرة العربية[٢]، وكان أول احتكاك مع الأشراف عام (١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م) عندما منع الشريف مسعود بن سعيد وصول السعوديين إلى مكة لأداء فريضة الحج، واستمر ذلك في عهد خلفه، ولما تولى الإمارة الشريف غالب بن مساعد أعلن مخالفته للدولة السعودية، واستمر الخلاف و المعارك بينه وبينهم طول أيام شرافته من عام (١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م) حتى عام (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، أي مدة ٢٦ سنة، تمكن السعوديين خلالها من ضم مكة المكرمة إلى دولتهم عام (١٢١٨هـ) ثم عام (١٢٢١هـ)، مما جعل الدولة العثمانية تشعر بفقد هيبتها بفقدانها للأماكن المقدسة، فعهدت إلى واليها في مصر محمد علي بمهمة استعادة الحجاز وإخضاع الجزيرة[٣]، فأرسل عدة حملات عسكرية أسقط بها الدولة السعودية الأولى.

وفي الدولة السعودية الثانية استمرت القوات التركية العثمانية في مواجهة السعوديين، وزاد نفوذ الأشراف في نجد، وساءت العلاقة بين الأشراف والدولة السعودية الثانية، وقد انتهت الدولة بعد تنازع وانقسام الأخوة أبناء الإمام فيصل بن تركي وانتهى الأمر بخروج الإمام عبد الرحمن بن فيصل من الرياض عام (١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م)[٤].

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ولد في العيينة عام (١١١٥هـ/١٧٠٣م)، ونشأ بها، ورحل طلباً للعلم إلى الحجاز وزار الشام والبصرة، جهر بدعوته الإصلاحية داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع، وقد قبل دعوته وآزره أمير الدرعية محمد بن سعود، توفي عام (١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) . انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٥٧/٦.

(٢) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص١٩؛ وعبد الفتاح أبوعلية: محاضرات، ص١٣.

(٣) دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ص ٥١، ٥٩.

(٤) انظر: خالد الهميل: العلاقات بين الملك عبد العزيز والأشراف، ص٥٠.

و في الدولة السعودية المعاصرة نجح الملك عبد العزيز في استعادة البلاد، وتمكن من ضم مكة المكرمة في عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، بل و الحجاز كله[١].

د- المصريون:

بعد ضم الدولة السعودية الأولى الحجاز منذ عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، وكلت الدولة العثمانية مهمة إعادة الحجاز إلى تبعيتها إلى واليها على مصر محمد علي، وقد استطاع محمد علي إخراج السعوديين من الحجاز، وإخضاعه لسيطرته تحت التبعية العثمانية عام (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) حتى عام (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، ثم ألحقت مكة المكرمة بولاية مصر العثمانية وأصبحت تحت الحكم المصري مستقلة عن الدولة العثمانية وتحت ولاية محمد علي بموجب معاهدة "كوتاهية"[٢] التي عقدت بينه وبين الدولة العثمانية عام(١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، وبعد مرور سبع سنوات وبالتحديد عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) عادت ولاية الحجاز للدولة العثمانية[٣]، بموجب إتفاقية لندن.

---

(١) انظر: الزركلي: الوجيز، ص٨٠؛ وخالد الهميل: العلاقات بين الملك عبد العزيز والأشراف، ص٢٢٧؛ والعثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ٢/١٩٤.

(٢) مدينة في الأناضول، فيها تمت معاهدة تنازل السلطان العثماني لمحمد علي عن مصر وسوريا والحجاز. السباعي: تاريخ مكة، ٢/٥٩١.

(٣) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢/٥٩٠-٥٩١.

المبحث الأول

علاقة علماء المقامات بحكام مكة المكرمة

ربط علماء المقامات علاقات ودية مع حكام مكة المكرمة، ومن خلال هذا المبحث سنورد عددًا من الشواهد التاريخية للتدليل على الاحترام المتبادل بين حكام مكة المكرمة وبين العلماء، ويأتي في مقدمة هذه الشواهد أن مجلس الشريف كان يُخصص فيه مكانٌ للعلماء، فالجهة اليمنى من المجلس تكون لبني عمه من الأشراف، والجهة اليسرى مخصصة للعلماء والأعيان[١].

ومن مظاهر تقريب العلماء، أنه لابد وأن يكون أحد كبار العلماء ذوي البيوت، مصاحباً للشريف في الإقامة والسفر يقرأ الكتب العلمية والأدبية بين يدي الشريف، ويعرف هذا الشخص بالمصاحب[٢].

قال علي الطبري: "وقد كان الوالد[٣] مصاحبًا لسيدنا الشريف الحسن بن أبي نمي[٤]- رحمه الله تعالى- وكان ملازمًا حضرته الشريفة في الإقامة والسفر"[٥].

وكان أمير مكة الشريف مسعود بن سعيد[٦] يقرب العلماء، وجعل الشيخ إبراهيم بن عبد الرحيم الشامي وهو أحد علماء وفقهاء مكة وزيرًا له وجليسًا إلى أن توفي، ثم

---

(١) ابن علان: عمارة الكعبة، ص٣٢؛ وعلي الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٣.

(٢) علي الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٥.

(٣) هو العالم الشيخ عبد القادر بن مُحَّد الطبري، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، ولد عام (٩٧٦هـ/١٥٦٩م) بمكة المكرمة، كما ولّي إفتاء مكة وقضاء البلد الحرام، توفي عام (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م) مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٦٧.

(٤) الشريف الحسن بن أبي نمي الثاني، شارك والده في الإمارة من عام (٩٦١هـ/١٥٥٤م)، واستقل بعد وفاة والده عام (٩٩٢هـ/١٥٨٤م)، إلى أن توفي عام (١٠١٠هـ/١٦٠٢م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣٠.

(٥) علي الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٥.

(٦) الشريف مسعود بن سعيد بن زيد، تولى إمارة مكة عام (١١٤٥هـ/١٧٣١م)، لمدة ثلاثة أشهر، ثم عاد إلى الإمارة وبقي فيها إلى أن توفي عام (١١٦٥هـ/١٧٥٢م) . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣٦.

خلفه ابنه محمد في نفس درجة والده[1]. كما كان الشريف عبد الله بن محمد بن عون[2] يحضر مجلسه عدد من العلماء في غالب الأحيان، وعمل على تكريمهم وتقريبهم وقضاء حوائجهم، فمن المقربين في مجلسه العالم زين العابدين بن علي عبد الشكور (ت: ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، الذي أصبح من خواصه وكان يكتب خطابات الشريف إلى السلاطين والوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة، والعالم محمد الكتبي (ت: ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، كان أحد جلساء أمير مكة[3]. والشريف مسعود بن إدريس[4] الذي كان كريمًا يقدر العلماء؛ والأمير زيد بن محسن[5] الذي يوصف بالعدل، ومجلسه يغص بالعلماء، كما كان يقابل أعيان العلماء في المواسم[6]. كما كان مجلس الشريف عبد المطلب ابن غالب[7] يعج بثلة من علماء مكة المكرمة، فقد تبوأ الشيخ عبد الرحمن بن حسن العجيمي (ت: ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، مكانة مرموقة عند الشريف عبد المطلب حتى إنه ولاه قضاء الطائف[8].

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص٤٦.

(٢) الشريف عبد الله باشا بن مُحَمَّد بن عبد المعين بن عون، ولِّي أمارة مكة المكرمة بعد وفاة والده عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، واستمر إلى أن توفي عام (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣٩.

(٣) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص٤٧؛ ومرداد: مختصر نشر النور، ص ص ٢٠٠، ٤٧٧؛ وصالح ابن حميد: تاريخ أمة، ١٠٨٨/٣.

(٤) الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي الثاني، ولِّي بأمر قانصوه باشا في عام (١٠٣٩هـ/١٦٣٠م)، واستمر إلى أن توفي عام (١٠٤٠هـ/١٦٣١م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة ، ص ٣٢.

(٥) الشريف زيد بن محسن، سبقت ترجمته في الفصل الثالث، ص(١٦٨).

(٦) السباعي: تاريخ مكة، ص ص ٤١٧، ٤٢٥.

(٧) الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد، ولّي إمارة مكة عام (١٢٤٣هـ/١٨٢٨م) لمدة خمسة أشهر، ثم ولّي مرة ثانية عام (١٢٦٧هـ /١٨٥١م)، واستمر إلى عام (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ص ٣٨، ٧٨.

(٨) مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٤٨ .

كما عرف عن الشريف علي بن محمد بن عون[1] حبه للعلم والعلماء، فمن العلماء الذين يحضرون مجلسه الشيخ عثمان بن محمد الراضي (ت: ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، إمام المقام الحنفي[2].

ومن الأشراف الذين أكرموا العلماء وأجلّوهم الشريف الحسين بن علي[3]؛ إذ قرب إليه العالم أسعد الدهان (ت: ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، إمام المقام الحنفي، وقلده عدداً من الوظائف الحكومية وزاد مرتبه، والعالم الأديب محمد بن عبد الله السقاف(ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، إمام المقام الشافعي، كان محبوباً لدى السادة الأمراء كثيراً حتى خلع عليه الشريف الحسين بن علي إمامة المقام الشافعي، وولاه عدة وظائف. كما أن العالم ياسين بن محمد بسيوني الشافعي (ت: ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، الإمام الملازم بالمقام الشافعي، رافق الشريف الحسين في طلب العلم وعينه فيما بعد إماماً يصلي به[4].

ومن أبرز نماذج احترام الأشراف ولاة مكة للعلماء في مجالسهم، قيامهم من بُعد عند رؤية أحد العلماء داخلاً من باب المجلس والسلام عليه، كذلك حرصهم على جلوس العلماء معهم على الدكة، وإذا كان المحل ضيقاً يشير الشريف بتوسعة المجلس له، ولا يرضون بأن الغير يتصدر على العلماء في مجلسهم[5].

ومن النماذج كذلك على احترام العلماء، حرص الأشراف على مسالمة العلماء ذوي البيوت القديمة، ومراعاتهم، لمعرفتهم بإخلاصهم، فلهم مزية على الغير، من ذلك أنهم لا يعلمون أمورهم إلا منهم وإليهم، فلا يدخل في أمر يتعلق بهم أحد من أركان الدولة، وإذا شُكي إليهم أحد من العلماء لا يرسلون إليه بحضرة الشاكي[6].

---

(١) الشريف علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عون، تولى الحكم في عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) حتى عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ثم رحل إلى مصر وفيها توفي. انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣٩.

(٢) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١٤٢/١.

(٣) الشريف حسين بن علي، سبقت ترجمته في بداية هذا الفصل، ص(١٩٦).

(٤) مرداد: مختصر نشر النور، ص ص ١٢٩، ٤٣٩؛ وغازي: إفادة الأنام، ١٧٤/٤.

(٥) على الطبري: الأرج المسكي، ص ١٩٣.

(٦) على الطبري: الأرج المسكي، ص ص ١٩٣، ١٩٦.

ومن نماذج تقريب العلماء والأخذ برأيهم، ما قام به الشريف الحسين بن علي عندما أراد وضع نظام جديد يساعد على إعادة النشاط العلمي في المسجد الحرام، فجمع أعيان العلماء وأخذ رأيهم[(١)]، وتم إصدار نظاماً جديداً للتعليم تحت إسم الطوالع السنية في نظام التعليم في مسجد مكة المحمية.

ومن نماذج تقريب العلماء كذلك، عضويتهم في التنظيم الإداري، فقد كان "ديوان مكة المكرمة" يضم (١٣) عضواً، منهم أمير مكة المكرمة، والقاضي، وشيخ الحرم، ومفاتي المذاهب الأربعة أئمة المقامات[(٢)].

ومن مظاهر التقدير، حضور أمير مكة مناسبات أفراح العلماء، والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي عام (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م)، حضر الشريف محسن بن الحسين[(٣)] وجماعة من السادة الأشراف عقد زواج العالم علي الطبري[(٤)].

كذلك في حالة وفاة أحد العلماء، يحضر أمير مكة للصلاة عليه، ويعزون أقارب الميت. قال علي الطبري: "وفي عام ثمانية عشر بعد الألف انتقل جدي الإمام محمد بن يحيى الطبري فحضر الصلاة عليه مولانا وسيدنا الشريف إدريس بن حسن والسادة الأشراف، واتفق في عام ثلاثة وثلاثين بعد الألف أن انتقل إلى رحمة الله تعالى سيدي ووالدي، فحضر ختم القرآن عليه بتربتنا بالمعلاة سيدنا ومولانا السيد الشريف محسن ابن الحسين- رحمه الله تعالى- وحضر معه جماعة من السادة الأشراف"[(٥)].

---

(١) عبد الوهاب ابو سليمان: الحرم الشريف، ص٦٠.

(٢) دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص٥٩؛ وعماد يوسف: الحجاز في العهد العثماني، ص٦٧.

(٣) الشريف محسن بن حسين، أُشرك مع عميه إدريس وفهيد في الحكم، ثم انفرد به عام (١٠٣٢هـ/١٦٢٣م) واستمر إلى عام (١٠٣٧هـ/١٦٢٨م)، وتوفي في اليمن عام (١٠٣٨هـ/١٦٢٩م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣١.

(٤) علي ال□بري: الأرج المسكي، ص١٩٢.

(٥) علي ال□بري: الأرج المسكي، ص١٩٢.

وفي مقابل هذا التقدير والاحترام للعلماء، كان العلماء يبادلون حكام مكة المكرمة التقدير في الغالب، مع حرصهم على الاحتفاظ بمكانتهم وإنكارهم على بعض الحكام ما يقعون فيه من مخالفات شرعية. ومظاهر التقدير التي يبديها العلماء لحكام مكة المكرمة كثيرة، ومن أبرزها:

عبارات التقدير والاحترام للحكام، نذكر شاهداً على هذا – والشواهد كثيرة – قول علي الطبري (ت: ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م): "وقد شاهدنا مولانا ملك العصر، وسيدنا الذي افتخر به الدهر، مولانا الشريف زيد بن محسن– أطال الله عمره ودولته – حضر الصلاة على جنائز لبعض الأعيان من أهل مكة المشرفة، جزاه الله على موائد فضله، و أدام سلوكه على قوانين سلفه الكريم وأصله"[١]. ويحمل هذا النص العديد من ألفاظ الاحترام و التفخيم والدعاء للشريف، وهذه لا تقدم إلا إلى شخصية تحظى بالتقدير.

أما قصائد ومؤلفات العلماء الذين مدحوا فيها حكام مكة المكرمة فهي عديدة، منها:

القصائد التي نظمت في مدح الشريف الحسن بن أبي نمي، وكان يجيز على التأليف والقصيدة الألف، وأكثر، فانتظم العلماء في مدحه، ومنهم؛ عبد القادر الطبري (ت: ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م)، إمام المقام الشافعي، وخطيب المسجد الحرام ، والذي صنف كذلك الكثير من الكتب باسم مكتبة الشريف ، فأكرمه ، وعبد الرحمن المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ / ١٦٢٨م) ، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام[٢].

وممن مدح الشريف محمد بن عون[٣]، العالم عبد الله بن محمد بن عبد الشكور (ت: ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، الذي مدح أمير مكة بالقصائد الغرر، وكان له علاقة بالأشراف يتقرب إليهم، وألّف كتاب "تاريخ

---

(١) علي الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٢.

(٢) انظر: علي الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٥؛ والسنجاري: منائح الكرم، ٣/٣٨٢.

(٣) الشريف مُحَمَّد بن عون ، سبقت ترجمته في الفصل الأول، ص(٨٦).

أشراف وأمراء مكة المكرمة"[١]. كما جمع العالم محضار بن عبد الله السقاف (ت:١٣١١هـ/ ١٨٩٤م) الإمام الملازم بالمقام الشافعي ديواناً لجماعة في مدح الشريف عبد الله بن محمد بن عون[٢]، سماه: "إشراق الكون في مدح أمير مكة الشريف عبد الله بن عون"، و العالم أحمد بن أمين بن عبد الشكور (ت: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، الإمام الملازم بالمقام الحنفي، له قصائد في مدح هذا الشريف[٣].

ويتضح من الشواهد السابقة حسن العلاقة والاحترام المتبادل بين علماء المقامات وحكام مكة المكرمة والتي كانت هي السمة الغالبة على أكثر فترات البحث.

وعلى جانب آخر فقد كانت ثمة أمثلة تؤكد سوء العلاقة بين علماء المقامات وحكام مكة المكرمة، ومن هذه الأمثلة:

في عام (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، عندما قام أمير مكة المكرمة الشريف أحمد بن عبد المطلب[٤] بالقبض على العالم عبد الرحمن المرشدي (ت: ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام ومفتي مكة المكرمة في عصره، وأمر بسجنه وتعذيبه بأصفاد الحديد، ونهب داره، لعداوة بينهما، واستمر مسجوناً إلى يوم العيد، وقتل خنقاً[٥].

كما أتسم عهد الشريف عون الرفيق[٦] بالظلم والاضطهاد، وقد تعرض علماء مكة المكرمة خلال عهده لكثير من المحن والاضطهاد، من ذلك؛ أن العالم عابد بن حسين المالكي (ت: ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م)، الإمام الملازم بالمقام المالكي ومفتي المالكية، كان

---

(١) الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص٤١٣.

(٢) الشريف عبد الله بن مُحَمَّد بن عون، سبقت ترجمته في بداية هذا المبحث، ص (٢٠٢) .

(٣) صالح بن حميد: تاريخ أمة، ١٠٦٥/٣، ١١٠٩، ١١٢١.

(٤) الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن، ولي الحكم في عام (١٠٣٧هـ/١٦٢٨م)، وتوفي مقتولاً عام (١٠٣٩هـ/١٦٣٠م) . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣١ .

(٥) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٥٣؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٤١٣/٢ .

(٦) الشريف عون الرفيق ، سبقت ترجمته في الفصل الثالث، ص (١٦٢) .

صريحاً يجابه ولاة الأمور بما يراه من المنكرات المخالفة للدين، لذلك نقم عليه الشريف عون وتربص به حتى نفاه مع جماعة من خيرة علماء مكة، فهاجر إلى اليمن ثم رحل إلى الخليج، ثم عاد إلى مكة متنكراً متخفياً لا يخرج إلا إلى المسجد الحرام، وظل على هذه الحال حتى وفاة الشريف عون عام (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)[١]، كما كان للشريف عون موقف مع العالم الشافعي عبد الله الزواوي (ت: ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، الإمام الملازم بالمقام الشافعي، وذلك عندما مر موكب الشريف من أمام منزل العالم المذكور أصابه ماء من البيت فغضب لذلك وأمر بإحضار العالم لمعاقبته، وحاصر الجند منزله، لكن العالم الزواوي لم يكن في منزله، فلم يصبه أذى الشريف ولكن أنذر من جراء ذلك[٢].

كما ألقى القبض على العالم عبد الله الكردي أحد أئمة الشافعية وبعض العلماء بتهمة اتصالهم بالوالي العثماني، ثم عاقبهم بالنفي .

وكان الشريف عون يعزل بعض العلماء من مناصبهم إذا ما غضب منهم، مثل عزله للعالم عبد الرحمن سراج (ت:١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، إمام وخطيب المسجد الحرام، وقد عزله من منصب الإفتاء الحنفي حينما غضب عليه وعين بدلاً منه العالم عباس بن صدقة (ت: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) الإمام الملازم بالمقام الحنفي. وعزله للعالم علي بن حميد (كان حياً عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) ، إمام المقام الحنبلي، وعين بدلاً منه الشيخ خلف بن إبراهيم (ت: ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)، ونفيه للعالم إبراهيم نائب الحرم (كان حياً عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)، الإمام الملازم بالمقام الحنفي[٣].

---

(١) الصبحي: وسام الكرم، ص٣٥٨ .

(٢) فاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص٢٨٦ .

(٣) انظر: رفعت: مرآة الحرمين، ٢/٢٧٨؛ ومرداد: مختصر نشر النور، ص٢٢٨؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢/٦٢١؛ وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣/١١١٣.

وابتعد كثير من العلماء عن قبول الوظائف الحكومية زهداً منهم وتجنباً لبطش بعض الحكام، مثل؛ العالم عبد الرحمن الدهان (ت: ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)، إمام المقام الحنفي، عرض عليه الشريف حسين بن علي نيابة القضاء وغيرها من الوظائف، فاعتذر عنها[١].

ومما سبق ذكره من علاقة علماء المقامات بحكام مكة المكرمة، يتضح:

١- حرص الكثير من حكام مكة المكرمة على تقريب العلماء وتكريمهم وخلع الوظائف عليهم، وبناء علاقات حسنة معهم، ويتضح لنا أيضاً من هذا الجانب أن الحكام كان لهم من الدين والفضل ما جعلهم يحرصون على قرب العلماء وتخصيص بعضهم لمرافقتهم في الإقامة والسفر، وبعضهم للإمامة بهم في حالة عدم صلاتهم بالمسجد الحرام.

٢- عانى بعض من العلماء من ظلم واضطهاد بعض حكام مكة المكرمة خاصة في عهد الشريف عون الرفيق، حتى إن البعض منهم غادر أو اختفى من مكة أو لزم الحذر وعدم القرب من الحكام، ولكن هذه تعتبر فترة قصيرة مقارنة بفترات البحث.

٣- أسهم العلماء بشكل أو بآخر في تسيير السياسة العامة لحكام مكة المكرمة، فإن قرب العلماء من الحكام وحضورهم في مجالسهم واستشارتهم، ومكانة العلماء في المجتمع، جعل منهم همزة وصل بين السكان والحكام .

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٤٢.

المبحث الثاني

علاقة علماء المقامات بالحكومة العثمانية

أما علاقة علماء المقامات بالخلافة العثمانية أبرز القوى الحاكمة والتي تتمثل في الخليفة العثماني ووالي مصر ومحافظ جدة أو شيخ الحرم، فقد تميزت بحسن العلاقة والتعاون بينهما من جانب العلماء والدولة، مع وجود الاتفاق والاختلاف في بعض المواقف.

وسوف نتناول عدة جوانب كنماذج لهذه العلاقة التي تدل على الاحترام والتكريم للعلماء، ومنها:

التعيين والعزل؛ يتم تعيين علماء المقامات بمقتضى فرمان سلطاني، يصدر بتوليهم أئمة للمقامات أو مؤذنين أو خطباء للمسجد الحرام، حيث تجرى بشأنه مراسلات بين الدولة والمسؤولين في مصر والحجاز، وهو ما يبرز مكانتهم عند الدولة، فعلى سبيل المثال؛ وصل إلى مكة المكرمة فرماناً في ٢٣ رمضان عام (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)، من مصر يشير إلى ما أنعم به السلطان العثماني بتعيين القاضي تاج الدين المالكي قاضياً بمكة المكرمة مع نصف الإمامة بالمسجد الحرام[١].

وكان عادة يشار في الفرمان إلى تعطف السلطان عليه بهذه الوظيفة.

أما عن مدة هذه الوظيفة فهي مستمرة إلى الوفاة، وتنتقل إلى أبناء العلماء، بل إن من العلماء أئمة المقامات من حصل على مراسيم من الدولة تقضي بالمحافظة على وظائف الأئمة في بيوت معينة ومنع استحداث أي وظيفة لغيرهم، مثل العالم عبد الكريم القطبي (ت: ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، إمام المقام الحنفي والمفتي بمكة المكرمة،

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١/٥١٧؛ دارة الملك عبدالعزيز: الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥٤١، ١٤٦٦؛ المندوب البريطاني: تقرير عن المؤسسات التعليمية، ص١٠٣.

الذي شارك بيت البخاريين وبيت الشيخ أبي سلَمَة في إمامة المقام الحنفي واستخرج أحكاماً سلطانية بأن لا تحدث وظيفة إمامة بمقام الحنفي[1].

أما عزل العلماء عن الإمامة أو الخطابة، فلم تورد المصادر إلا نماذج قليلة لعزل العلماء، منها على سبيل المثال: في عام (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م)، عزل العالم زين العابدين الطبري إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، عن خطبة عيد الفطر ونقلت الخطبة إلى أئمة الحنفية[2]، وهو مذهب الدولة الرسمي.

ومما تقدم يتضح أن السلطنة العثمانية كانت تحرص على استمرار العلماء في وظائفهم مدة طويلة وهو الغالب، مما يشير إلى حسن العلاقة مع العلماء ومكانتهم عند الدولة.

ومن نماذج التكريم للعلماء أنه كانت تقدم لهم الرواتب من خزينة الدولة، بالإضافة لذلك تقدم الخلع المناسبة شأنهم في ذلك شأن كبار رجال مكة، ففي عام (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م)، في احتفال البدء في بناء الكعبة المشرفة نجد الوالي العثماني يوزع الخلع والأعطيات على شريف مكة وعلمائها وأعيانها، ويذكر العياشي (ت: ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) في رحلته بأن الإمام بعد ختم القرآن في رمضان يخلع عليه شريف مكة خلعة من عند السلطان، ويعطي فتوحاً زائداً على الخلعة[3].

وكانت الرواتب تخصص للعلماء حتى بعد التقاعد تكريماً لهم، مثل العالم عبد القادر خوقير الذي منح بعد تقاعده ألف قرش شهرياً عام (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)[4].

وبحكم مكانة العلماء الدينية والاجتماعية، كانت الدولة العثمانية تقدر هذه المكانة وتهتم بالعلماء وتسند إليهم عدة وظائف، فكثير من العلماء أئمة في أحد المقامات الأربعة

---

(١) مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٨١ .

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٤١٠.

(٣) انظر: ابن علان: عمارة الكعبة، ص٨٠؛ وعبد الهادي التازي: رحلة الرحلات، ١/ ٢١٣ رحلة العياشي.

(٤) دارة الملك عبد العزيز: الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١٤٩٦.

للصلوات المفروضة، وخطيب للمسجد الحرام، ومدرس بالمسجد الحرام أو بالمدارس، ومفتٍ أو قاضٍ أو مطوفٍ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: في ترجمة العالم جارالله ابن ظهيرة (ت: ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، أنه إمام المقام الحنفي، وخطيب المسجد الحرام، وتصدر للتدريس، كما وِلّي إفتاء البلد الحرام؛ والعالم صالح بن حسين جمل الليل (ت: ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م)، كان إماماً للمقام الشافعي، وخطيباً ومدرساً في المسجد الحرام؛ والعالم عباس المالكي (ت: ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، كان إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام؛ والعالم محمد بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، إمام وخطيب ومدرس بالمسجد الحرام[١].

وتقديراً من السلطة العثمانية للعلماء المكيين كانت توجه لهم الدعوات الخاصة لحضور بعض المناسبات التي تهم الدولة، والمجتمع ككل، فعندما افتتح الخط الحديدي في الحجاز أقيمت مناسبة وحفل كبير بهذا الإنجاز ووجهت الحكومة العثمانية الدعوة لبعض علماء مكة لحضور هذا الافتتاح الكبير، وقد تم تشكيل هيئة من وجهاء وعلماء مكة والمدينة، وتوجهت هذه الهيئة لمقر الحفل وحضرت الافتتاح وكان من علماء مكة الحاضرين الشيخ عبد الحميد قدس (ت: ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، إمام المقام الشافعي[٢].

ومن تقدير العلماء، اهتمام الولاة بهم، ومن الأمثلة على ذلك؛ زيارة الولاة للعلماء في دورهم، والسؤال عن أحوالهم، إذ تشير المصادر إلى أن والي مصر محمد علي باشا، لما قدم مكة المكرمة وبلغه أن إمام المقام الحنفي الشيخ عبد الملك القلعي (ت: ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، مريض، زاره بمنزله وأعجب بذكائه وطلاقة لسانه وقوة ذاكرته على الرغم من اعتلال صحته[٣].

---

(١) انظر: مختصر نشر النور، ص ص ١٥١، ٢٢٩، ٤٢٣؛ والصبحي: وسام الكرم، ص ص ١٤٩، ١٩٦، ٣٦٤ .

(٢) فاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ٢٨٢ .

(٣) مرداد: مختصر نشر النور، ص٣٢٩ .

ومن التقدير كذلك للعلماء، تقديرهم عند ذهابهم إلى السلطان العثماني، فمن العلماء من انتدب نفسه في بعض المهمات نيابة عن غيره من العلماء لمقابلة سلاطين الدولة العثمانية ومناقشتهم في بعض المسائل المهمة، مثل العالم عبد الرحمن العجيمي (ت: ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، سافر لاسطنبول مع كبار خطباء مكة المكرمة بشأن مرتباتهم ووظائفهم، وقد كتبوا معروضاً بذلك وقابلوا السلطان العثماني، وطلب منه السلطان أن يخطب خطبة الجمعة بجامعه، فخطب خطبة بليغة فانسرّ لذلك سروراً كبيراً، وقد نجح العالم في مهمته وفرح بذلك سائر الخطباء وأئمة مكة آنذاك[١].

وكان العلماء خلال فترة البحث يحفظون للدولة وللسلاطين هذا التكريم ويبادلونهم الإحسان والوقوف في صف الدولة في كثير من الأوقات، ويتمثل ذلك في الثناء على السلاطين العثمانيين، والدعاء لهم في المسجد الحرام، وتأليف الكتب في محاسنهم. فكان من العادة أن يُقرأ جزء من القرآن الكريم في المسجد الحرام ويُدعى بعده للسلطان العثماني، ففي رمضان عام (٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م)، قرئت سورة الأنعام بعد صلاة الصبح، ويدعى بعدها بنصر السلطان العثماني، ويحضر ذلك القضاة الأربعة وأئمة المسجد الحرام وأرباب الوظائف[٢].

وتدل عبارات وألفاظ التفخيم على مكانة السلطان في نفوس العلماء، ففي وصف العالم جار الله بن فهد للسلطان سليمان القانوني أنه السلطان الأعظم، والخاقان المكرم، إسكندر الزمان، صفوة الصفوة من ملوك بني عثمان، الملك المظفر[٣].

والعلماء الذين صنفوا الكتب في الثناء على الدولة وذكر محاسن السلاطين كثر، منهم:

---

(١) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٢٤٨.

(٢) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١/٣٥٧؛ وابن علان: عمارة الكعبة، ص ١٩٥.

(٣) ابن فهد: نيل المنى، ١/٣٥٧.

١- جار الله بن فهد (ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٧م)، وقد ألف الكثير من الكتب التاريخية والحديثية، ورحل إلى بلاد الروم مرتين، في عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)، وعام (٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)، ومن مؤلفاته التي تناول فيها الدولة العثمانية بكتاب منفرد أو فصول ضمن مؤلف، ما يأتي:

أ- بلوغ الأرب في تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب: وقد ألفه بعد دخول الجيوش العثمانية للشام، ومقتل قانصوه عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م).

ب- الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان: وجعله المؤلف كأنه رسالة يرفعها إلى السلطان سليمان، ذكر فيه موجزاً لتاريخ سلاطين الدولة العثمانية، والعديد من العلماء الذين قصدوا السلطة العثمانية والإشارة إلى كرمها معهم، والأموال التي كانت ترسل لأهل الحرمين الشريفين.

ج- نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى: وضعه على طريقة الحوليات، لحوادث مكة حتى عام (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م)، السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، يصورها بكل دقة، وقد تعرض في الحوادث السياسية لبداية ظهور أثر العثمانيين في مكة، وانتقال السلطة إلى العثمانيين، وأخبار أمراء الحجّ وعلاقاتهم بالأشراف، وفي الحوادث الاقتصادية عرض أخبار توزيع صدقات الصرة التي يرسلها العثمانيون كل عام وذكر مقاديرها، والقائمين على توزيعها، وما يقع في ذلك من التجاوزات[١].

٢- قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي (ت: ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م): وكان فقيهاً حنفي المذهب يحسن التركية وعلى صلاتٍ كبيرة بكبار رجال الدولة العثمانية، فوجدت فيه الدولة الرجل المناسب لتمثيل اتجاهاتها وسياستها، وللدفاع عن مواقفها وللنطق باسمها ونشر محاسنها، كما وجدت فيه الشيخ الفقيه المناسب للقيام

(١) ابن فهد: نيل المنى، ١٦/١ وما بعدها؛ والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ص ١٩٦-٢١٣ .

بوظيفة الطوافة عندما يحجُّ الأمراء وأفراد العائلة الحاكمة والوزراء والقوّاد العثمانيين. وفي زيارته لاسطنبول استقبله السلطان سليمان في حفل عظيم، وارتبط بعلاقات حميمة مع ابنه الأمير بايزيد وبالعديد من الوزراء، وقد نال من عطاء العثمانيين ومرتباتهم وهداياهم الشيء الكثير؛ مما جعله يعيش في رغد من العيش وسعة من الرزق، وفي مقابل ذلك يصبح قطب الدين المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية باللغة العربية والناشر لفضائلهم وانتصاراتهم والمدافع عن مواقفهم. ومن مؤلفاته:

أ- الإعلام، بأعلام بيت الله الحرام: وهو كتاب أراد به أن يجمع بين تاريخ مكة وذكر فضائل أهلها وحكامها وبين مزايا الدولة العثمانية ومنجزات سلاطينها وأعمالهم في مكة، فذكر في الباب السابع إنجازات السلطان سليم خان، والباب الثامن في مفاخر السلطان سليمان، والباب التاسع في مفاخر السلطان سليم خان الثاني[١].

ب- البرق اليماني، في الفتح العثماني: ألفه استجابة لرغبة الوزير الصدر سنان باشا في تأليف كتاب في فتوحاته باليمن، فألف أولاً كتاب " الفتوحات العثمانية للأقطار اليمانية " وأهداه للسلطان سليم خان الثاني، ثم أعاد كتابة الموضوع نفسه في كتابه هذا الذي عنوانه "البرق اليماني" وأهداه إلى السلطان مراد بن سليم[٢].

٣- عبد الكريم بن محب الدين القطبي (ت: ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، إمام المقام الحنفي، وهو ابن أخ المؤرخ قطب الدين النهروالي، كانت له حظوة عند العثمانيين فكانوا يكرمونه بالمرتبات والوظائف، ويستجيبون لطلبه في زيادة إكرامهم لأهل مكة والعناية بهم. ومن مؤلفاته:

---

(١) انظر: النهروالي: الإعلام، ص ص ٢٦٣، ٢٩٩، ٣٥٥؛ والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ص ٢٤٢، ٢٤٦.

(٢) انظر: الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٤٧ .

أ- إعلام العلماء الأعلام، ببناء المسجد الحرام[1]: وقد وضعه تلخيصاً وتذييلاً لكتاب عمه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، وأضاف فيه بعض أخبار عصره، ففي الباب السابع ذكر مآثر السلاطين العثمانيين في البلد الحرام قبل السلطان سليمان، وفي الباب الثامن مآثر السلطان سليمان خان، وفي الباب التاسع مآثر السلطان سليم الثاني، وفي الباب العاشر مآثر السلطان مراد خان[2].

٤- عبد القادر الطبري (ت: ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام. ومن مؤلفاته:

أ- الأساطين، في حج السلاطين: وذُكر أنه ألفه حين أراد السلطان عثمان خان الحجّ[3].

ب- نشأة السلافة، بمنشأة الخلافة: وقد اشتمل على ذكر لسلاطين العثمانيين بداية من السلطان سليم خان فاتح مصر إلى السلطان محمد بن مراد[4].

٥- علي بن عبد القادر الطبري (ت: ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م)، إمام المقام الشافعي وخطيب المسجد الحرام، من مؤلفاته:

أ- الأرج المسكي، في التاريخ المكي: وذكر في الباب الخامس تراجم للسلاطين، مرتبين على حروف المعجم، مع ذكر ما قيل فيهم من الشعر[5].

ومن نماذج احترام العلماء وحفظ مكانتهم أن الحكام والولاة كانوا يحتاجون رأيهم في كثير من الأمور، فيعرضون عليهم أكثر المسائل المتعلقة بأمور الدين والحرم المكي

---

(١) وقد ذكره الدكتور مُحَمَّد الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بعنوان: إعلام الإعلام، بأعلام بيت الله الحرام . انظر: الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٦٦ .

(٢) انظر: القطبي: إعلام العلماء، ص ص ٢٢، ١٠٣، ١٠٧، ١١٧، ١٢٣؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٦٦ .

(٣) انظر: الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٢٩٤ .

(٤) انظر: الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ص ٣٠١-٣٠٣ .

(٥) انظر: علي الطبري: الأرج المسكي، ص٢٠٧ وما بعدها؛ والهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ٣٤١ .

وبعض الأمور التي تهم البلاد ويطلبون منهم الفتوى وتقديم تقارير مصدقة منهم في هذا الخصوص، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

في عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م)، عند الحاجة إلى ترميم الكعبة المشرفة، جرى تحرير عرض إلى السلطان سليمان الذي أرسله إلى المفتي يستفتيه في ذلك فكتب له بجواز ذلك إن دعت الضرورة إليه، فأرسل بجواب المفتي إلى مصر للعمل بمقتضى الفتوى، وفي مكة اقتضى رأيهم مشاورة علماء مكة في ذلك، فاجتمعوا وتفاوضوا في المسألة واتفقوا على الشروع في التعمير[١].

ومن جانب آخر كان هناك بعض النماذج للخلاف والتباعد بين بعض العلماء والولاة العثمانيين، فالعالم أحمد أبو الخير (ت: ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، امتنع عن قبول منصب الإفتاء وصرح بأن سبب امتناعه هو عدم رضاه عن الولاة لعدم استقامتهم، وكان العالم عبد الرحمن دهان (ت: ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)، إمام المقام الحنفي لا يقبل أن يتوظف في الوظائف الحكومية بالرغم مما عُرض عليه من مناصب الإفتاء والقضاء[٢].

ولا تخلو العلاقة بين العلماء والولاة من الخلاف ومن ذلك؛ حادثتا الشيخ القلعي، والأوقاف السلطانية.

حادثة الشيخ القلعي: في يوم الأحد الخامس عشر من ربيع الآخر عام (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م)، كانت مباشرة صلاة الصبح عند الشيخ تاج الدين القلعي (ت: ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، فتأخر قليلاً، وصلى بالناس بعض المجاورين، فسأل عنه شيخ الحرم والي جدة أحمد باشا ودعاه إلى المدرسة الداودية، وأمر بضربه على رجليه، فاجتمع بعض الأئمة وذهبوا للشريف وأخذوا فتوى

---

(١) انظر: القطبي: إعلام العلماء، ص ٥٥ .

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص٢٤٢؛ والصبحي: وسام الكرم، ص ٢٣٦ .

خطية من المفتي بوجوب تعزير من أهان العلماء، فأمر الشريف بالاجتماع عند القاضي وحضور الوالي، وأُقيمت الدعوى، وحكم القاضي على الوالي بالتعزير، ثم اصطلحوا في المجلس، وخرج شيخ الحرم وأخذ معه إلى بيته الشيخ تاج الدين وأرضاه. وأسرها شيخ الحرم للمفتي فتكررت الإساءة إليه، وبعد تدخل الشريف أمير مكة أصلح بين الوالي والمفتي وكتب إلى السلطان في اسطنبول فجاء الأمر بعزل أحمد باشا عن ولاية جدة ومشيخة الحرم[1].

الأوقاف السلطانية: عُرف عن بعض علماء مكة المكرمة جرأتهم وعدم خوفهم من السلطات، وحدثت بينهم وبين الولاة خلافات ومواجهات علنية، وقد عزل العالم عبد الله المرغني (ت: ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م) عن منصب الإفتاء من قبل الوالي حسيب باشا، وذلك عندما أراد هذا الوالي انتزاع الأوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بصكوك شرعية ولكن الوالي لم يستطع ذلك. وقد واجهه العالم عبد الله المرغني وأنكر عليه عمله هذا وقال له: "لا يسوغ لك ذلك بحال"، فعزله وعين بدلاً منه العالم محمد الكتبي (ت: ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، ظناً منه أنه سيوافقه الرأي ولكن لم يحدث ذلك، وقد تطور الخلاف مع العلماء، وكتب أعيان أهل مكة من العلماء والأشراف عريضة إلى السلطان العثماني، وكانت النتيجة؛ توقف الوالي عن انتزاع الأوقاف، وإعادة المفتي لمنصبه، ثم عزل الوالي من وظيفته عام (١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م)[2].

ومما سبق ذكره حول علاقة علماء المقامات بالخلافة العثمانية يتضح:

---

(١) انظر: السنجاري: منائح الكرم، ٥/٩-١١، ٣٢؛ وغازي: إفادة الأنام، ٥٦٣/٢؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٤٤٥/٢ .

(٢) انظر: دحلان: تاريخ أشراف مكة، ص٣٥؛ ومرداد: مختصر نشر النور، ص٣٢٢؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٥٩٨/٢؛ وسنان أغلو: نجد والحجاز، ص٨٣ .

١- تميز العلاقة بينهما، ففي أغلب فترات البحث تظهر الدولة العثمانية الاحترام والتقدير للعلماء وحفظ مكانتهم، فتعيينهم يصدر بموجب فرمان سلطاني، ويحتفظون بالوظيفة لهم ولأبنائهم، وإسناد العديد من الوظائف إليهم، واستشارتهم في كثير من الأمور المهمة، واحتفاء الخليفة بهم، وتلبية رغباتهم، حتى عندما يحدث خلاف بين العلماء وبعض الولاة فإن الدولة تقف مع العلماء وتعزل الوالي.

٢- حفظ العلماء للدولة هذا التقدير والتكريم، فألفوا الكتب في الثناء على السلاطين العثمانيين وذكر مآثرهم.

المبحث الثالث

علاقة علماء المقامات بالحركات الداخلية والخارجية في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة

نشأ عن أهمية علماء مكة المكرمة أن صار لهم دور بارز من الناحية السياسية، نتيجة لمكانتهم الاجتماعية، وما كانوا عليه من الصدق والأمانة والنزاهة، وقد أثبتوا مشاركاتهم الفاعلة في كثير من الأمور سواء كان بصورة فردية، أو في صورة رسمية جماعية.

ويمكن أن نقف على نماذج من مشاركة العلماء في الأحداث السياسية من خلال مناقشة هذه الجوانب:

١- علاقة علماء المقامات بالحركات الداخلية، سواء على مستوى مكة المكرمة، أو الحجاز بشكل عام.

٢- علاقة علماء المقامات بالحركات الخارجية، على مستوى الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي.

أولاً: علاقة علماء المقامات بالحركات الداخلية:

١- **الصراع بين الأشراف**: شهدت مكة المكرمة خلال فترة البحث عدداً من الصراعات بين الأشراف على تولي الحكم. وكان دور العلماء بارزاً في علاج المشكلات وحل النزاع، فيقومون بدور الوسيط بين الأشراف الطامعين في الحكم، أو الوقوف مع أحد الأطراف؛ فمن ذلك على سبيل المثال:

الصراع بين الشريف سعد بن زيد[١] (ت: ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م) والشريف حمود ابن عبد الله بن الحسن[٢] (ت: ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، فضعف الأمن في مكة المكرمة وما

---

(١) الشريف سعد بن زيد، وُلّي إمارة مكة عام (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٧م)، ثم وُلّي ثلاث مرات أخرى، ومجموع مدة ولايته (١٥) سنة و(٧) أشهر، وتوفي عام (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م) . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٧٤.

(٢) الشريف حمود بن عبد الله بن الحسن، اشترك مع الشريف سعد بن زيد في الأشهر الأولى، ثم عارضه، وقد تصالحا في عام (١٠٨١هـ/١٦٧٠م)، ثم انسحب الشريف حمود إلى الطائف، وقد توفي فيها عام (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) . انظر: إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ١٥٠ .

حولها، وكثر السلب والنهب لبعض البيوت، ونشط العابثون فقطعوا الطريق بين مكة وجدة والطائف، وكادت أن تقع الفتنة لولا توسط العقلاء من الأشراف والعلماء بين الفريقين وتم الصلح بتولي الشريف سعد بن زيد إمارة مكة وتخصيص جزء كبير من ريع البلاد للشريف حمود لقبوله ذلك[١].

وفي عام (١١٠٣هـ/ ١٦٩١م)، اشتد النزاع بين الشريف أحمد بن غالب[٢]، وأمير مكة الشريف سعيد بن سعد[٣]، فانعقد مجلس في المسجد الحرام خلف مقام الحنفي حضره الأشراف ووالي جدة والقاضي والمفتي والعلماء ووجوه الناس وقرروا إقامة الشريف مساعد بن سعد[٤] في الإمارة[٥].

وفي عام (١١٠٦هـ/ ١٦٩٦م)، تجدد النزاع بين أمير مكة الشريف عبد الله بن هاشم[٦] و الشريف سعد بن زيد، واستعد الشريف عبد الله للقتال إلا أن الأهالي رفضوا القتال إلا بوجود فتوى، فاستنجد الشريف عبد الله بالعلماء الذين أصدروا فتوى بجواز الدفاع ضد المعتدين، وكان منهم العالم علي السنجاري (ت: ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام والمفتي، والعالم سعيد المنوفي (ت: ١١٢٠هـ/

---

(١) السباعي: تاريخ مكة، ٤٢٧/٢؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ١٥٠ .

(٢) الشريف أحمد بن غالب، تولى الإمارة في عام (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)، ومكث عاماً وتسعة أشهر، ثم خرج وذهب إلى اليمن ثم إلى استانبول، وتوفي فيها عام (١١١٣هـ/ ١٧٠١م) . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٣٣ .

(٣) الشريف سعيد بن سعد تولى إمارة مكة للمرة الأولى عام (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)، وقام بحروب طويلة مع بعض الأشراف على الإمارة، وكانت مدة ولايته (١٠) سنوات و (٧) أشهر متفرقة على خمس مرات، توفي عام (١١٢٩هـ/ ١٧١١م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ص ٣٥، ٧٥؛ وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص١٦٣.

(٤) الشريف مساعد بن سعد بن زيد، تولى إمارة مكة عام (١١٠٣هـ/ ١٦٩١م)، وتنازل عنها للشريف سعيد بن زيد . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص٧٥.

(٥) السباعي: تاريخ مكة، ٤٤٤/٢ .

(٦) الشريف عبد الله بن هاشم، تولى إمارة مكة للمرة الأولى عام (١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م)، ثم مرة ثانية عام (١١٠٦هـ/ ١٦٩٥م)، إلا أنه هرب بعد دخول الشريف سعد بن زيد، وجاء إلى استانبول حيث توفي فيها عام (١١١٣هـ/ ١٧٠١م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٣٤، ٧٥.

١٧٠٨م)، إمام المقام الشافعي، وبعد استمرار القتال رأى العالم السنجاري أنه ينادى بالشريف سعد أميراً لمكة لإخماد الفتنة، إلا أنه حسم العثمانيون النزاع بتولي الإمارة للشريف سعيد بن سعد[١].

وفي فترة الصراع بين الشريف سعد بن زيد والشريف عبد الكريم بن يعلى[٢] بين عامي (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)، و (١١١٧هـ / ١٧٠٥م)، كانت مكة المكرمة مسرحاً للفتن، وكان العلماء قريبين من الأحداث، فنجد والي جدة يكتب محضراً بما حدث بين الشريفين المتسابقين على الحكم ويستشهد فيه بخطوط العلماء والأهالي ويطلب تأييد الشريف عبد الكريم، إلا أن الدولة أصدرت أمراً بإعادة الشريف سعيد بن سعد بقوة السلاح، وعزل الشريف عبد الكريم الذي لجأ إلى العلماء وأعيان الأهالي يجمعهم في المسجد ويطلب تأييدهم، واستمراراً لجهود العلماء في استقرار البلاد وتجنيبها الفتن نجدهم يتوجهون بالنصيحة للشريف عبد الكريم ويرجونه التنحي للشريف سعيد[٣]. إلا أنهم في فترة من هذا الصراع وقفوا ضد الشريف سعيد فأصدر مفاتي المذاهب الأربعة فتوى أجازوا فيها معاقبة الشريف المذكور فاضطرت الدولة إلى عزله[٤]. لكن الغالب على موقف العلماء الوقوف مع أمير مكة حفاظاً على استقرار الأوضاع، فعلى سبيل المثال؛ الفتوى التي أصدرها علماء مكة المكرمة في وجوب مدافعة الناس عن الحرم إذا تعرض لهجوم، ووقع عليها من العلماء مفاتي المذاهب الأربعة، والعالم محمد

---

(١) انظر: السنجاري: منائح الكرم، ١٩٧/٥؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٤٥٤/٢ .

(٢) الشريف عبد الكريم بن مُحَمَّد بن يعلي، حصل بينة وبين الشريف سعد بن زيد وابنه سعيد حروب طويلة، تولى فيها إمارة مكة ثلاث مرات، جميعها ست سنوات وعشرة أشهر، ذهب إلى مصر واستقر فيها إلى أن توفي عام (١١٣١هـ/ ١٧١٩م) . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٣٤؛ وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ١٦٧ .

(٣) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٤٦٤/٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨؛ مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٣٤؛ وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص١٦٧ .

(٤) انظر: اسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص١٦٥.

تاج الدين القلعي (ت: ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م) إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، والعالم محمد بن أحمد شمس (ت: ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م) إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام[١].

وخلال صراع أبناء الشريف سعيد بن زيد على الحكم، نجد نماذج من علاقة العلماء بهذه الأحداث، منها؛ في محرم عام (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) تنازل الشريف عبد الله ابن سعيد[٢] عن الإمارة لأخيه أحمد[٣] حقناً للدماء، فتولاها أحمد في مجلس حافل بالقاضي وكبار العلماء والأشراف. وفي شهر ربيع الأول من العام نفسه وصلت حملة من مصر لعزل الشريف أحمد الذي ندب العالم علي بن عبد القادر الصديقي (ت: ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م) إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام ومفتي مكة المكرمة لمقابلة قائد الحملة، إلا أن هذه الوساطة لم تنجح، فدخلت الحملة إلى مكة المكرمة، وسجن قائد الحملة مفتي مكة علياً الصديقي ولم يطلقه حتى غرمه أموالاً[٤].

وفي المقابل نجحت وساطة العلماء عام (١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م) في الصلح بين الشريف غالب بن مساعد[٥] والأشراف المنازعين له[٦].

---

(١) انظر: مكتبة الحرم المكي: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم ٢٠٨٨، ص٤٩. وانظر نص المخطوطة في الملحقات رقم (٤).

(٢) الشريف عبد الله بن سعيد، تولى الحكم عام (١١٢٩هـ/ ١٧١٧م)، واستمر سنة وثلاثة أشهر، ثم تولى إمارة مكة مجدداً عام (١١٣٦هـ/ ١٧٢٩م)، وقد نازعه أخوه أحمد فتنازل عن الإمارة عام (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) . انظر مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ص ٣٥، ٣٦.

(٣) الشريف أحمد بن سعيد، تولى إمارة مكة عام (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م)، لمدة تقارب (٥٠) يوماً ثم تولى مرة أخرى عام (١١٨٥هـ/ ١٧٧١م) لمدة سنة ونصف، ثم سُجن حتى توفي عام (١١٩٥هـ/١٧٨١م). انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٧٧؛ إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص١٨٦.

(٤) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢/٤٩٧-٤٩٩؛ انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ص٣٦؛ وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص ص ١٨٦، ١٨٧ .

(٥) الشريف غالب بن مساعد، سبقت الترجمة في الفصل الأول، ص (١١١) .

(٦) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢/٥١١؛ وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص١٩٤ .

٢- بيع الرقيق: في عام (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م)، عندما قررت الحكومة العثمانية منع بيع الرقيق في أسواق الحجاز نتج عن ذلك ثورة من قبل الناس ضد قرار الحكومة، وتوجه مجموعة من طلبة العلم مؤيدين بالعلماء إلى منزل الوالي العثماني ومنزل القاضي، وأحدثت ضجة كبيرة وأطلقت الأعيرة النارية، واستفحل الأمر، وهذا ما أدى إلى تراجع الحكومة العثمانية عن قرار منع بيع الرقيق، وأرسلت خطاباً لعلماء مكة بذلك، فما كان من العلماء إلا أن سطروا عريضة بعثوا بها إلى السلطان عبد المجيد[١]، تحمل توقيع (٣٨) عالماً[٢] من علماء مكة المكرمة، يشكرونه فيها على تفضله بتراجع الحكومة عن قرار منع بيع الرقيق وزوال أسباب الثورة، ويطلعونه على التطورات السياسية بين الأشراف[٣].

٣- تنظيم الأوقاف: من التنظيمات التي وصلت مكة المكرمة عام (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م) وسعى والي الحجاز حسيب باشا إلى انتزاع الأوقاف من أيدي الناس بموجب هذا النظام، وقد أبدى العلماء، وعلى رأسهم مفتي مكة المكرمة العالم عبد الله المرغني (ت: ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م)، اعتراضهم على هذه التنظيمات التي تمس حياتهم، بل إن المصادر تذكر أكثر من هذا أن العلماء حرضوا العامة على التمرد، وسادت فترة من الاضطرابات لم تنته إلا بإعلان فرمان على السكان يسحب القرار السابق ويعيد نظام الأوقاف إلى ما كان عليه قبل هذه التنظيمات[٤].

---

(١) السلطان عبد المجيد، تولى السلطنة العثمانية من عام (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) إلى عام (١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م) . انظر: باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص٢٠٢.

(٢) انظر نص الوثيقة في الملحقات، وثيقة رقم (٥).

(٣) انظر: سنان أغلو: نجد والحجاز، ص ص ٦٢-٦٨؛ وإسماعيل جارشلي: أشراف مكة ، ص٢١٥؛ وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١/٥٢ .

(٤) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ص ٣٥، ٧٢، ٧٨؛ وعبد الوهاب ابو سليمان: الحرم الشريف، ص ٢٦؛ وسنان أغلو: نجد والحجاز، ص ٨٣.

٤- **فتنة حوا:** في عام (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م)، كانت (فتنة حوا) سبباً في تساقط القتلى والجرحى في مكة المكرمة، حيث اشتبك رجل من مكة يدعى (حوا) مع أحد الجنود الأتراك في سوق مكة المكرمة، مما تسبب في إحداث فتنة في جميع أنحاء المدينة، أسفرت عن قتل عدد من العسكر وإغلاق الأسواق، وقد فتح الشريف عبد الله بن محمد تحقيقاً في الحادث، وحضر التحقيق عدد كبير من علماء مكة المكرمة من القضاة والمفتين والعلماء، حكموا على مثيري الشغب بأحكام تتراوح بين النفي والحبس[١].

٥- **فتنة جدة:** في عام (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م) وطأ القنصل البريطاني العلم العثماني ذا الهلال، الرمز الإسلامي، مما أثار عدداً من الناس في جدة وقتل القنصلين البريطاني والفرنسي، وسقط بعض الرعايا الأجانب، وضرب الإنجليز مدينة جدة بالمدافع، فعقد والي الحجاز مجلساً برئاسة عدد من علماء مكة المكرمة، وأصدروا بياناً شجبوا فيه قتل القنصلين البريطاني والفرنسي، وشددوا على معاقبة أصحاب الثورة والتحقيق في الموضوع، فشكلت الدولة محكمة غير شرعية لمحاكمة المتهمين، كان قوامها محققين عثمانيين وبريطانيين وفرنسيين، سمح لهم الباب العالي بإصدار الأحكام المناسبة، ولم يسمح لأحد من العلماء بحضور جلسات المحاكمة، وكانت النتيجة خيبة أمل لهؤلاء العلماء إذ صادقت المحكمة على قتل أربعة عشر شخصاً، ونفي البعض، وهدأت الفتنة، وقد وصف دحلان هذه الفتنة بأنها كانت من أعظم المصائب على أهل الإسلام[٢].

ومما سبق من الصراعات بين الأشراف على الحكم أو الفتن التي تحدث في الحجاز يتبين أن علماء مكة المكرمة كانوا قريبين من الأحداث، يتدخلون لحل النزاع، وتجنيب

---

(١) انظر: الصباغ: تحصيل المرام، ٢/ ٨٩٢؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٦٠٧؛ وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١/ ٥٤.

(٢) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ص ٥١، ٥٢، ٧٩؛ وسنان أغلو: نجد والحجاز، ص ص ٥٨-٦١؛ وآمال رمضان: الحياة العلمية، ١/ ٥٣.

البلاد الفتن، من خلال الوساطة والمناصحة، أو إصدار فتاوي مؤيدة لأحد الأطراف، ينجحون أحياناً وتستجيب الدولة لموقفهم، وأحياناً لا يستطيعون حزم الأمور.

ثانياً: علاقة علماء المقامات بالحركات الخارجية:

كان لعلماء مكة المكرمة مواقفهم من الأحداث السياسية على مستوى الدولة العثمانية أو العالم الإسلامي، سواء بالرفض والاعتراض، أم بالقبول والتأييد، ويمكننا معرفة علاقة العلماء بالحركات الخارجية من خلال الوقوف على الأحداث السياسية الآتية:

١- صراع الدولة العثمانية مع الأوروبيين والروس.

٢- النزاع بين الدولة العثمانية وإمام اليمن.

٣- علاقتهم بحزب الاتحاد والترقي.

٤- الصراع بين الأشراف والسعوديين.

١- صراع الدولة العثمانية مع الأوروبيين والروس:

والشواهد الدالة على علاقة علماء المقامات بهذه الأحداث كثيرة، منها على سبيل المثال ما يلي:

في عام (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) وعام (٩٣٩هـ/ ١٥٣٣م) وعام (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) كانت الدولة تطلب من علماء مكة المكرمة أئمة المقامات الدعاء والقنوت في الصلوات الخمس من أجل نصرة الجيوش العثمانية في حروبها مع الأوروبيين في أوروبا أو الهند[١].

وفي عام (١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م) ورد أمر سلطاني ملتمساً الدعاء من علماء مكة المكرمة بنصر المسلمين على الأوروبيين، فحضر المفتي مع جمع من العلماء والناس بعد صلاة الفجر قرب زمزم وفتحوا باب الكعبة وقرئ بصوت عال فرمان السلطان الموجه لشريف مكة المكرمة ووالي جدة وقضاة المذاهب والمفتي والعلماء أن يدعوا لهم بأن ينصر

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١/ ٢٣٧، ٢/ ٥٥٢، ٧٥٠ .

الله المسلمين على الأوروبيين الذين أغاروا على بلاد المسلمين، فرفع الجميع أيديهم بالدعاء[1].

وفي عام (١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م) وعلى إثر الحرب بين العثمانيين والروس، فتحت مراكزُ للتدريب العسكري، وشوهد علماء مكة المكرمة وطلبة العلم وبعض الأشراف والأعيان يحضرون التمرينات العسكرية ويتلقون تعاليم الجندية على أساتذتهم من الضباط الأتراك، إلا أن هذا التعليم العسكري لم يستمر إلا نحو أربعة أشهر ثم أُلغي[2].

وهذا يؤكد أهمية علماء مكة المكرمة بالنسبة للدولة العثمانية بحكم انتسابهم إلى هذا البلد المقدس، فوقف العلماء معنوياً وفعلياً مع الدولة في أغلب حروبها، إلا أن هذا الدعم والمساندة لم تستمر إلى نهاية فترة البحث.

فبعد الحرب العالمية الأولى، بيّن علماء مكة المكرمة رأيهم في الأحداث ومدى تأثيرها على بلاد الحرمين الشريفين، ففي الخطاب الذي نشروه في مجلة المنار، وجهوا انتقادهم إلى الدولة العثمانية والشريف حسين على حدٍ سواء، انتقدوا الدولة العثمانية لتقاعسها وتفريطها في حماية المقدسات الإسلامية في الحجاز، كما انتقدوا الشريف حسين في تعريضه البلاد لعدم الاستقرار، بانضمامه وتحالفه مع الإنكليز وتوقيعه المعاهدات معهم، وإثارة الصراع والعداء مع أمراء الجزيرة العربية[3]. وفي نظري أن موقف العلماء المعارض لسياسة الشريف ينذر بضعفه، وضعف موقفه في العالم الإسلامي بشكل عام، أو أمام أمراء الجزيرة العربية وخاصة الملك عبد العزيز.

---

(١) آمال رمضان: الحياة العلمية، ١/ ٥٤ .

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٦٠٨ .

(٣) مجلة المنار: م٢٥، ج١، عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م)، ص ص ٣٣-٦٢، ج١، عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ص ص ٤٢١-٤٣٢.

٢- **النزاع بين الدولة العثمانية وإمام اليمن:**

في عام (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، اشتد النزاع بين الدولة العثمانية وإمام اليمن يحيى حميد الدين[١]، ووصل الأمر بينهما إلى القتال، فأوفدت الدولة العثمانية هيئة من كبار علماء مكة لليمن للتوسط بينهما، وإزالة سوء الخلاف وإيقاف القتال، وكانت الهيئة مكونة من عبد الله بن صديق (ت: ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، مفتي الأحناف، ومحمد سعيد بابصيل (ت: ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) مفتي الشافعية، والإمام الملازم بالمقام الشافعي، ومحمد صالح كمال (ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، وجعفر لبني(ت: ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م)، إمام المقام الحنفي ، وعمر باجنيد (ت: ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) المدرس بالمسجد الحرام، وغيرهم من العلماء، وبالفعل سافر الوفد إلى اليمن، رائدهم الإصلاح وفض النزاع بين المسلمين، وتوحيد كلمتهم، وقد استقبلهم الإمام وأعيانه بكل حفاوة وترحاب وعند اجتماعهم بالإمام استمعوا لوجهة نظره تجاه الدولة العثمانية، وبين لهم أسباب الخلاف، وهي أن اليمن تريد إقامة الحدود بموجب الشريعة الإسلامية، ورفض القوانين الوضعية، فطالبوه بتوثيق ذلك خطابياً، ثم بعثوا صورة من الخطاب لأمير مكة المكرمة لرفعه إلى السلطان عبد الحميد مؤيدين وجهة نظر الإمام[٢].

٣- **علاقة العلماء بحزب الاتحاد والترقي:**

دعم بعض العلماء الأحزاب السياسية التي قامت في الدولة العثمانية خلال تلك الفترة التي كان لها مبادئ يرى العلماء أنها في صالح الأمة الإسلامية، فعلى سبيل المثال:

---

(١) هو الإمام يحيى بن مُحَّد حميد الدين، إمام اليمن، ولد عام (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)، في مدينة صنعاء، خلف أبيه في حكم اليمن عام (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)، حدثت بينه وبين العثمانيين معارك كثيرة انتهت بالصلح بينهم، واستقلاله بحكم اليمن، توفي مقتولاً عام (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م). انظر: الزركلي: الأعلام، ١٧٠/٨.

(٢) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٠٥؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٦٣٨/٢؛ وعبد الوهاب ابوسليمان: الحرم الشريف، ص ٢٤.

عندما ظهر حزب الاتحاد والترقي، في الدولة العثمانية، وأعلن الدستور عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، كان جل هم هذا الحزب أن يحصل على التأييد من فقهاء مكة وعلمائها، فكتبوا عريضة بموافقة علماء مكة على فكرتهم وحزبهم، إلا أن بعض علماء مكة المكرمة رأوا أن هذا الحزب نذير سوء فرفضوا دعمه وتأييده، ومن هؤلاء العلماء: الشيخ أحمد بن أبي بكر شطا، الذي رفض التوقيع على العريضة لعدم اقتناعه بفكرة ومبادئ الحزب، وعندما أعلنت حكومة الاتحاد والترقي، قام العالم عبد الله صدقة دحلان (ت: ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٦م) إمام المقام الشافعي، بإنشاء فرع لجمعية الاتحاد والترقي في مكة المكرمة بعد عام (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م)، ونصح شباب عصره بالالتحاق بها، ولكنه عدل عن رأيه فيما بعد، لما رآه من بعض المبادئ التي يدعو لها الاتحاديون تؤدي لتفرقة المسلمين، وسافر لإندونيسيا وأسس جمعية هناك تدعو لوحدة المسلمين، ثم عاد لمكة، ولكن نفاه الشريف حسين بن علي لمناهضته الاتحاديين، لكنه واصل دعوته وحاول تأسيس مدرسة خاصة بشباب العرب تدعو لتعاضد العرب والمسلمين جميعاً، وعندما رأى الشريف حسين خطورة ذلك أمر برجوع العالم إلى مكة والإقامة فيها[1].

٤- الصراع بين الأشراف والسعوديين:

عند اشتداد الصراع بين الأشراف حكام الحجاز والسعوديين حكام الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، كان يلاذ بالعلماء للتدخل بالوساطة أو الصلح، وكانوا في معظم الفترات يساندون الأشراف ويدعمون موقفهم لتحقيق هدف عام وهو المحافظة على استقرار أوضاع مكة المكرمة وحفظ الأمن، ويمكن أن نحصر أبرز النماذج على علاقة العلماء بهذه الأحداث فيما يأتي:

---

(١) انظر: عبد الوهاب ابو سليمان: الحرم الشريف، ص ٢٣؛ وفاطمة الشهري: الحياة العلمية، ص ٢٧٩.

في فترة حكم الشريف غالب بن مساعد احتدم الصراع بينه وبين حكام الدولة السعودية الأولى[1] الذين كثر مؤيدوهم وتوسعت ممتلكاتهم بالتوجه غرباً نحو الحجاز، وكانت ظروف الدولة العثمانية وحروبها في أوروبا لم تترك لها مجالاً في النظر في شؤون الحجاز، وقد لجأ الشريف غالب إلى علماء مكة المكرمة لدعم موقفه.

ففي عام (١٢١١هـ/ ١٧٩٥م)، طلب الشريف غالب من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود[2] أن يبعث إليه عالماً من علمائه ، ليناظر علماء الحرم الشريف في شيء من أمور الدين، فبعث إليه الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان الحنبلي في ركب، فلما وصلوا إلى مكة المكرمة جمع لهم علماء الحرم الشريف، وأئمة المذاهب الأربعة خلا الحنبلي وفي مقدمتهم العالم عبد الملك القلعي (ت: ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، فوقعت مناظرة عظيمة أقر فيها علماء الحرم الشريف لعلماء الدعوة السلفية في المسائل التي تناظروا فيها باتباع الكتاب والسنة، فالدعوة لا تناقض المِلَّة، وإنما كان اعتراضهم على استعمال السعوديين للقوة في إزالة البدع والقباب من على القبور، وهكذا كان الغرض الحقيقي للمناظرة هو إثبات بطلان محاربة أمير مكة[3].

وفي عام (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) تقدم علماء مكة المكرمة بإيعاز من شريف مكة بعريضة إلى الصدر الأعظم يوسف باشا من أجل تقريب وجهات النظر بين الشريف غالب والإمام عبد العزيز بن سعود، وكان من ضمن هؤلاء العلماء أئمة المقامات العالم حمزة بن عبد الرحمن مرداد (كان حياً عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)، وحسين بن علي مفتي

---

(١) وقع أكثر من (٥٠) صداماً بين قوات الشريف غالب بن مساعد وقوات الدولة السعودية الأولى، خلال (١٥) عاماً، بين عام (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) وعام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) . انظر: إسماعيل جارشلي: أشراف مكة، ص١٩٦ .

(٢) الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى، كانت عاصمته الدرعية، وُلِّي بعد وفاة أبيه عام (١١٧٩هـ/ ١٧٦٤م)، توسعت الدولة في أيامه، وقد أغتيل عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢٧.

(٣) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٧٧ .

المالكية (ت:١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، وعبد الملك القلعي (ت: ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، وعبد الحفيظ بن درويش العجيمي (ت: ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م)، وعبد الله بن عبد الرحمن مرداد (ت: ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م)، وغيرهم من العلماء[١]، وفي هذا دعم لموقف الشريف غالب ومساندته في هذا الصراع.

وفي عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، حين خضع أمير مكة المكرمة الشريف عبد المعين[٢] للصلح مع الأمير سعود بن عبد العزيز[٣]. أرسل كتاباً إلى الأمير سعود يعرض عليه أن يستبقيه في إمارة مكة المكرمة، شفع ذلك بندب بعض العلماء، منهم عبد الحفيظ العجيمي، ومحمد المرغني، فاجتمعوا بالأمير سعود في وادي السيل بين الطائف ومكة المكرمة، فقبل منهم وأعطاهم كتاباً بالأمان وموافقته على بقاء عبد المعين على ولاية مكة المكرمة، وعندما عاد وفد العلماء، صعد مفتي المالكية الشيخ حسين المنبر وقرأ كتاب الأمان على ملأ من الناس[٤].

وعند توجيه الدولة العثمانية لحملة محمد علي باشا لإعادة بسط نفوذها على الحجاز من السعوديين، قامت الدولة بما يضمن نجاح هذه الحملة، فمنحت عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) الاستقلال الكامل والصلاحية لمحمد علي باشا في الحجاز وكذلك صلاحية المراسلات مع كبار المسؤولين في الحجاز، مع شريف مكة المكرمة غالب بن مساعد، ومفتي المذاهب الأربعة، والعلماء والسادات[٥].

---

(١) دارة الملك عبد العزيز: الوثائق العثمانية، وثيقة رقم (٢٥٠) .

(٢) الشريف عبد المعين بن مساعد، تولى إمارة مكة لبضعة أيام بعد وفاة أخيه الشريف سرور، ثم وكيلاً لأخيه الشريف غالب، وفي عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) دخل الأمير سعود مكة المكرمة وأبقى عبد المعين على الإمارة في مكة . انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٣٧.

(٣) الأمير سعود بن عبد العزيز، سبقت الترجمة له في الفصل الأول، ص (٥٢).

(٤) السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٥٦٢.

(٥) عبد العزيز بن إبراهيم: من وثائق الأرشيف المصري، ص ٢٦ .

وهذا يدل على المكانة المرموقة للعلماء والحرص على ضمان موقفهم عند اشتداد الأزمات.

لم يكتف العلماء بذلك، بل كانوا يتابعون عن كثب هذا الصراع ويتفاعلون مع الأحداث، ففي نهاية محرم عام (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م)، أرسل علماء الحرم الشريف محضراً لمحمد علي باشا فيه التأييد والشكر من الجميع على استعادة الحملة لمكة المكرمة والطائف، وقد ضم هذا المحضر أسماء وخاتم (٢٩) عالماً من علماء مكة المكرمة، من المفاتي والخطباء، والأئمة والمدرسين، والعلماء، والصلحاء[١].

ويتضح من هذه الوثيقة أن علماء مكة المكرمة، أبدوا تعاطفهم مع حملة محمد علي.

وفي آخر فترة البحث، وخلال النزاع بين الشريف الحسين بن علي والملك عبد العزيز حرص كل طرف على تأييد علماء مكة المكرمة لموقفه، وكان دور العلماء بارزاً في هذه الأحداث، نستطيع أن نرصده من خلال الشواهد الآتية:

١- كان العلماء في مقدمة أهالي الحجاز في المطالبة باستقرار البلاد وحفظ الأمن وتوفير سُبل المعيشة، يراسلون الشريف حسين والشريف علي بن الحسين، والملك عبد العزيز، لتجنيب البلاد آثار الحرب، فعلى سبيل المثال: الكتاب الذي أرسله أهالي مكة وفي مقدمتهم العلماء، في ٢٠ جمادى الأولى عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) إلى الملك عبد العزيز والشريف علي لتيسير وصول الأقوات من ميناء جدة[٢].

٢- عمل علماء مكة المكرمة على تقريب وجهات النظر بينهم وبين علماء نجد، مما دفع بعض الشائعات عن الدعوة السلفية، واتضحت وحدة العقيدة بين جميع الأطراف، وعقد لذلك مناظرات ومراسلات عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) تناقشوا

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن: من وثائق الدولة السعودية الأولى، وثيقة رقم (٤)، ٢/ ٢١ .

(٢) انظر: جريدة أم القرى: ع(٢)، عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ص ٢؛ وغازي: إفادة الأنام، ٤/ ٦٧١-٦٧٧.

في مسائل أصولية، انتهت باتفاقهم، وأصدر علماء مكة المكرمة بياناً بذلك، ونشر هذا البيان في جريدة أم القرى[1]، وفيه دلالة على تقارب في وجهات النظر بين علماء مكة المكرمة، والملك عبد العزيز، وتمهيداً لمزيد من التقارب والتواصل.

٣- وعلى النقيض من ذلك، لم يحظ الشريف حسين والشريف علي بن الحسين بتأييد العلماء، فنجد العلماء في كتابهم للشريف علي بتاريخ ١٨ جمادى الأولى عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) ينتقدون تقصيره ووالده في الدفاع عن الحرم الشريف والأهالي، وتركهم في مواجهة الملك عبد العزيز وجنده الذي قام بالواجب وحفظ حقوقهم حرمة لبيت الله[2]، ومن المعلوم أن القوات السعودية عندما دخلت مكة كانت بملابس الإحرام ولم تسفك الدماء في الحرم أو مكة.

٤- وكان الملك عبد العزيز يراسل علماء مكة المكرمة، ويظهر احترامه لهم، ويطلعهم على هدفه من القدوم للحجاز، ويستشيرهم في الأحداث؛ وفي المقابل وجد العلماء في الملك عبد العزيز الشخصية القوية القادرة على تحقيق الأمن واستقرار الأوضاع، فأظهروا تأييدهم له وسرورهم بقدومه إلى مكة المكرمة، ففي رسالة للشيخ عبد القادر الشيبي (ت: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) إمام المقام الحنفي، في ٢٦ ربيع الآخر عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، أرسلها عن عموم أهالي مكة المكرمة للملك عبد العزيز، تضمنت عبارات الاحترام، ومن قوله: "فإنا رافعون أكف الابتهال إلى الله ذي الجلال أن يمن علينا بسرعة قدومكم إلى البلدة المشرفة، فإن الشدة زادت لتعدي المغتصبين بجدة"[3].

---

(١) انظر: جريدة أم القرى: ع (١)، عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ص ٤؛ مجلة المنار: م (٢٦)، ج (٣)، عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ص ٢٣٤؛ غازي: إفادة الأنام، ٤/ ٦٣٨-٦٤٢، ٦٦٨-٦٧٠؛ محمد بن عمر بازمول: مكة في حياة العلم والعلماء، ص ص ٤٣-٥٧ .

(٢) انظر: جريدة أم القرى: ع (٢)، عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ص ٢ .

(٣) انظر: غازي: إفادة الأنام ، ٤ / ٦٤٤ — ٦٤٨ ، ٦٧١ .

ومما سبق ذكره في هذا الفصل يتضح المشاركة الفاعلة لعلماء مكة المكرمة في الشؤون السياسية ودورهم الواضح في تهدئة الأوضاع السياسية والحرص على أمن المجتمع المكي وتقديم النصح والإرشاد للحكام قاصدين توحيد كلمة المسلمين وعدم التفرقة، وقد أسهم كثير من الأشراف في دعم العلماء وتقريبهم لهم وتكريمهم وخلع الوظائف عليهم، وفي فترات قليلة عانى بعض العلماء من ظلم الأشراف واضطهادهم لهم حتى أن البعض منهم غادر أو اختفى من مكة أو لزم الحذر وعدم القرب من السلطات الحاكمة.

الفصل الخامس

المقامات في العهد السعودي

المبحث الأول : علاقة المقامات بالحكام السعوديين.

المبحث الثاني : إلغاء المقامات وتوحيد المصلين خلف إمام واحد.

المبحث الأول

علاقة المقامات بالحكام السعوديين

الأسس العقدية التي قام عليها الحكم السعودي :

قبل الحديث عن المقامات في العهد السعودي وعلاقتها بالحكام السعوديين، من المناسب التعرض للمبادئ التي قامت عليها الدولة السعودية الأولى .

تتفق المصادر على أن قيام الدولة السعودية الأولى والمبادئ التي قامت عليها يرتبط ارتباطاً قوياً باتفاق الدرعية[١] الذي حدث عام (١١٥٧هـ / ١٧٤٤م)، بين الإمام محمد بن سعود، إمام الدرعية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفيه فتح الله صدر الإمام للدعوة السلفية التي يدعو لها الشيخ، فاستقبله ورحَّب به، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة " لا إله إلا الله "، من تمسك بها، وعمل بها، ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم[٢].

فلما تفهَّم الإمام محمد بن سعود معرفة التوحيد، قال له: (ياشيخ، إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به). ثم اشترط على الشيخ أمرين:

الأول: ألا يرجع الشيخ إلى بلده، ويترك الدرعية، بعد أن يظهر الله الأمر، فوعده الشيخ بالوفاء به، وقال: (ابسط يدك، الدم بالدم، والهدم بالهدم).

الثاني: أن يتركه الشيخ محمد وما يأخذه من الرعية، من ضرائب، فأجابه الشيخ بأن سيعوضه الله عنه[٣]. فبسط محمد بن سعود يده، وبايع الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤].

---

(١) سبقت الإشارة لاتفاق الدرعية في الفصل الرابع.

(٢) ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٣٥؛ وعبدالفتاح أبوعليه: محاضرات، ص ١٣.

(٣) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٣٥؛ وعبدالفتاح أبوعليه: محاضرات، ص ١٣.

(٤) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٣٥.

وهكذا قام اتفاق الدرعية على أساس ديني ثابت، إذ قامت الدعوة السلفية على مذهب أهل السنة والجماعة، تحمل أهدافاً ومبادئ أساسية منها:

١- الدعوة إلى تحقيق كلمة الإخلاص لله سبحانه، وإفراده بالعبادة، فلا شريك ولا معين له.

٢- إزالة البدع والضلالات المنافية للدين.

٣- الدعوة لدين الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- هدم القباب والبنايات المقامة على القبور، ونبذ التبرك بها والصالحين.

٦- إزالة الضرائب عن الناس، والاستعاضة عنها بجباية الزكاة الشرعية.

وبهذا الاتفاق تم تشكيل الدولة السعودية الأولى، وأصبحت الدرعية القاعدة الدينية والسياسية الأولى للدولة، ونشطت الدعوة منذ ذلك اليوم، وأصبح على الدولة الجديدة واجب كبير وهو نشر الدعوة في نجد أولاً، ثم في شبة الجزيرة العربية ثانياً، ثم خارج الجزيرة العربية ثالثاً . فمن الدرعية بدأت تخرج الحملات العسكرية السلفية ضد من أعلنوا عداءهم للدعوة والدولة[1]، وكانت النتيجة توحيد نجد، ثم انتشار الدعوة السلفية واتساع الدولة السعودية الأولى في مناطق خارج نجد، في الأحساء والخليج العربي والحجاز .

وخلال توجه السعوديين للحجاز والمدة التي بقيت فيها مكة المكرمة تابعة للدولة السعودية الأولى، نستطيع أن نناقش موضوع المقامات في العهد السعودي، من خلال دراسة علاقة المقامات بالحكام السعوديين.

وعند الحديث عن علاقة المقامات بالحكام السعوديين، فإنه لابد من الإشارة إلى أن العلاقة بينهما لم تظهر واضحة جلية إلا في بداية القرن الثالث عشر الهجري عندما بدأ

---

(١) انظر: عبدالفتاح أبوعليه: محاضرات، ص ١٥.

السعوديون ضم مناطق جديدة لدولتهم خارج نجد، وتوجههم للحجاز، وبداية الاحتكاك مع الأشراف، ثم ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، واستمرت هذه العلاقة حتى خروج السعوديين من الحجاز عام (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)، وكانت هذه العلاقة في فترة حاكمين من حكام الدولة السعودية الأولى، هما: الإمام عبدالعزيز بن محمد (استشهد: ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، وابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز (ت: ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م)، إلا أن الإمام سعود كان المتولي للأمور في هذه المدة عندما كان ولياً للعهد من عام (١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م)، ثم إماماً بعد أبيه من عام (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م).

ولأن الدولة السعودية الثانية لم يصل نفوذها إلى الحجاز، ولم تذكر المصادر التاريخية أية علاقة للمقامات بالحكام السعوديين خلال هذه الفترة، فسوف أجعل الكلام في هذا المبحث محصوراً على الدولة السعودية الأولى، مع تأجيل الحديث عن الدولة السعودية المعاصرة إلى المبحث التالي، مبحث إلغاء المقامات وتوحيد المصلين خلف إمام واحد، ليتم التركيز على جهود الملك عبدالعزيز التي بذلها تجاه إلغاء المقامات.

ومن هنا نستطيع القول بأن علاقة المقامات بحكام الدولة السعودية الأولى كانت على جانبين:

الأول: علاقة علماء المقامات بحكام الدولة السعودية الأولى .

الثاني: علاقة المقامات بحكام الدولة السعودية الأولى .

المطلب الأول: علاقة علماء المقامات بحكام الدولة السعودية الأولى:

وقد تنوعت هذه العلاقة، ويمكن معرفة أبرزها من خلال مناقشة مكانة العلماء عند حكام الدولة السعودية الأولى، وتتضح هذه المكانة من خلال الأمور الآتية:

١- **تقدير العلماء**: كانت جهود العلماء محل تقدير من حكام الدولة السعودية الأولى، ويمكننا ذكر شواهد عديدة أثناء دور العلماء في الصراع بين الأشراف والسعوديين السالف الذكر، فقد حرص الحكام السعوديين على أخذ رأي العلماء، وقبول وساطتهم(١).

٢- **إكرام العلماء**: وجد علماء مكة المكرمة التكريم من الحكام السعوديين، فقد كانوا يبذلون من الصدقات العينية والنقدية الشيء الكثير، في السنوات التي خضعت فيها مكة المكرمة للحكم السعودي، سواء لأهالي مكة عامة أو للعلماء بوجه خاص، فقد عرف عن الإمام عبدالعزيز بن محمد وابنه الإمام سعود كثرة عطائهم وصدقاتهم التي كانت ترسل لكل بلد وتفرق على الضعفاء وأئمة المساجد والمؤذنين وطلبة العلم ومعلمي القرآن الكريم(٢).

وفي جميع الحجج – تسع حجج – التي حجها الإمام سعود بذل لأهالي مكة المكرمة شيئاً كثيراً من الصدقات والعطاء(٣)، خاصة أن الصرة العثمانية قد توقفت بتوقف المحامل الشامية والمصرية.

٣- **تقريب العلماء**: كان الإمام سعود بن عبدالعزيز يحب العلماء ويعظمهم ويحفظ مكانتهم، ومن نماذج ذلك:

في اليوم الثاني من دخول الإمام سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة، ٨ محرم عام (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م)، خطب خطبته الأولى، فجمع الناس في الحرم وصعد على الصفا وأخذ مفتي مكة الشيخ عبدالملك القلعي (ت: ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) عن يمينه، وقاضي مكة عن شماله، وبعد أن أتم خطبته تقدم الحاضرين منهم الشريف عبدالمعين بن

---

(١) انظر: دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٧٧؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٥٦٢.

(٢) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٨٦.

(٣) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١/٢١٦، ٢٢٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٨٦.

مساعد والمفتي وبقية الناس فبايعوه؛ ثم عين الشيخ عبدالملك القلعي إماماً وخطيباً ليوم الجمعة[1].

وفي عام (١٢٢١هـ / ١٨٠٧م) ولِّي أمر القضاء في مكة المكرمة[2] الشيخ عبدالحفيظ العجيمي (ت: ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م)، إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام، بعد رفض الإمام سعود للقضاة الأتراك[3].

المطلب الثاني: علاقة المقامات بحكام الدولة السعودية الأولى:

كيف تعامل الإمام سعود بن عبدالعزيز مع مظاهر البدع والشركيات في مكة المكرمة ؟

وكيف جمع المصلين في الحرم الشريف على إمام واحد؟

وما هو موقفه من مقام إبراهيم عليه السلام، والمقامات الأربعة في المسجد الحرام؟

بذل الإمام سعود جهوداً عظيمة ومتنوعة في هذه المجالات، من نصيحة ومراسلات وإزالة للبدع، يمكن توضيحها من خلال التعرض للأمور الأتية:

١- في حج عام (١٢١٧هـ / ١٨٠٢م) عسكر الإمام سعود بجيشه خارج مكة المكرمة إلى أن قضى الحجاج مناسكهم، وقد نقلت بعض الوثائق العثمانية بعض الإشاعات التي كانت منتشرة بين أهالي مكة المكرمة والحجاج في هذا الموسم، منها ما نقله الحجاج المصريون بأن القوات السعودية دخلوا مكة وهدموا المقامات الأربعة ومقام إبراهيم وغيرها من الأماكن[4]. ورغم أن هذه الإشاعات غير مؤكدة، ولم تثبت، إلا أنها تحمل مبالغة في أعمال السعوديين، وتعكس مدى

---

(١) انظر: مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة، ص ٣٧.

(٢) وفي المدينة المنورة كذلك ولّي القضاء أحد علمائها.

(٣) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٦٩.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز: مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢٣٦.

القلق والخوف من مقدمهم، كما يتضح منها هدفهم وهو إزالة البدع والشركيات وتوحيد المصلين خلف إمام واحد .

٢- الخطوات الإصلاحية الأولى في مكة المكرمة :

دخل الإمام سعود مكة المكرمة يوم السبت ٨ محرم (١٢١٨هـ /١٨٠٣م)، وأعطى أهلها الأمان، وفي اليوم التالي دعا الناس الى الاجتماع في المسجد الحرام، وألقى خطاباً طويلاً وضَّح فيه مبادئ الدعوة السلفية، ودعا الناس إلى هدم القباب المقامة على بعض المقابر فهدمت[١].

وفي هذا الاجتماع يتضح البدء والمبادرة في تحقيق جوانب مهمة من مبادئ الدعوة السلفية، كان لها الأولوية في الإصلاح، ومنها:

أ- توضيح عقيدة التوحيد، بدعوة الأهالي إلى اتباع القرآن والسنة، ونبذ الأعمال التي تتعارض مع الدين الإسلامي.

ب- البدء في إزالة القباب ومظاهر الأمور الشركية في مكة المكرمة. يقول ابن بشر: (فلما فرغ سعود من الطواف والسعي، فرق أهل النواحي يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية)[٢]، وكانت هذه المظاهر الشركية كثيرة في مكة المكرمة، يقول ابن بشر: (وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير، في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها)[٣]، واستمروا في هدم القباب تقرباً إلى الله عز وجل حتى أزالوها، يقول ابن بشر: (ولبثوا في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون،

---

(١) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٢٠؛ وعبدالفتاح أبوعلية: محاضرات، ص ٥٥؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٦٣.

(٢) ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٢٠.

(٣) ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٢٠.

يباكرون إلى هدمها كل يوم، وللواحد الأحد يتقربون، حتى لم يبق في مكة شيءٌ من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها، وجعلوها تراباً)[1].

٣ – وفي الاجتماع نفسه أبطل الإمام سعود بدعة تعدد الجماعات في المسجد، فأمر ألا يصلي في المسجد الحرام إلا إمام واحد، بعد أن كانت العادة أن يصلي أحد الأئمة من المذاهب الأربعة ثم يتلوه غيره[2]، وهذه خطوة مهمة في توحيد المسلمين بدءاً بتوحيدهم في الصلاة في المسجد الحرام.

وقد اتخذ الإمام سعود عدة خطوات، تدرج فيها لإصلاح هذا الجانب المتعلق بالعبادة، ومنها:

أ – الدعوة إلى إقامة الصلاة، والمحافظة عليها :

دعا الإمام سعود إلى إقامة الصلاة، مستشعراً لمسؤوليته أمام الله عز وجل، لذلك نجده دائماً حريصاً على تنبيه من تحت يده على أدائها، محذراً لهم من مغبة تركها، أو الإساءة والتهاون بها، أو التخلف عن أدائها جماعة، يقول في ذلك مخاطباً رعيته: (...وأنتم هؤلاء ترون ما وقع من الناس من الخلل في الصلاة، من التخلف عن صلاة الجماعة ...)[3].

ويؤكد في موطن آخر على أهمية هذه الفريضة، ويبين أنها أعظم فريضة بعد التوحيد، وينبه إلى شروطها، وسننها، وواجباتها[4].

ب – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لم يكتف الإمام سعود بتلك النصائح لرعيته بالمحافظة على الصلاة وحسن أدائها، بل جعل للأمر بها والحث عليها أناساً معينين يجولون بعد الأذان في الأسواق، يذكّرون الناس، ويأمرونهم بأداء الصلاة . يقول ابن بشر في حادثة عام (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٩م):

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٢٠.

(٢) انظر: السباعي: تاريخ مكة، ٢/ ٥٦٣.

(٣) محمد بن عبدالرحمن التركي: الإمام سعود بن عبدالعزيز، ص ٩٦.

(٤) محمد بن عبدالرحمن التركي: الإمام سعود بن عبدالعزيز، ص ٩٧.

(وأمر سعود أن يجعل في أسواقها – أي مكة – من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت، فكان إذا أذن دار الرجال في الأسواق – ينادون – الصلاة الصلاة)[1].

وقال في حادثة عام (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م):

(... وجعل في الأسواق رجالاً وقت الصلاة يحضونهم عليها، فلا تجد فيها – وقت الصلاة – متخلفاً إلا نادراً)[2].

ج – توحيد الإمامة في المسجد الحرام:

أجرى الإمام سعود في مكة المكرمة تنظيمات وإصلاحات لتوحيد الإمامة، عندما قام بجمع الناس على إمام واحد، بعد أن كان أصحاب كل مذهب من المذاهب الأربعة يصلون خلف إمام مذهبهم، في محرابه الخاص، منذ قرون مضت، فأمر بإبطال هذه البدعة، وتقرر أن يؤم الناس في صلاة الفجر إمام الشافعية، وفي الظهر إمام المالكية، وفي العصر إمام الحنابلة، والمغرب إمام الأحناف، وكانت العشاء لجميعهم[3].

ويؤكد الرحالة الإسباني دومنقو باديا في رحلته إلى مكة المكرمة عام (١٢٢١هـ / ١٨٠٧م)، على توحيد الإمامة في المسجد الحرام، أثناء زيارته لمكة المكرمة في موسم الحج لهذا العام، إلا أنه يذكر ترتيباً مختلفاً للأئمة، فيقول: (ويؤم الإمام الحنبلي صلاة الصبح، أما صلاة الظهر والعصر فالإمام الحنفي، وصلاة المغرب يؤمها الإمام الشافعي، بينما صلاة العشاء يصليها الإمام المالكي)[4].

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٢٤٨.

(٢) ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٢٦٢.

(٣) انظر: البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ١٤٨؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٦٣؛ وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ١ / ١٧٨.

(٤) صالح السنيدي: رحالة إسباني، ص ٢٠٣.

٤ – رسالة الإمام سعود إلى السلطان سليم الثالث:

أرسل الإمام سعود إلى السلطان سليم الثالث، يوضح له ما فعله من هدم القباب حول الحرم الشريف، وإلغاء الضرائب، وتثبيت القاضي، ويطلب من السلطان سليم الثالث منع والي دمشق ووالي القاهرة من القدوم بالمحمل لما فيه من أمور منافية للدين[1].

٥ – المقامات في الدولة السعودية الأولى:

أ – إبقاء مباني مقام إبراهيم عليه السلام والمقامات الأربعة على حالها .

ففي عام (١٢٢١هـ / ١٨٠٧م) يصف الرحالة الإسباني دومنقو باديا صحن الحرم، فيذكر بئر زمزم، ومقام إبراهيم عليه السلام، والمقامات الأربعة[2].

وفي موضع آخر يذكر باديا أن هدم القباب وإزالة المظاهر الشركية كان خارج الحرم، أما داخل الحرم فقد احتفظ به سليماً[3].

ب – في حج عام (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م)، كشف الإمام سعود القبة التي فوق صخرة مقام إبراهيم عليه السلام، وصارت الصخرة والقدمان الشريفان بارزتين، ورآها الناس[4]، وهو إجراء إصلاحي لكي يطّلع الناس على حقيقة مقام إبراهيم عليه السلام.

٦ – أخذ العهد على الشريف غالب بالالتزام بمبادئ الدعوة السلفية:

بعد عودة الإمام سعود إلى الدرعية عام (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م)، عاد الشريف غالب فدخل مكة دون معارضة أخيه الشريف عبدالمعين، ثم حاصر الطائف، وأثناء ذلك استشهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، وتعيَّن ابنه سعود إماماً للدولة السعودية الأولى، الذي أمر قواته بمتابعة حصار الشريف غالب في مكة المكرمة حتى اضطر

---

(١) جامعة الإمام محمد بن سعود: قسم المخطوطات، مخطوطة رقم ٨٧٣٦/ ٥، ١١٩ – ١٢٠ ل.

(٢) صالح السنيدي: رحالة إسباني، ص ١٧٩.

(٣) صالح السنيدي: رحالة إسباني، ص ٢٩٢.

(٤) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٢٦٢ ؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٧٠.

لطلب الصلح، وأخذ الإمام سعود العهد والعزم على الشريف غالب في وسط الكعبة المشرفة عام (١٢٢١هـ / ١٨٠٧م)، ومما جاء في الشروط ما يلي:

(... وأُمر بمنع المنكرات والتجاهر بها، وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى، وبين الصفا والمروة، والملازمة على الصلوات في الجماعة، ودفع الزكاة، وترك لبس الحرير والمقصبات، وإبطال المكوس والمظالم ...)[1].

واستقر الأمر في مكة المكرمة، وشرع الشريف غالب يُرتب أموره في مكة المكرمة وفي مدن الحجاز على الوضع الجديد، وقد ظل الحكم السعودي لمكة المكرمة سبع سنين، انتشرت فيها مبادئ الدعوة السلفية، فمنع شرب الدخان والتنباك فلا تجد في الأسواق من يشرب الدخان ولا غيره إلا نادراً، وأُمر الناس أن يبادروا إلى صلاة الجماعة في المساجد، وفشا فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

٧ - صدى إصلاحات الإمام سعود بن عبدالعزيز:

ما قام به الإمام سعود بن عبدالعزيز من محاربة البدع وتوحيد الصلاة في الحرم الشريف خلف إمام واحد، قد نال إعجاب بعض المعاصرين له وتقديرهم، ونكتفي بذكر مثالين كشواهد على ذلك :

الأول: الشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفظي[3] (ت: ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م)، الذي بعث قصيدة طويلة لذلك الإمام مهنئاً له بالنصر ومباركاً تلك الإصلاحات :

---

(١) انظر: محمد التركي: الإمام سعود بن عبدالعزيز، ص ٩٠؛ ويوسف الثقفي: نشأة الدولة السعودية: التطور التاريخي (بحوث ندوة المملكة العربية السعودية في مائة عام)، ٢ / ٣٩٨.

(٢) انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ١/ ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٦٨؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٥٦٧.

(٣) الشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفظي الشافعي ولد عام (١١٤٥هـ / ١٧٣١م)، مؤرخ أديب من أهل عسير، استوطن بلدة ((رجال ألمع))، توطدت علاقته برجال الدعوة السلفية، وأصبح قاضياً لمنطقته من الإمام عبدالعزيز بن محمد، توفي عام (١٢٣٣هـ / ١٨١٨م).
انظر: الزركلي: الأعلام، ١٥٤/١؛ ويحيى بن عبدالله المعلمي: رسالة من الإمام عبدالعزيز، ص ١١٩ — ١٢٤.

وياسعد من أضحى سعودٌ إمامَهُ وذلك ظِلُ الله في الأرض ساريا

وطهرت بيت الله من كل مشـركٍ وللكعبة البيت المحـــرم كاسيا

وصلى الصلاة الخمس جمعاً بواحدٍ وأصبح شيطانُ التفرق خاسيا[1].

الثاني: السلطان سليمان بن محمد[2](ت: ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م)، سلطان المغرب، الذي بعث برسالة جوابية إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز، مع ابنه إبراهيم حين سفره إلى الحجاز لأداء مناسك الحج عام (١٢٢٦هـ / ١٨١١م)، وكان السلطان سليمان لما اطلع على رسالة الإمام سعود بادر إلى عرض الموضوع على العلماء لإبداء الرأي، فردوا عليها برسالتين نظماً ونثراً، بعثهما السلطان إلى الإمام سعود، ويتضح فيها تعاطف السلطان مع أفكار الإمام سعود وتأييده لأعماله، ومما جاء في الرسالة: (لقد سرنا ما بلغنا عنكم من سيرتكم وشيمكم وأحوالكم، من الزهد في الدنيا، وإحياء رسوم الدين،...، والحث على إخلاص التوحيد لرب العالمين، وقطع البدع والضلالات...)[3].

ويتضح مما سبق أن دخول مكة المكرمة في طاعة الدولة السعودية الأولى قد أدى إلى تطبيق مبادئ الدعوة إلى الله عملياً حيث انتشر نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أسواق مكة المكرمة، ووجه الناس نحو المحافظة على الصلوات الخمس في المساجد، وأزيلت مظاهر البدع والقباب المقامة على بعض القبور حول الحرم الشريف، ووحدت الصلاة في المسجد الحرام في جماعة واحدة.

---

(١) يحيى بن عبدالله المعلمي: رسالة من الإمام عبدالعزيز، ص ١٠٩ – ١١٠؛ وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ١ / ١٧٨.

(٢) السلطان سليمان بن محمد، من السلاطين في مراكش، ولد عام (١١٨٠هـ / ١٧٦٦م)، وتوفي عام (١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م) . انظر: الزركلي: الأعلام، ٣ / ١٣٣.

(٣) انظر: عبدالهادي التازي: رحلة الرحلات، ٢ / ٤٤٥ – ٤٥١ ؛ وعبدالوهاب بنمنصور: صدى الحركة الإصلاحية السعودية في المغرب (بحوث ندوة المملكة العربية السعودية في مائة عام)، ٢ / ٣٦٨.

المبحث الثاني

إلغاء المقامات وتوحيد المصلين خلف إمام واحد

تأتي المملكة العربية السعودية (المعاصرة) استمراراً للاتجاه الذي قامت عليه الدولة السعودية الأولى والثانية، فقد أخذت على عاتقها منذ إنشائها تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع شؤون الحياة عامة، وقد تعزز هذا المبدأ بوجود الملك عبدالعزيز -رحمه الله- على رأس هذه الدولة، وما يملكه من سمات شخصية وقيادية مكّنته من إجراء الإصلاحات في الدولة عامة وفي الحجاز خاصة، وهي سمات عديدة لا يتسع المقام للتوسع فيها، ولكن من أبرزها وأكثرها أثراً؛ اعتزازه بالدين الإسلامي، وتمسكه بعقيدة التوحيد، واحترامه للعلماء وتقريبهم والأخذ برأيهم وتقديمهم في أي عمل إصلاحي، وبعده عن التعصب المذهبي، وبعد النظر، والحكمة والحزم في معالجة الأمور، هذه الصفات وغيرها نجدها بارزة ومؤثرة في إدارة الملك عبدالعزيز للإصلاحات في مكة المكرمة.

المطلب الأول: الإصلاحات في مكة المكرمة قبل دخول الملك عبدالعزيز:

كان دخول القوات السعودية إلى مكة المكرمة في ١٧ ربيع الأول عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ونادوا فيها بالأمان، وتولى شؤون الحكم في مكة على أثر دخولها الشريف خالد بن لؤي[١] أحد قادة الجيش السعودي، وكان ملازماً له الشيخ عبدالرحمن بن داود[٢]، حيث كان كل واحد منهما مكملاً للآخر، أحدهما عسكري، والآخر شرعي.

---

(١) الشريف خالد بن منصور بن لؤي، من بني عمومة الشريف الحسين بن علي، كانت له ولأسلافه إمارة الخرمة، انضم إلى الملك عبدالعزيز فوجه له الشريف الحسين عدة حملات عسكرية ظفر فيها خالد، كان آخرها معركة تربة عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م) سانده فيها الملك عبدالعزيز، فاشتد النزاع بين الشريف الحسين والملك عبدالعزيز، وزحف خالد على رأس الجيش السعودي عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ودخلوا الطائف ثم مكة المكرمة، وتولى الإشراف على إدارة الأعمال فيها، إلى أن وصل الملك عبدالعزيز، توفي عام (١٣٥١هـ / ١٩٣٣م). انظر: الزركلي: الأعلام، ٢ / ٢٩٩.

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن حمد بن داود (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م - ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، ولد في الرياض، عينه الملك عبدالعزيز قاضياً ومعلماً في الخرمة، شهد معارك ضم الحجاز، ثم رافق الجيش إلى مكة، ثم إلى جدة، ثم غزوة تهامة، ثم عاد إلى الخرمة وأقام بها حتى توفي. انظر: منى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٦٤.

فلم يكن ابن لؤي يصدر أمراً خاصة ما يتعلق بالصلاة أو البدع أو التدخين أو غيرها إلا بعد استشارة ابن داود . وقد استمرت هذه الفترة حتى دخول الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة في ٧ جمادى الأولى عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)[1]. ومن أبرز الإصلاحات فيها ما يأتي:

- في شهر ربيع الأول من عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) كان أول أعمال الشيخ ابن داود في مكة المكرمة أن أرسل كتاباً (نصيحة) إلى علماء مكة المكرمة، بيَّن لهم فيه مبادئ العقيدة الإسلامية الصحيحة، ونهاهم عن البدع والشركيات التي كانت منتشرة في الحجاز في ذلك الوقت. وبعد أن اطلع على ذلك الكتاب الوافي علماء مكة أعلنوا موافقتهم الصريحة على جميع ما فيه بتاريخ يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) . وكانوا أكثر من عشرين عالماً[2]. ويتبين من هذا الإجراء الحرص على إعطاء العلماء الأولوية في أي عمل إصلاحي، وتفعيل دورهم، وهو من المبادئ المهمة عند الملك عبدالعزيز.
- في اليوم السادس عشر من ربيع الأول – قبل دخول الجيش السعودي بيوم واحد – دخلت خيالة من الإخوان[3] في مكة محرمين، فطافوا وسعوا، وبعد صلاة العصر طلع رجل منهم على المنبر، ونادى بالأمان لأهل مكة، واستمرار الأئمة في المقامات يصلون على وضعهم السابق «...، والأئمة الذين كانوا يصلّون في الحرم

---

(١) انظر: منى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٦٧.

(٢) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦٣٨ – ٦٤٤؛ ومنى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٦٧.

(٣) الإخوان: هم أبناء القبائل الذين استقروا في "الهجر"، تاركين حياة الترحال، وأصبح أولئك يتخذون لقب "الإخوان"، إشارة إلى أن ما أصبح يربط بينهم ليس رباط القبيلة، بل رباط الأخوة الدينية المقتبس من قول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣]. انظر: عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ٢ / ١٦٣.

يصلّون على ما هم عليه،...»[1]. ويتبين من ذلك حرص جيش الملك عبدالعزيز على بث الطمأنينة في نفوس أهل مكة المكرمة، خاصة جانب الأمن واستقراره، وجانب محاربة البدع وأعظمها تعدد الأئمة.

- في ليلة السابع عشر من ربيع الأول دخلت الجيوش السعودية إلى مكة المكرمة ومعهم الأُسرى الذين كانوا في الطائف؛ الشيخ عبدالقادر الشيبي (ت: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، الإمام الملازم بالمقام الشافعي، وغيره من الأسرى، وبعد وصولهم مكة أطلقوهم وعفوا عنهم، وبعد صلاة الصبح جاء الشيخ عبدالقادر الشيبي وطاف، وبعد فراغه وقف في المقام الحنبلي وقرأ منشوراً من الملك عبدالعزيز، ورد فيه بعض الأمور منها؛ توضيح أسباب ودواعي الصراع بينه وبين الشريف حسين، والقصد من دخوله الحجاز، كما أوضح سياسته في الحرمين الشريفين وأهلها فأعطى العهد والميثاق لأهل مكة بمعاملتهم بمقتضى الشرع[2].

ومن هذا يتبين – كما أسلفنا – مبادئ مهمة عند الملك عبدالعزيز أهمها تطبيق الشرع والعمل وفق أحكامه، وتقريب العلماء وتقديمهم في أي عمل إصلاحي.

وقد تعددت القرارات التي أقرها ابن لؤي لإصلاح شؤون مكة المكرمة، ومن بينها ما يتعلق بالقباب التي على القبور والتدخين وتعدد الأئمة وغيرها.

- ففيما يتعلق بالقباب[3]؛ في اليوم الثاني بعد دخول الجيش ١٨ ربيع الأول شرع الإخوان في هدم القباب التي كانت في المعلاة، كما أزالوا القباب التي على موقع

(١) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦١٠.

(٢) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦١١ – ٦١٥؛ والسباعي: تاريخ مكة، ٢ / ٧٢٠ – ٧٢٣.

(٣) كان في مكة المكرمة العديد من القباب، مثل: قبة موقع مولد النبي مُحَّد ﷺ، وموقع مولد علي رضي الله عنه، وموقع مولد فاطمة رضي الله عنها، ومن القبور التي كان عليها قباب (مقبرة المعلاة)، وقبر خديجة وآمنة والشريف عبدالمطلب والشريف أبي طالب، ويطلق عليها قبور الهواشم. انظر: منى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٦٨.

مولد النبي ﷺ، وموقع مولد علي وفاطمة رضي الله عنهما، والقباب التي على قبور الهواشم. ومنعوا من شرب الدخان في الأسواق، وشددوا على ذلك تشديداً كثيراً[1].

ويتبين أن الإخوان لم يتعرضوا القبور، وإنما القباب التي تتنافى مع الدين.

- وفيما يتعلق بتعدد الأئمة في الصلاة ؛ فقد اتخذ الإخوان موقفاً متشدداً في ذلك، إذ كانت العادة في مكة المكرمة أن تقام أربع جماعات على التوالي، فيقدم في الجماعة الأولى إمام حنفي، وفي الثانية شافعي، وفي الثالثة مالكي، وفي الرابعة حنبلي، فبعد يومين أو ثلاثة من دخول الجيش صلى الإخوان جماعة في المطاف، وإمامهم منهم، ولم يصلوا مع الجماعة في المسجد[2]. وهذا يؤكد رفضهم لتعدد الأئمة، وعدم رضاهم بذلك. مما جعل حكومة الملك علي تشيع في العالم أنه جرى منع الأئمة الأربعة الذين كانوا يصلون في المسجد الحرام والاقتصار على إمام واحد لأهل مكة، وواحد لهم، لأنهم لا يشتركون معهم في الصلاة[3].

لكن ابن لؤي كان قوياً في فرض المذهب الحنبلي على أهالي مكة المكرمة لإقامة جماعة واحدة في الصلاة، فقد أبطل التنظيم السابق وجعلهم يصلون جميعاً خلف الإمام الحنبلي، وعمل الإخوان عدة أيام على إجبار المسلمين في المسجد الحرام على توحيد الإمام والتزام المذهب الحنبلي. ويتضح لنا ذلك خلال الكتاب الذي بعثه علي للملك عبدالعزيز في ٢٨ ربيع الأول (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) وجاء فيه: « ... أن تبلّغوا قائد جيشكم بمكة برفع منع أداء فريضة الدين من قبل الأئمة الثلاثة فوراً »[4].

---

(١) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦١٦؛ ومنى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٦٨.

(٢) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦١٦؛ ومنى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٧١.

(٣) انظر: منى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٧١.

(٤) عطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٧٤٤.

ورغم ذلك إلا أن ابن لؤي استمر في تشدده في منع الأئمة، ففي الخامس من ربيع الآخر (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) نادى منادٍ من قبل ابن لؤي بحضور الناس في الصلوات مع الجماعة في أول الوقت[١]. وفي سابع عشر أيضاً أعلن المنادي: «على ألا يتخلف أحد من أهل السوق عن الجماعة بعد نداء الصلاة، ومن يخالف هذا الأمر فيجازى أشد الجزاء»[٢].

لم يرض أهل مكة المكرمة بتوحيد الإمام، لكنهم صمتوا ولم يعارضوا خوفاً من عقاب الإخوان، فانتظروا قدوم الملك عبدالعزيز.

ويتبين مما سبق أن ابن لؤي والإخوان تشددوا في هذه الفترة في تطبيق المذهب الحنبلي في المسجد الحرام، والإنكار على أهالي مكة في منع شرب الدخان وإزالة القباب التي على القبور، الأمر الذي جعل الملك عبدالعزيز بعد دخوله لمكة المكرمة يعيد تنظيم الأمور ويعالج بعض مواقف الإخوان وسياستهم تجاه أهالي مكة.

المطلب الثاني: الإصلاحات في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز:

دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة في ليلة الجمعة ثامن جمادى الأولى عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ومنذ دخوله -رحمه الله- بدأ خطواته الإصلاحية بأهم الأشياء التي لا تحتمل التأجيل وهي تلك التي بها قوام الأمور وعليها مدارها، وأهم هذه الخطوات ما يأتي:

أولاً: جمع كلمة علماء المسلمين، وإشراكهم في الخطوات الإصلاحية.

ثانياً: التعامل مع بدعة تعدد المقامات والأئمة في المسجد الحرام.

وسوف نوضح هذه الخطوات الإصلاحية بشيء من التفصيل.

(١) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦١٦ ؛ ومنى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٧٢.

(٢) انظر: غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦١٧.

أولاً: جمع كلمة علماء المسلمين، وإشراكهم في الخطوات الإصلاحية:

١ – جمع كلمة علماء المسلمين على العقيدة الصحيحة:

حرص الملك عبدالعزيز على جمع كلمة علماء المسلمين وتوحيد صفهم للانطلاق منها إلى الإصلاحات الأخرى. فبعد دخوله مكة المكرمة اجتمع في اليوم التالي يوم السبت ٩ جمادى الأولى عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) بالعلماء، وخطب فيهم خطبة أبان فيها عن قصده ومنهجه . فهدفه واضح وهو إقامة شرع الله في هذا البلد المبارك، فلن يحكم إلا بالشرع، ولن يخرج عنه، ودعا إلى الإخلاص في كل شيء، الإخلاص في العبادة والإخلاص في الأعمال، كما دعا إلى المبايعة على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده[١]. قال له الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي– أحد علماء ومدرسي المسجد الحرام –: «إنا نريد أن نجتمع بعلماء نجد فنتباحث في الأصول والفروع، ونقر ما نتفق عليه إن شاء الله»[٢]. وبعد يومين اجتمع خمسة عشر من علماء مكة المكرمة بسبعة من علماء نجد فتباحثوا في الأصول والفروع، وظهر أن ما عند علماء نجد لا ينقضه ما عند علماء مكة والمسجد الحرام، بل كلاهما شيء واحد، فاتفقت عقيدة الفريقين.

ونشر العلماء بياناً عن اجتماعهم واتفاقهم ليعلم الجميع أن الملك عبد العزيز ومن معه مسلمون مؤمنون موحدون عقيدته عقيدتهم ودينه دينهم، وليعلم أهل نجد أن أهل الحجاز مثلهم في الدين والعقيدة[٣].

ففي هذه الخطوة كسب الملك عبدالعزيز ثقة العلماء وتأييدهم لهدفه في تطبيق الشرع، فهم أصحاب الكلمة المسموعة في المجتمع، وأثبت بُعده عن التعصب المذهبي،

---

(١) انظر: عطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٧٨٧ – ٧٩٢.

(٢) انظر: جريدة أم القرى: ع (١)، عام (١٣٤٣هـ /١٩٢٤م)، ص ص ١، ٢، ٣ ؛ وعطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٧٩٢.

(٣) انظر: مجلة المنار: ع (٣)، عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥؛ وعطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٧٩٩.

فمبدؤه العمل بالكتاب والسنة في الأمور الأصلية، أما في الأمور الفرعية فاختلاف الأئمة فيها رحمة، وقد أكد على هذا المبدأ في بيانه الموجه إلى المؤتمر الإسلامي عام (١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م) الذي جاء فيه: «إننا لا نُكره أحداً على اعتناق مذهب معين، أو السير في طريق معيَّن في الدين، فذلك موكول أمره لعلماء الدين وحملة الشريعة، ولكني لا أقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التي لا يعتبرها الشرع، وتأباها الفطرة السليمة، لا يُسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته»[١]. ولذلك اقتنع العلماء بالهدف والمبدأ وبايعوه وتعاونوا معه في إدارة البلاد وإصلاحها من البدع وما يخالف أمور الدين.

٢ – إشراك العلماء في الخطوات الإصلاحية:

خطا الملك عبدالعزيز خطوة ثانية في الإصلاح بالاستفادة من مكانة علماء مكة وحرصاً على مشاورتهم وأخذ رأيهم، وتأكيداً لمبدأ مهم لديه «لن تحصل النجاة والسلامة والرجاء إلا بالله ثم بالأخذ عن علماء المسلمين»[٢]. كما أنه ليس بينه وبين العلماء خصومة، وقد أكد على هذا الجانب في كتاب جاء إلى مكة المكرمة مؤرخ بتاريخ ١٧ ربيع الأول عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، فجمع الأمير خالد بن لؤي العلماء والأئمة وغيرهم وقرأ الكتاب عليهم، ومما جاء فيه: « ...، وليس بيننا وبينكم أدنى خصومة، فأنتم سكان البلد المقدسة، لكم علينا حق الاحترام والإكبار»[٣]. فاقتنع العلماء بالهدف والمبدأ وبايعوه وتعاونوا معه في إدارة البلاد وإصلاحها من البدع وما يخالف أمور الدين.

---

(١) خالد الهميل: العلاقات بين الملك عبدالعزيز والأشراف، ص ٣٠١.

(٢) عمر بن صالح العمري: احترام الشرع والتحاكم إليه عند الملك عبدالعزيز (بحوث ندوة المملكة العربية السعودية)، ٣ / ٣٢٦.

(٣) غازي: إفادة الأنام، ٤ / ٦٣٧.

فعلى أثر وصوله إلى مكة المكرمة عقد اجتماعاً في اليوم الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) حضره العلماء وأعيان مكة فخطبهم خطبة عظيمة جاء فيها؛ « لا أريد أن أستأثر بالأمر في بلادكم دونكم، وإنما أريد مشورتكم في جميع الأمور»، « ... وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم»[(١)]، وقد تعددت بعد ذلك نماذج مشاركة العلماء، ومنها:

- تشكيل المجلس الأهلي للشورى عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) برئاسة الشيخ عبدالقادر بن محمد الشيبي (ت: ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) الإمام الملازم بالمقام الشافعي، وقد أقره الملك عبدالعزيز وأيد الرئيس[(٢)].
- الشيخ عباس بن عبدالعزيز المالكي (ت: ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) الإمام في المقام المالكي وخطيب المسجد الحرام، عين عضواً بمجلس الشورى ورئيساً للمحكمة الابتدائية الأولى ثم قاضياً في المحكمة الكبرى[(٣)].
- والشيخ محمد بن عبدالرحمن المرزوقي أبو حسين (ت: ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م)، إمام التراويح في المقام الحنفي، عُين رئيساً للمحكمة الكبرى ورئيساً لمجلس الشورى وعضواً بهيئة رئاسة القضاة ووكيلاً لرئيس القضاة عند غيابه[(٤)].
- والشيخ سالم بن عبدالحميد شفي (ت: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م)، إمام المقام الحنفي، عين قاضياً بالمحكمة الكبرى ثم وكيلاً لرئيسها[(٥)].

---

(١) انظر: معهد الإدارة العامة: مركز الوثائق، وثيقة رقم (٥٧٠٨٤)، وهي وثيقة تبين تشكيل أول مجلس أهلي عام (١٣٤٣هـ). انظر نص الوثيقة في الملحقات، وثيقة رقم (٦).

(٢) انظر: معهد الإدارة العامة: مركز الوثائق، وثيقة رقم (٥٧٠٨٤)؛ وعطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٨٠٥.

(٣) انظر: عمر عبدالجبار: دروس من ماضي التعليم، ص ١٣٢.

(٤) انظر: جريدة أم القرى: ع (٣)، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٣؛ وعمر عبدالجبار: دروس من ماضي التعليم، ص ٢١٣.

(٥) انظر: عمر عبدالجبار: دروس من ماضي التعليم، ص ١٠١.

ويتبين لنا مما سبق حكمة الملك عبدالعزيز يرحمه الله وبعد نظره في تقريبه للعلماء والاعتماد عليهم في إجراء الإصلاحات عامة، ومعالجة بدعة تعدد الأئمة والمقامات بشكل خاص، مما يتضح في الأسطر التالية.

ثانياً: التعامل مع بدعة تعدد المقامات والأئمة في المسجد الحرام:

عالج الملك عبدالعزيز بدعة تعدد الأئمة في المسجد الحرام بكثير من الحكمة وبعد النظر والتدرج في الخطوات مع استشارة العلماء والبعد عن التعصب المذهبي حتى انتهت هذه البدعة، كما يأتي:

١- إعادة الأئمة الأربعة:

لما شكا المكيون للملك عبدالعزيز أن ابن لؤي منع الأئمة الأربعة من إقامة الصلاة بالمسجد الحرام، وقصرهم على إمام واحد هو الإمام الحنبلي، بناءً عليه أُلغي هذا التنظيم وأمر بإعادة الأئمة الأربعة الممنوعين ليصلوا بالناس، وسيَّر مناديه في الأسواق يعلن ذلك[١].

وهذا يدل على حكمة الملك عبدالعزيز وبعد نظره وبعده عن التعصب المذهبي، فهو لا يريد التغيير السريع لما تعودوا عليه الناس من وجود الأئمة الأربعة، وابتعاداً عن أي فتنة قد تقع مع أهل مكة المكرمة .

كما يذَّكرنا هذا بدخول الإمام سعود بن عبدالعزيز بمكة المكرمة عام (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م) عندما تعَجَل في توحيد الأئمة وإزالة البدع وأرسل رسالة إلى السلطان العثماني بذلك، مما كان سبباً لاستعداء الدولة العثمانية وإرسال الحملات المصرية حتى سقطت الدولة السعودية الأولى.

---

(١) انظر: عطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٨٠٧.

أما في هذا التنظيم، فقد عاد الأئمة الأربعة ؛ الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، لكن إقامة صلواتهم كانت تختلف عن التنظيم السابق فبعد أن كانوا يقيمون صلواتهم في وقت واحد، أصبحت تقام – حسب التنظيم الجديد – على النحو الآتي:

أول صلاة تقام للإمام الحنفي، ويصلي معه كل من بالمسجد الحرام من أتباع كل المذاهب، فإذا انتهى الحنفي قام إمام الشافعية فيقتديه من لم يدركوا الصلاة مع الإمام الحنفي، ثم المالكي، ثم الحنبلي[1].

فتوحدت صلاة الجماعة خلف إمام واحد، وكان في هذا التنظيم فسحة لمن لم يدركوا الجماعة السابقة ليدركوا الصلاة مع الجماعة اللاحقة .

وقد طبق الملك عبدالعزيز وابناه الأميران محمد وفيصل عملياً ذلك، فكان يصلي خلف أي إمام من الأئمة حضر صلاته، فصلى خلف إمام الحنفية وإمام الشافعية وإمام المالكية مع أنه حنبلي، وأمر ابنه فيصلاً أن يُصلي خلف الإمام القائم أياً كان مذهبه[2].

إن هذا الإجراء العملي من الملك عبدالعزيز يشبه تماماً إنكار بعض العلماء المتقدمين لبدعة تعدد الأئمة في المسجد الحرام، فكان العالم يحيى بن أحمد البهاري (ت: ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) يُصلي مع الإمام الأول حتى لو كان مخالفاً لمذهبه[3].

كان لهذا الإجراء أثره في المجتمع المكي، فلم يَعُد هناك تفكير في نوع المذهب بعد ما رأوا عدم اهتمام الحنابلة بذلك . وبهذا أثبت الملك عبدالعزيز بُعده عن التعصب المذهبي وسماحته، مما جعل أهل مكة المكرمة يحبونه ويسمعون له ويطيعون ثم يشاركون في توحيد الإمامة في المسجد الحرام.

---

(١) انظر: عطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٨٠٧.

(٢) انظر: عطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٨٠٨.

(٣) انظر: مرداد: مختصر نشر النور، ص ٥٠٧.

٢- إلزام المسلمين بإجابة المؤذن للصلاة :

عندما اشتكى أهالي مكة للملك عبدالعزيز بعد دخوله من شدة الإخوان مع بعض الأهالي، طلب الإخوان وسألهم عن سبب الضرب والشتم فأجابوا أنهم لم يواجهوا إلا شاربي الدخان وتاركي الصلاة المتكاسلين والمتأخرين في أدائها مع الجماعة، فلما لاحظ تكاسل الناس في إقامة الصلاة جماعة وإجابة نداء المؤذن، بادر -رحمه الله- على عقد اجتماع مع رجال مجلس الشورى الأهلي وعلماء مكة وأعيانها وتجارها وتشاور معهم في هذا الصدد، وتنبيههم إلى الاهتمام بأمر الصلاة جماعة، ووجه لهم خطاباً بيَّن فيه الأمر بالحجج المقنعة والأدلة الواضحة، واتفقوا على أن تقوم البلدية بتنبيه الناس عند كل وقت للصلاة وأصدر إليها الأمر بذلك، فسيرت البلدية منادياً ينادي في مكة للصلاة مع أحد الأئمة الأربعة، «يا معشر المسلمين وسكان البلد الأمين، على كل واحد منكم إذا أذن المؤذن أن يجيب داعي الله ويبادر إلى الصلاة في الحرم مع أحد الأئمة الأربعة، ومن كان بعيداً عنه فليصلِ في أقرب مسجد منه، وقد جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر في الصلاة لتقرير الجزاء الشرعي عليه»(١).

ويدل هذا الإجراء التنظيمي على حكمة الملك عبدالعزيز يرحمه الله في تنظيم الأمور وحسن سياسته، ففي هذا الاجتماع وفي الخطاب الذي ألقاه يتضح ما يأتي:

- الارتباط بالعلماء من أجل الإصلاح، واستشارتهم، وإشراكهم في أي تنظيم إصلاحي .
- تشكيل رجال الحسبة ؛ فألزم العلماء باختيار رجالاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «... فالواجب أن تنظروا في الأمر وتعينوا رجالاً من إخوانكم المنتسبين للخير يمشون في كل سوق ومجمع يأمرونهم بالصلاة كلما أذن المؤذن...»(٢).

---

(١) انظر: جريدة أم القرى: ع (٣)، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٢؛ وعطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٨٠٦.

(٢) جريدة أم القرى: ع (٣)، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٢.

ونجد النواة الأولى لهذا التنظيم في مكة المكرمة كانت في فترة الدولة السعودية الأولى، فيذكر ابن بشر في حادثة عام (١٢٢٣هـ / ١٨٠٩م) أن الإمام سعود بن عبدالعزيز أمر أن يُجعل في أسواق مكة من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت، فكان إذا أذن دار الرجال في الأسواق، ينادون: الصلاة الصلاة[١].

- تذليل الصعوبات والمعوقات من أجل تسهيل أداء الصلاة جماعة ؛ فأمر بإغلاق الدكاكين ووضع حراساً للسوق وقت الصلاة، «... حيث يُعزِّل أهل الدكاكين ويصلون، وإن كان التعزيل فيه عليهم مشقة فيرتب لكل سوق حرس يحافظون عليه وقت الصلاة حتى يرجع إليه أهله»[٢].
- الحزم في الأمور، وسرعة الإنجاز، فأكد على العلماء سرعة النظر في أمر الصلاة لأهميتها «ويلزم ألا تقوموا من مقامكم هذا – إن شاء الله – إلا وأنتم ناظرون في هذه المسألة»[٣].

ومن هذا يتبين اهتمام الملك عبدالعزيز –رحمه الله– بأمر الصلاة وحرصه على تأدية المسلمين لها جماعة، لأن فيها قوام الدين والدنيا واتفاق الكلمة .

كما شرع مجلس الشورى الأهلي في ممارسة صلاحياته ابتداءً من رجب عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، حيث دعا أعضاء المجلس مشايخ الأحياء، وجرى البحث حول إهمال بعض الناس لأداء الصلاة في المساجد، فقرر التشدُّد في الأمر وألزم مشايخ الأحياء بمراقبة الناس وحملهم على المبادرة لأداء الصلاة مع الجماعة، ومن يتخلف يُنفذ فيه الجزاء الشرعي[٤].

---

(١) ابن بشر: عنوان المجد، ١ / ٢٤٨.

(٢) جريدة أم القرى: ع (٣)، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٢.

(٣) جريدة أم القرى: ع (٣)، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٢.

(٤) جريدة أم القرى: ع (١٠)، عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)، ص ٢.

٣- توحيد الإمامة في المسجد الحرام:

مع مرور الوقت أصبح الإمام الراتب واحداً، يصلي خلفه كل من حضر المسجد الحرام للصلاة، واستبدلت الفسحة السابقة بفسحة أكثر اتساعاً، فبعد أن كانت تتراوح بين أربعة أئمة رسميين، أصبحت بين أئمة أكثر عدداً غير رسميين، فكان الذين لا يدركون صلاة الجماعة يُكوِّنون جماعة ويصلي بهم أحدهم، وتقام الصلاة في أكثر من مكان بالحرم[1].

ففي الثامن عشر من شهر ربيع الآخر عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) اجتمع فريق من العلماء السعوديين وقرروا أن تكون الجماعة التي تقام في المسجد الحرام جماعة واحدة، وانتخب من كل مذهب ثلاثة أئمة، ومن الحنابلة إمامان، يتناوبون في أوقات الصلوات الخمس ؛ فكان من الحنابلة: الشيخ عبدالظاهر أبو السمح، والشيخ حمد الخطيب، ومن الشافعية: الشيخ عبدالرحمن الزواوي، والشيخ محمد علي خوقير، والشيخ عمر فقيه، ومن الحنفية: الشيخ عباس عبدالجبار، والشيخ عبدالملك مرداد، والشيخ جمال مرداد، ومن المالكية: الشيخ أمين فوده، والشيخ عبدالله حمدوه، والشيخ عباس مالكي[2].

وقد وافق الملك عبدالعزيز على هذا التنظيم وجرى العمل بمقتضاه وأصبحت الجماعة التي تقام في المسجد الحرام جماعة واحدة، وعاد المسلمون في بيت الله الحرام كما كانوا جماعة واحدة، بعد أن استمرت قروناً.

---

(١) انظر: عطار: صقر الجزيرة، ٤ / ٨٠٨.

(٢) انظر: معهد الإدارة العامة: مركز الوثائق، وثيقة رقم (بدون)، انظر نص الوثيقة في الملحقات، وثيقة رقم (٧)؛ جريدة أم القرى: ع (٩٨)، عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م)، ص ٣.

٤- صدى توحيد الأئمة في المسجد الحرام:

كان توحيد الأئمة في المسجد الحرام خلف إمام واحد، قد نال إعجاب بعض المعاصرين والمتأخرين الذين أبدوا آراءهم المؤيدة، ومن نماذج تلك الآراء ما يأتي:

- كتب العالم الفاضل الشيخ محمد بهجت البيطار الدمشقي[١] في صحيفة أم القرى، عقب توحيد الأئمة، كلمة بعنوان (توحيد الأمة بتوحيد الأئمة)، ومما جاء فيها: «... ثم إن الإمام الملك المحبوب رأى أن أفضل ما تداوى به القلوب وينتزع منها مثارات الشكوك هو جمع المصلين في كل صلاة على إمام واحد كما تقتضيه وحدة الإسلام التي بني عليها عمل السلف الصالح في خير القرون وأهداها، فأمر أيده الله أن يتناوب الإمامة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الأربعة يأتم بكل واحد منهم في نوبته جميع المصلين»، «فتم ذلك ولله مزيد الحمد على أحسن وجه، وعاد المسلمون في بيت الله الحرام كما كانوا جماعة واحدة»، « قضى الإمام عبدالعزيز آل سعود – أجزل الله ثوابه – بهذا التوحيد العملي على كل خلاف قديم، وأدخل عصر التفريق والتمزيق في خبر كان»[٢].
- يقول أحمد الغزاوي[٣] في شعره:

ماذا أرتل في مآثـــــرك التي أولى فضائلها صلاح المسجد

وحَّدت فيه صلاة كل جماعة وأذعت فيه هدي دين محمد[٤].

---

(١) مُحَمَّد بهجت البيطار (١٣١١هـ – ١٣٩٦هـ)، من علماء سوريا ،تولى إدارة المعهد العلمي السعودي، ثم مديراً لدار التوحيد، كما تقلد عدة مناصب قضائية وعلمية، توفي عام (١٣٩٦هـ)، بدمشق. انظر: صالح ابن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ١٢١٢ وما بعدها.

(٢) انظر: جريدة أم القرى: ع (١٠٥)، عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م)، انظر صورة الجريدة في الملحقات، لوحة رقم (٨).

(٣) الاستاذ / أحمد بن إبراهيم الغزاوي، شاعر كبير وأديب شهير وخطيب بليغ، يلّقب بشاعر الملك، وهو من أهل مكة المكرمة . انظر: الكردي: التاريخ القويم، م (٣)، ٦ / ٦.

(٤) منى القحطاني: التنظيمات الداخلية، ص ٥٠٥.

- ويقول محمد طاهر الكردي: « والذي أبطل هذه البدعة وأزالها تماماً الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، رحمه الله، وأحسن إليه، وذلك حينما تولى على الحجاز سنة (١٣٤٣هـ)، ... فإنه أمر غفر الله لنا وله أن يصلي إمام واحد بالناس في الصلوات الخمس، وهذه حسنة يؤجر عليها»[١].

- ولم يتوقف صدى إزالة هذه البدعة على المعاصرين للملك عبدالعزيز، فما قام به من توحيد المصلين خلف إمام واحد كان مفخرةً واعتزازاً لأسرة آل سعود . ففي محاضرة لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن مشعل بن سعود آل سعود – نائب أمير منطقة القصيم – في جامعة شقراء، عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)، افتتح المحاضرة بهذه العبارة «لو لم يكن للملك المؤسس – طيب الله ثراه – حسنة على الأمة الإسلامية إلا توحيد الإمامة في الصلاة لكفاه »[٢]. مؤكداً أن خطوة توحيد الإمامة في الصلاة خلف إمام واحد في الحرم المكي والحرم النبوي بعد أن كان الفرض الواحد يقام لأكثر من مرة لجميع المذاهب خلف العديد من الأئمة، تُعَدُّ عملاً جباراً وخطوة تكشف مدى بُعد نظر الملك عبدالعزيز ورغبته الصادقة في توحيد صفوف المسلمين.

وهذا يؤكد إحساس أحفاد الملك عبدالعزيز بالفخر والاعتزاز بهذه المآثر .

٥- هدم المقامات الأربعة :

بقيت المقامات الأربعة قائمة حتى صدور المرسوم الملكي رقم (١٤) وتاريخ (٢٨/ ١/ ١٣٧٧هـ)[٣]، والمرسوم الإلحاقي رقم (٢٧ / ٤ / ٢ / ٢٢٣٣) وتاريخ (٢/ ٨

---

(١) الكردي: التاريخ القويم، م (٣)، ٥ / ٩٥.

(٢) انظر: جريدة الجزيرة: ع (١٤٤٩٥)، عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)، ص ٤٣ . انظر: صورة الجريدة في الملحقات، لوحة رقم (٩).

(٣) انظر: معهد الإدارة العامة: مركز الوثائق، وثيقة رقم (١٤)، وكان هذا المرسوم الملكي يتضمن اطلاع مجلس الوزراء على قرار الهيئة العلمية وكتاب سماحة المفتي، انظر نص الوثيقة في الملحقات، لوحة رقم (١٠).

/ ١٣٧٧هـ) [1]، القاضي بتوسيع المطاف، فهدمت المقامات الأربعة على مراحل، وبقاء مقام إبراهيم عليه السلام في موضعه .

هدموا أولاً المقام الحنبلي في ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر شعبان عام (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م).

ثم هدموا المقام المالكي في ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شهر شعبان من العام نفسه.

ثم هدموا المقام الحنفي بعد عيد الفطر، أي في يوم السبت الثامن من شهر شوال من العام نفسه. وكان في هذا المقام مكبرات الصوت التي ترفع صوت الذي يقيم الصلاة، ويكبر لدى حركات الإمام، فنقلوا هذه المكبرات إلى سطح بناء زمزم .

أما المقام الشافعي، فقد تأخر هدمه، لأنه ليس له بناء مستقل كالمقامات الأخرى، فهو يقع فوق بناء زمزم – حسب رأي بعض المؤرخين –، والناس بحاجة لهذه البناية لوجود مكبرات الصوت فوقها، وقد هدمت بناية بئر زمزم في عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) [2].

أما مقام إبراهيم عليه السلام فقد رأت الهيئة العلمية بقاءه وعدم تغييره عن مكانه [3].

من خلال ما سبقت دراسته في هذا المبحث يتبين لنا أن تعدد المقامات والأئمة في المسجد الحرام استمرت قروناً طويلة إلى أن وفق الله الملك عبدالعزيز وأبطلها، وقد نهج سياسة حكيمة في إزالتها منذ دخوله مكة المكرمة، تدرج فيها في عدة خطوات:

---

(١) انظر: معهد الإدارة العامة: مركز الوثائق، وثيقة رقم (٢٧ / ٤ / ٢ / ٢٢٣٣)، انظر نص الوثيقة في الملحقات، لوحة رقم (١١).

(٢) انظر: الكردي: التاريخ القويم، م (٣)، ٥ / ٩٨.

(٣) انظر: معهد الإدارة العامة: مركز الوثائق، وثيقة رقم (١٤)، ووثيقة رقم (٢٧ / ٤ / ٢ / ٢٢٣٣).

- في البداية؛ بادر إلى جمع كلمة العلماء في مسائل العقيدة، وحرص على تقريبهم ومشورتهم واشتراكهم في الخطوات الإصلاحية . إيماناً منه بأهمية دور العلماء.
- ولما حاول ابن لؤي والإخوان التعصب للمذهب الحنبلي ونشره بين السكان في مكة، ومنْعُهم لأئمة المذاهب الأخرى، ألغى هذا الإجراء وأعاد الأئمة الأربعة للصلاة في الحرم، لكنها بطريقة تختلف عن السابق، فكانت أول صلاة تقام للإمام الحنفي ويصلي معه كل الحاضرين بالمسجد الحرام من أتباع جميع المذاهب، فإذا فرغ من الصلاة قام إمام الشافعية فيقتدي به من لم يدركوا الصلاة مع الإمام الشافعي، ثم المالكي، ويليه الحنبلي، وطبق ذلك عملياً فكان يصلي مع الإمام القائم، وذلل الصعوبات والمعوقات التي تمنع إقامة الصلاة جماعة، فزالت بذلك الحساسية عند أهل مكة المكرمة واختفى التعصب المذهبي، ولم يعُد هناك أحد يسأل عن مذهب الإمام الذي يؤم المصلين في الحرم . وقد استمرت هذه الخطوة قرابة سنتين.
- ثم جاءت الخطوة الأخيرة عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م)، عندما قرر العلماء توحيد الإمامة، بأن تكون الجماعة التي تقام بالمسجد الحرام جماعة واحدة، وتعيين أئمة من المذاهب الأربعة يتناوبون الصلاة .

وبذلك عاد المسلمون في المسجد الحرام جماعة واحدة .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، بعون الله وتوفيقه أنجز الباحث هذا البحث الذي تناولت فيه المقامات في المسجد الحرام ودورها في الحياة العامة في مكة المكرمة خلال الفترة (٩٢٣هـ - ١٣٤٣هـ / ١٥١٧م - ١٩٢٤م) .

وفي الختام أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها وذكرتها في سطور البحث، وأهمها :

أولاً : ما يتعلق بأماكن المقامات، ومصادر الإنفاق عليها :

١- أثبت البحث أن مقام إبراهيم عليه السلام كان محل عناية في العصر العثماني خلال فترة البحث، فبرز الاهتمام به في ترميم القبة وعمارتها وزخرفتها، دون التعرض لحجر المقام إلا ما ندر ؛ ومع قدوم الملك عبدالعزيز إلى الحجاز انتظمت الترميمات والإصلاحات لقبة المقام قبل مواسم الحج .

٢- بلغ ارتفاع مقام إبراهيم عليه السلام (٢٠) سنتمتراً، وطول أضلاعه (٣٦ - ٣٨) سنتمتراً، فهو حجر صغير، وليس كما يظن البعض بأنه حجر ضخم. كما أنه حجر مربع، رخو وليس صلب، ولونه بين البياض والصفرة .

٣- أثبت البحث أن مكان مقام إبراهيم عليه السلام خلال فترة البحث، ثابت لم يتغير، فهو شمال شرق الكعبة المشرفة بجوار بئر زمزم . أثبت البحث أن أماكن المقامات الأربعة وصفتها ثابتة خلال فترة البحث، عدا تغير مكان المقام الحنبلي، وتغير صفة المقام الحنفي .

٤- اهتم العثمانيون بالمقام الحنفي أكثر من اهتمامهم بالمقامات الثلاثة الأخرى، فمن السنة الأولى لدخول الحجاز تحت حكمهم بادروا في تجديد عمارته وتفخيمه، وزيادة مساحته، وترميمه باستمرار.

٥- من خلال نظرة عامة على أعداد أئمة المقامات خلال فترة البحث يلفت الانتباه كثرة أعداد الأئمة الأحناف الذين فاقوا بعددهم (١٤٧) إماماً وخطيباً، في حين تقلص عدد أئمة المقام الشافعي إلى (٨٩) إماماً، بعد أن كانوا هم الأكثر في بداية فترة البحث، وأئمة المقام المالكي (٣٨) إماماً، والمقام الحنبلي (١٨) إماماً .

وهذا يعكس مدى دعم الدولة العثمانية للمذهب الحنفي مذهب الدولة الرسمي، الذي يكشف لنا البحث عن تنافسه مع المذهب الشافعي مذهب أهل مكة، وكثيراً ما يُقَدم أئمة الحنفية، أما المالكية والحنابلة فهم أقل أهمية تبعاً لأهميتهم السياسية المحدودة، وكثيراً ما يُعَطَّل المقام الحنبلي .

٦- لم يكن هناك ترتيب ثابت لصلاة الأئمة في المقامات، بل تبدل مستمر، قد يعود لأسباب فقهية أو سياسية .

٧- أثبت البحث تنوع مصادر الإنفاق على المقامات وأئمتها من عدة جهات أهمها: حكام الحجاز، والدولة العثمانية، والدول الإسلامية، وسكان مكة المكرمة، والأوقاف.

٨- أثبت البحث قدر اعتناء الدولة العثمانية بإرسال المخصصات النقدية والعينية إلى الحرمين الشريفين وعلمائها، فأوقفت مساحات واسعة من الأراضي في مصر والشام وغيرها، وزادت من ريعها السنوي .

٩- كما أثبت البحث أهمية وصول تلك المخصصات إلى الحجاز، حيث كانت بمنزلة العمود الفقري لاقتصاده، كما كانت تلك المخصصات النقدية والعينية أهم مورد للإنفاق على المقامات في المسجد الحرام، ورفع المعاناة عن علمائها في تلك الفترة .

ثانياً : ما يتعلق بدور المقامات في الحياة العلمية :

١- أوضح البحث مكانة مكة المكرمة العلمية، وقد تعددت فيها مراكز التعليم، إلا أن الحرم الشريف كان أكبر مركز تعليمي .

٢- من خلال تتبع مراكز التعليم في مكة المكرمة اتضح أن النشاط العلمي لتلك المراكز اعتمد على العلماء الأفاضل أكثر من اعتماده على تنظيم الدولة العثمانية .

٣- تنوعت الجهود لعلماء المقامات بين التدريس في حلقات المسجد الحرام، والمدارس، والأربطة، ومنازل العلماء، والرحلات الدعوية، والمؤلفات .

٤- كانت الحياة العلمية في مكة المكرمة نشطة خلال فترة البحث، ثم زادت نشاطاً مع ظهور المدارس وزيادة أعداد العلماء والحلقات، وظهور المطابع ومشاركتها في طباعة مؤلفات العلماء ونشرها .

٥- ألف علماء المقامات في كافة فروع العلم، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين كتب، ورسائل، وخطب، وفتاوى فقهية، وقد كان علم الفقه من أبرز العلوم التي حظيت بالاهتمام .

٦- كثرة الأُسر المنتمية إلى المذهب الحنفي، وهو شيء طبيعي، لأنه مذهب الدولة الرسمي، وأكثر الوظائف تولى للأحناف .

٧- قلة الأُسر المنتمية إلى المذهب الحنبلي، لقلة المنتمين لهذا المذهب في الحجاز، كما أن موقف الدولة العثمانية من الدعوة السلفية التي آزرها حكام آل سعود وكانوا حنابلة، له دور في قلة المشتغلين بالمذهب الحنبلي في مكة المكرمة.

ثالثاً : ما يتعلق بدور المقامات في الحياة الدينية والاجتماعية :

١- أثبت البحث أن علماء المقامات تمتعوا بمكانة دينية واجتماعية أهلتهم أن يؤدوا أدواراً مهمة في المجتمع .

٢- تنوعت أدوار علماء المقامات في المجتمع المكي، وكان هذا التنوع يتجه لتحقيق هدف واحد هو الحرص على تماسك المجتمع وترابطه، فنجد العلماء حريصين على تمسك المجتمع بتطبيق الشرع الحنيف والابتعاد عن البدع .

٣- تعددت جهود علماء المقامات في محاربة البدع، وعلى رأسها بدعة تعدد المقامات، إلا أن تأثيرهم كان محدوداً في كثير من الأحيان، بسبب عدم وقوف حكام الحجاز والولاة العثمانيين معهم، وكذلك حرص بعض العلماء على الاحتفاظ بوظائف المقامات، مما أضعف أثر هذه الجهود واستمرار تعدد المقامات إلى نهاية فترة البحث.

رابعاً : ما يتعلق بدور المقامات في الأوضاع السياسية:

١- أثبت البحث حرص حكام مكة المكرمة على تقريب علماء المقامات وتكريمهم، وخلع الوظائف عليهم، وبناء علاقات حسنة معهم .

٢- تميز العلماء بالجرأة والصرامة في الحق، فخشي بعض حكام مكة المكرمة من انتقاداتهم، مما يفسر ما وقع على بعضهم من ظلم واضطهاد من الحكام حتى أن منهم من غادر أو اختفى من مكة، لكنها فترة قصيرة مقارنة بفترات البحث .

٣- عملت الدولة العثمانية متمثلة في السلاطين والولاة على تقريب العلماء وقبول آرائهم ونصحهم، وحفظ مكانتهم. وفي المقابل حفظ العلماء للسلاطين العثمانيين هذا التقدير والتكريم، فألفوا الكتب في الثناء على السلاطين العثمانين وذكر مآثرهم .

٤- اضطلع علماء المقامات بدور هام في المجال السياسي من حيث المشاركة في إخماد بعض الفتن والثورات السياسية . فكانوا قريبين من الأحداث، يتدخلون لحل النزاع، وتجنيب البلاد الفتن، من خلال الوساطة والمناصحة، أو إصدار فتاوى مؤيدة لأحد الأطراف، قاصدين في جهودهم توحيد كلمة المسلمين ونبذ الفرقة.

خامساً : ما يتعلق بالمقامات في العهد السعودي :

١- أثبت البحث وضوح موقف حكام الدولة السعودية من بدعة تعدد المقامات، فمبدأ الدعوة السلفية في نشر التوحيد ومحاربة البدع والشركيات كان ثابتاً لدى الحكام السعوديين، ففي الدولة السعودية الأولى كشف الإمام سعود بن

عبدالعزيز قبة مقام إبراهيم ﷺ ليرى الناس حجر المقام على حقيقته . كما منع صلاة الأئمة في المقامات الأربعة، وجمع المصلين على إمام واحد .

إلا أن هذا الإجراء أثار عليه الدولة العثمانية التي أسرعت في مواجهته عسكرياً وإعادة سيطرتها على الحجاز .

٢- لم يمتد حكم الدولة السعودية الثانية إلى الحجاز، ومن أجل ذلك لم ترصد المصادر التي اطلعت عليها حدوث علاقة بين حكام الدولة السعودية الثانية والمقامات في المسجد الحرام .

٣- أثبت البحث نجاح سياسة الملك عبدالعزيز التي انتهجهالجمع المصلين في المسجد الحرام خلف إمام واحد، فكان هذا هدف من أولوياته سعى إليه وحققه بنجاح. تجلت فيه الحنكة وبعد النظر عند الملك عبدالعزيز، فقرب العلماء وأخذ برأيهم، وتدرج في مراحل متزنة، كما تجنب إثارة العصبية المذهبية، أو إثارة المجتمع المكي، وذلل الصعوبات التي تمنع إقامة الصلاة جماعة . وفي النهاية تحقق الهدف بإصدار العلماء قراراً بجمع المصلين خلف إمام واحد.

ويمكن القول أن من جميل ما أثبته هذا البحث هو إثبات السنة وإزالة البدعة. فعاد المسلمون في المسجد الحرام جماعة واحدة يتخذون من مقام إبراهيم مصلى، وزالت بدعة تعدد المقامات والأئمة التي تفرقت بها جماعة المسلمين في المسجد الحرام عدة قرون.

كما توصل البحث إلى التوصية بدراسة مقام إبراهيم ﷺ من النشأة حتى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، دراسة علمية.

وختاماً، أسأل الله التوفيق والسداد فيما قدمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الـمــــلاحـــــق

أولاً : ملحق الوثـائق

ثـانيـاً : ملحق الجداول

ثـالثـاً : ملحق الخرائط والصور

أولاً : ملحق الوثائق

(لوحة ١:)

وثيقة توضح رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى السلطان سليم الثالث سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م[1]



(١) جامعة الإمام محمد بن سعود : قسم المخطوطات ، وثيقة رقم ٨٧٣٦ / خ / ٥ ، ١١٩ – ١٢٠ ل.

(لوحة : ٢)

أسماء علماء مكة والموظفين بالمسجد الحرام ، ممن شملتهم منح السلطان عبدالرحمن ، سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م[1]

---

(١) التازي : رحلة الرحلات ، ٢ / ٥٠٨ ، رحلة أنجال السلطان عبدالرحمن ، سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م.

(لوحة : ٣)

الإجازة التي حصل عليها الشيخ عبدالرحمن العجيمي من الشيخ عبدالرحمن سراج[١] .



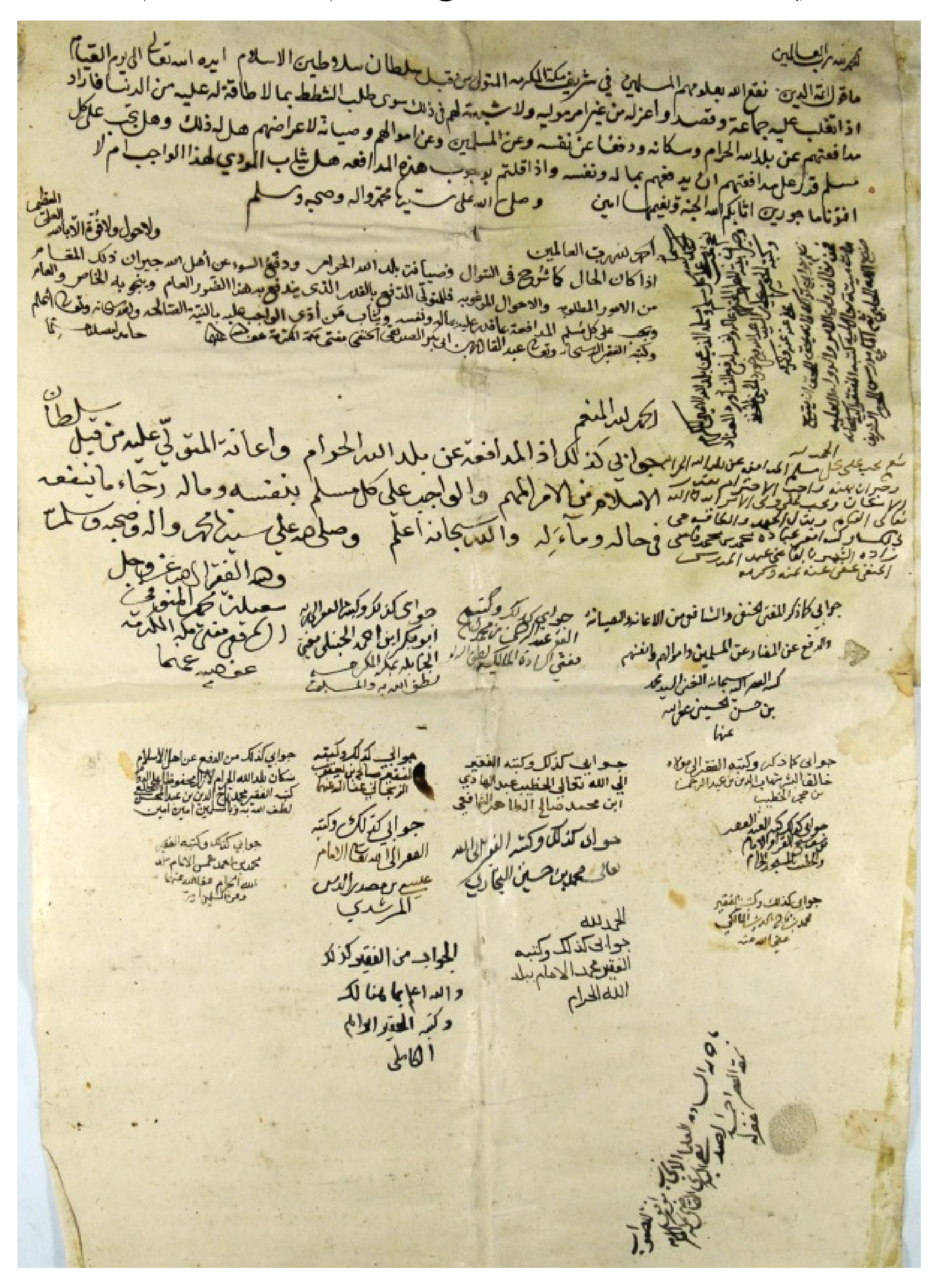
حمداً لمن هدانا بسيدنا محمد بن عبد الله وشكراً على ما أولانا من مزيد كرم الإ
هداية لمنتهاه وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله سفن النجاة وأصحابه الهداة وعلى ذريته الذين شيد بهم
الدين وكل عبد أواه أما بعد فقد التمس مني العالم الأمام
والهمام الفاضل ابن الأفاضل أخي العلامة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ
حسن العجيمي سلمه الله الإجازة العامة مع ذكر السند فامتثلت
أمره العالي وإن كنت لست أهلاً لذلك كما قال القائل: وما كنت
أهلاً لأن أجاز فكيف أن أجيز ولكن الحقائق قد تخفى
فاستخرت الله وأجزت الأخ المذكور إجازة عامة مطلقة بالشرط
المعتبر عند أهل الأثر بجميع ما لي فيه رواية وإجازة من قراءة
وتفسير وحديث وأصلين وفقه ونحو وغيرها بحق إجازتي
لذلك من شيخنا العلامة الفهامة طوالع الأنوار والدر المختار جمال الدين
وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ جمال بن عبد الله شيخ عمر
الحنفي مفتي مكة المشرفة ونواحيها عن شيخه العلامة سراج
الحرمين وثالث العمرين والدي المرحوم الشيخ عبد الله بن
عبد الرحمن سراج عن شيخه العلامة الحافظ العربي الشيخ محمد بن هاشم الفلاني
العمري عن شيخه خاتمة المحدثين الفهامة الأثري الشيخ محمد
صالح المتوفى الفلاني العمري نزيل طيبة الطيبة
بجميع ما له فيه رواية وإذن وأعظمها هو مفصل
في ثبت العلامة شيخ شيخ والدنا الشيخ محمد صالح المذكور

المسمى ذلك الثبت بقطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات والأثر
وعن شيخنا المرحوم العلامة الشيخ جمال المذكور عن شيخه خاتمة الحفاظ
في هذا الزمان وعمدة الفقهاء والمحدثين في الهند والحجاز واليمن
المرحوم العلامة الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي السندي ثم
الزبيدي ثم المدني إقامة ووفاة بما هو مفصل في ثبته المشهور
بحصر الشارد في أسانيد الشيخ محمد عابد هذا وأوصي
الأخ المذكور بتقوى الله في السر والعلن ومراقبته فيما ظهر و
بطن وأن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته والحمد لله
رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين قاله بفمه ورقمه
بقلمه الفقير إلى عفو مولاه مغني المحتاج عبد الرحمن بن عبد الله
سراج الحنفي المفتي بمكة المكرمة تاب الله عليه وغفر له ولوالديه
والمؤمنين آمين

(١) جامعة الملك سعود ، قسم المخطوطات، مخطوطة رقم (١٣٠٢) .

(لوحة : ٤)

الفتوى التي أصدرها العلماء في وجوب الدفاع عن الحرم إذا تعرض لهجوم[١] .

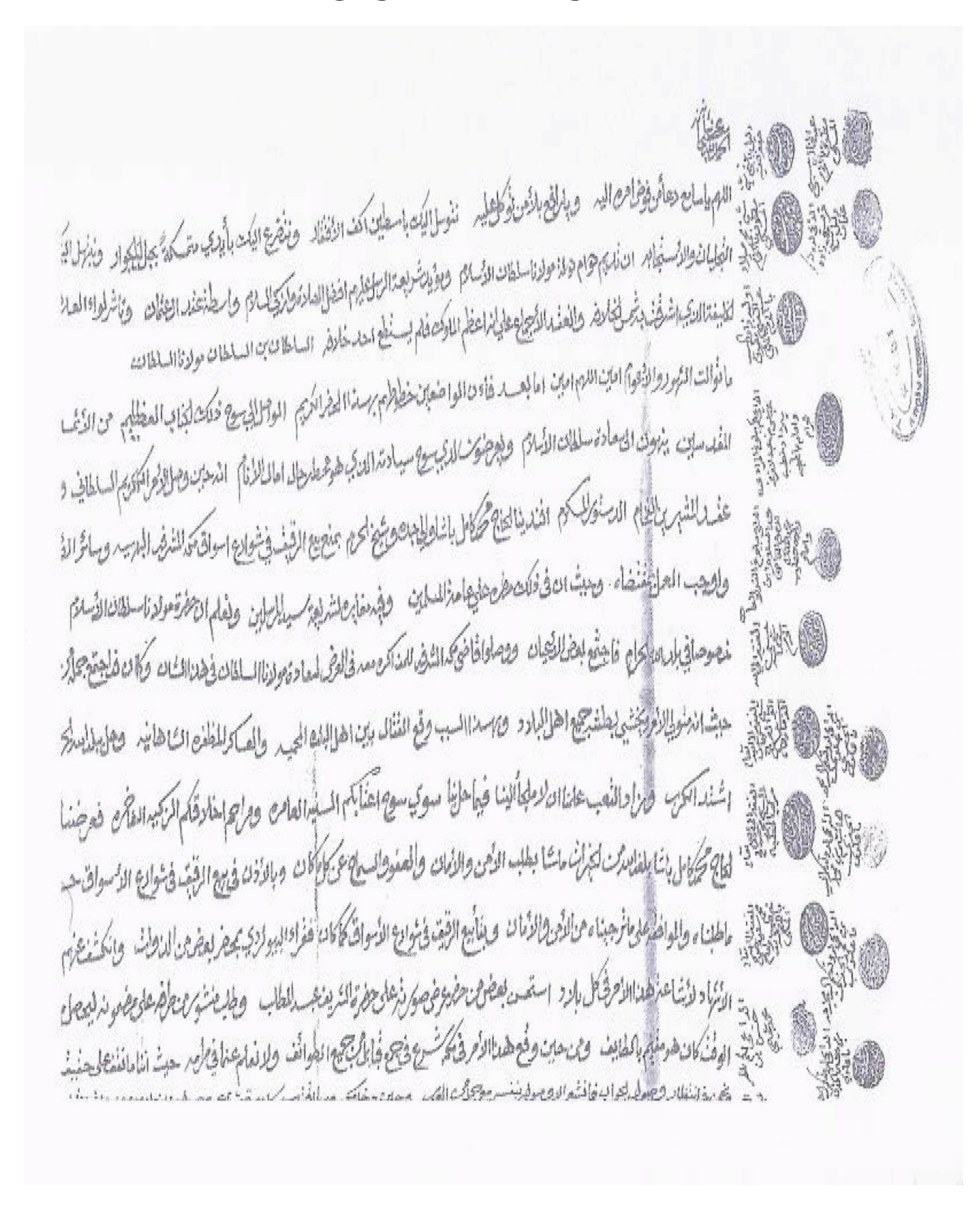


---

(١) مكتبة الحرم المكي : قسم المخطوطات ، مخطوطة رقم (٢٠٨٨) .

(لوحة : ٥)

عريضة علماء مكة المكرمة عام (١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م) إلى السلطان عبدالمجيد يشكرونه فيها على تفضله بتراجع الحكومة عن منع بيع الرقيق[١] .



(١) سنان أغلو : نجد والحجاز ، ١٥٩ — ١٦٢ .

وبالله [illegible] توكلنا عليه نتوسل اليك باسطين اكف الافتقار ونتضرع اليك بايدي متمسكة بحبل الجوار ونبتهل اليك بالادعية المرفوعة في ساحات الاجابة المسموعة في ساعات

م مولانا مولانا سلطان الاسلام ومؤيد شريعة الرسول عليه افضل الصلاة وازكى السلام واسطة عقد آل عثمان وناشر لواء العدل والامان القاطع بسيف عدله من اعتدى ومانع [illegible]

والعقد الاجمع على انه اعظم الملوك فلم يستطع احد خلافه السلطان بن السلطان مولانا السلطان

م امين اما بعد فانه الواضح خطابهم بسنة الهجرة الكريم [illegible] خلد الله دولته التي ابتسمت بها ثغور الايام وانتظم [illegible]

لهان الاسلام ونعرض لدى مسامع سيادة [illegible] الوصل الجسيم ذلك الجناب العظيم من الائمة والخطباء والمفتيين والمدرسين والعلماء والاشراف الصلحاء

نكم افندينا الحاج محمد كامل باشا والي جدة وشيخ الحرم [illegible] اهالي الانام انه حين وصل الامر الكريم السلطاني والرأي الاعظم الخاقاني لسعادة فخر الوزراء العظام [illegible]

ث ان في ذلك حرج على عامة المسلمين [illegible] بمنع بيع الرقيق في شوارع اسواق مكة المشرفة البهية وسائر الاقطار الحجازية صدر الامر من الوالي المشار اليه باجراء

مضى الاعيان ووصلوا قاضي مكة المشرفة [illegible] في العرض لسعادة مولانا السلطان في هذا الشأن [illegible] وتعلم ان حضرة مولانا السلطان الاسلام [illegible] من الحرج على اقامة شريعة سيد الانام

بع اهل البلاد وبهذا السبب وقع القتال بين اهل البلد المجيد والعساكر المظفرة الشاهانية وحل ببلد الله الحرام وحافتي الركن والمقام ما حل من الفتنة والبلية فبعد

[illegible] الينا فما احد [illegible] سوى [illegible] السنية العامة [illegible] الزكية الفاخرة فعرضنا لسعادة الوزير الافخم والي جدة وشيخ الحرم [illegible]

[illegible] بطلب الامن والامان والعفو والسماح عن كل ما كان وبالاذن في بيع الرقيق في شوارع الاسواق حسبما كان فورد [illegible] بيورلدي عظيم الشأن [illegible] جميع

نا الامن والامان وبقاء بيع الرقيق في شوارع الاسواق كما كان فقراء البيورلدي بحضور بعض من الذوات وانكشف عنهم بذلك جميع الهموم والكربات وقبل [illegible] قراءة البيورلدي على [illegible]

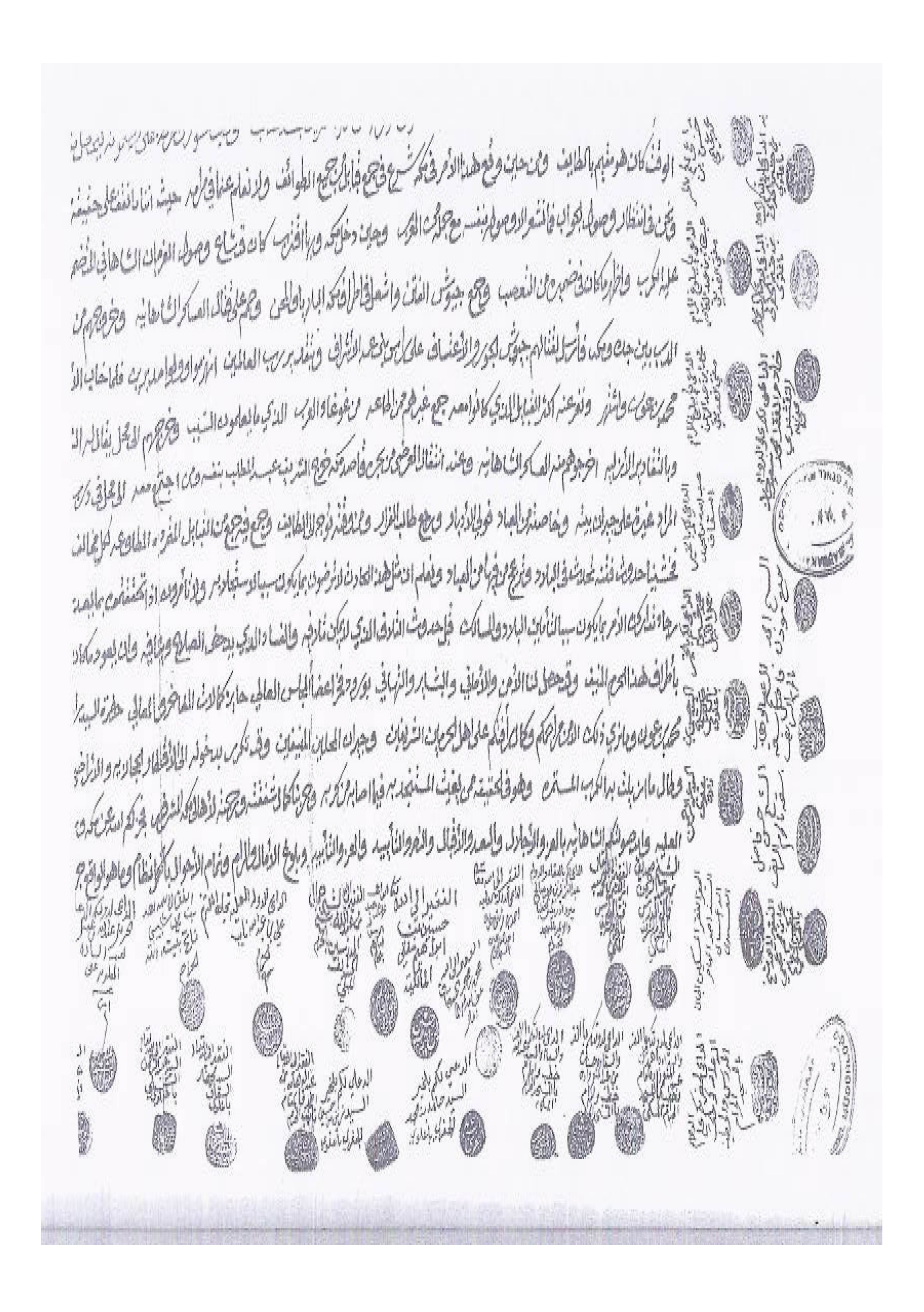
[illegible] استحسن بعض من حضر [illegible] على حضرة الشريف عبد المطلب وطلب منه [illegible] على مضمونه ليحصل منه على [illegible] بادة الاطمئنان وتوزيع الكرب وفي ذلك

[illegible] ووقع هذا الامر في محكمة شرعية في جمع حافل [illegible] جميع الطوائف ولا نعلم [illegible] حيث انما [illegible] على حقيقة حاله وكان قد بلغه امر الانفصال [illegible]

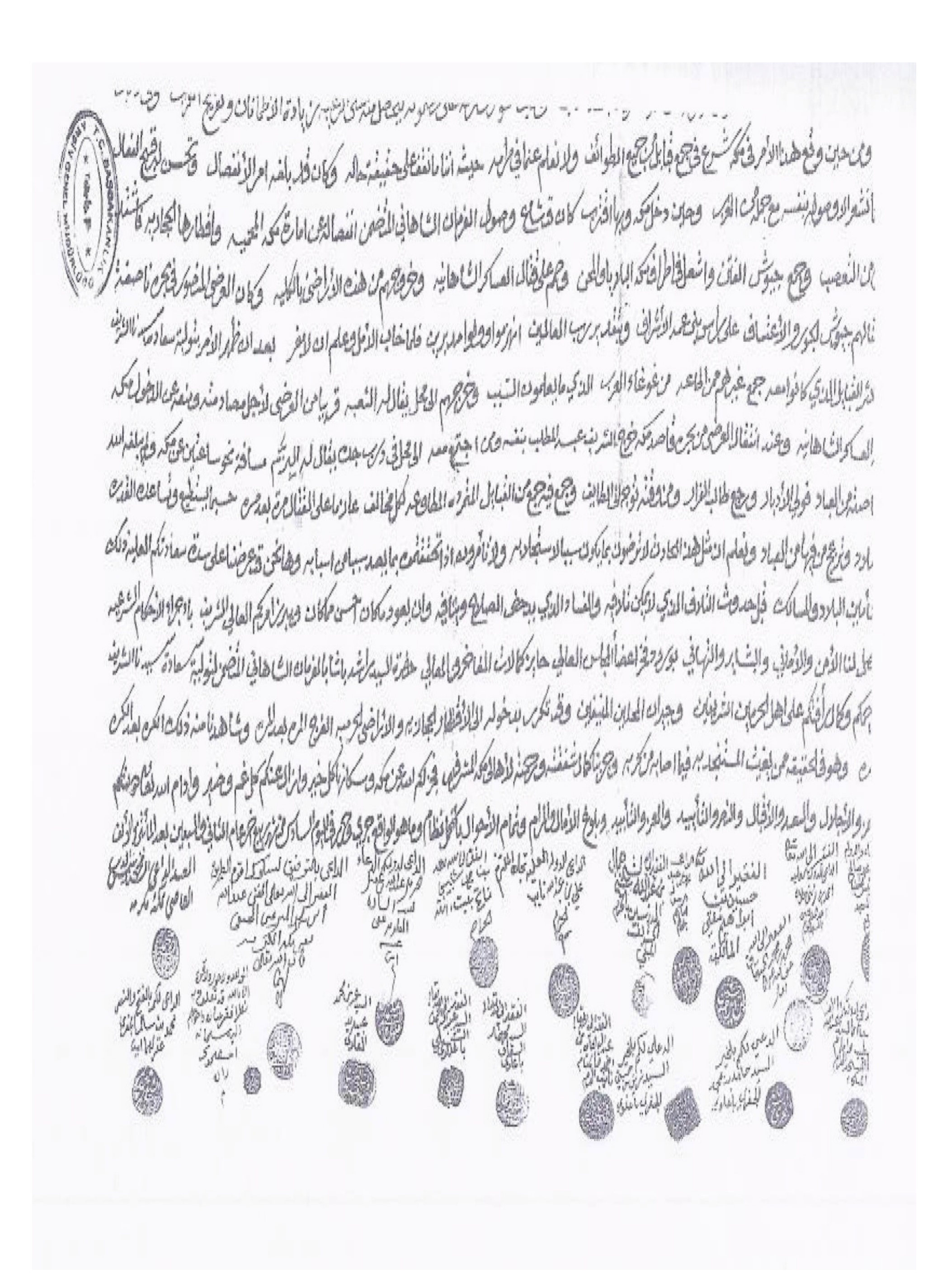
[illegible] وصوله بنفسه مع [illegible] وحين دخل مكة [illegible] كان [illegible] ووصول [illegible] الشاهانية [illegible]

[illegible]

(تابع لوحة : ٥)



(تابع لوحة : ٥)



(لوحة : ٦)

تشكيل أول مجلس أهلي عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م)[1] .

المجلس الاهلي عام ١٣٤٣ *

على اثر وصول جلالة الملك عبد العزيز الى مكة عام ١٣٤٣ شرع يفكر في احسن الاساليب لادارة شؤون البلد باستشارة اهل الحل والعقد فيها . ورأى جلالته أن يعقد اجتماعا لذلك الغرض فعقد في اليوم الثاني والعشرين من شهر جمادى الاولى ١٣٤٣ هـ والقى جلالته على المجتمعين خطابا ننقل منه الفقرات الآتية :

" ان ديارا كدياركم تحتاج الى اهتمام زائد في ادارة شؤونها وعندنا مثل يعرفه الناس جميعا وهو أن اهل مكة ادرى بشعابها . فأنتم اعلم ببلدكم من البعيدين عنكم وما أرى لكم احسن من أن تلقى مسؤوليات الاعمال على عواتقكم وأريد منكم ان تعينوا وقتا يجتمع فيه نخبة العلماء ونخبة الاعيان ونخبة التجار جميعا وينتخب كل صنف من هؤلاء عددا معينا كما ترتضون وتقررون وذلك بموجب اوراق تمضونها من المجتمعين بأنهم ارتضوا اولئك النفر لادارة مصالحهم العامة والنظر في شؤونهم ثم هؤلاء الاشخاص يعطون زمام الامور فيعينون لانفسهم اوقاتا معينة يجتمعون فيها ويقررون ما فيه المصلحة للبلد وجميع شكايات الناس ومطالباتهم يجب ان يكون مرجعها هؤلاء النخبة من الناس ويكونون ايضا الواسطة بين الاهلين وبيني فهم عيون لي وآذان للناس يسمعون شكاويهم وينظرون فيها ثم يراجعونني .

أنني اريد من الهيئة التي ستجتمع لانتخاب الاشخاص المطلوبين ان يتحروا المصلحة العامة ويقدموها على كل شيء فينتخبوا اهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة ويكونون من اهل الغيرة والحمية والتقوى .

تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة ولكن كثيرا من تلك المجالس تكون وهمية اكثر منها حقيقية تشكل ليقال ان هنالك مجالس وهيئات ويكون العمل بيد شخص واحد وينسب العمل للمجموع اما انا فلا اريد هذا المجلس الذي ادعوكم لانتخابه اشكالا لا وهمية . وانما اريد شكلا حقيقيا يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة .

* المصدر : كتاب (البلاد العربية السعودية) بقلم : فؤاد حمزه
الناشر : مكتبة النصر الحديثة — الرياض

٥٧٠٨٤

(١) معهد الإدارة العامة : مركز الوثائق ، وثيقة رقم (٥٧٠٨٤) .

(تابع لوحة : ٦)

تشكيل أول مجلس أهلي عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) .

- ٢ -

لا أريد اوهاما وانما اريد حقائق ، اريد رجالا يعملون . فاذا اجتمع اولئك المنتخبون وأشكل علي امر من الامور رجعت اليهم في حله وعملت بمشورتهم وتكون ذمتي خالصة من المسؤولية ، واريد منهم ان يعملوا بما يجدون فيه المصلحة وليس لاحد من الذين هم الحوالي سلطة عليهم ولا على غيرهم .

واريد الصراحة في القول لان ثلاثة اكرههم ولا اقبلهم : رجل كذاب يكذب على عمد ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملق ، فهؤلاء ابغض الناس عندي .

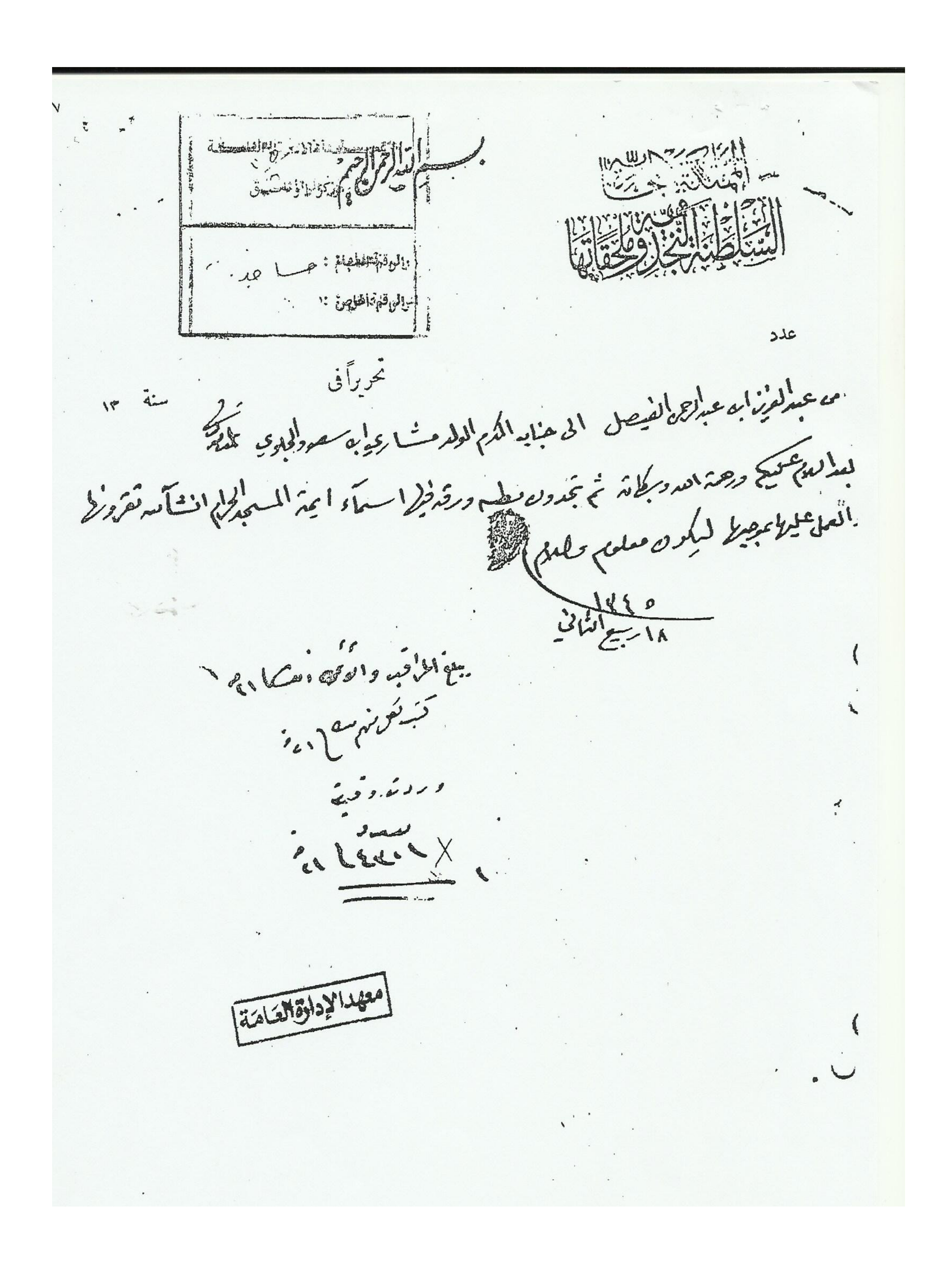
فارجوكم بعد هذا المجلس ان تجتمعوا بالسرعة الممكنة وذلك بعد ان تنظموا لي قائمة باسماء الذين سيجتمعون من كل صنف من الاصناف الثلاثة لاقابلها على القائمة التي عندي فاتحقق من ان جميع اهل الرأي اشتركوا في انتخاب المطلوبين "

وقد اجتمع الاعيان وانتخبوا الاشخاص الآتية اسماؤهم اعضاء في هذا المجلس الذي اطلق عليه اسم المجلس الاهلي وهم :

الشيخ عبد القادر الشيبي وقد انتخب رئيسا ، محمد بن يحي بن عقيل السقاف ، عباس حجيلي ، بكر باحميل ، عباس مالكي ، ، محمد نور ملائكه ، عمر طوسوي ، امين عاصم محمد نور فطاني ، سليمان نائب الحرم ، تاج قطب ، سرجان .

(لوحة : ٧)

مرسوم ملكي بخصوص تعيين أئمة المسجد الحرام ، وتوحيد الصلاة خلف إمام واحد[١] .



بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها

عدد

تحريراً في   سنة ١٣

من عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل الى جناب المكرم الولد مشاري ابن سعود الجلوي سلمه الله

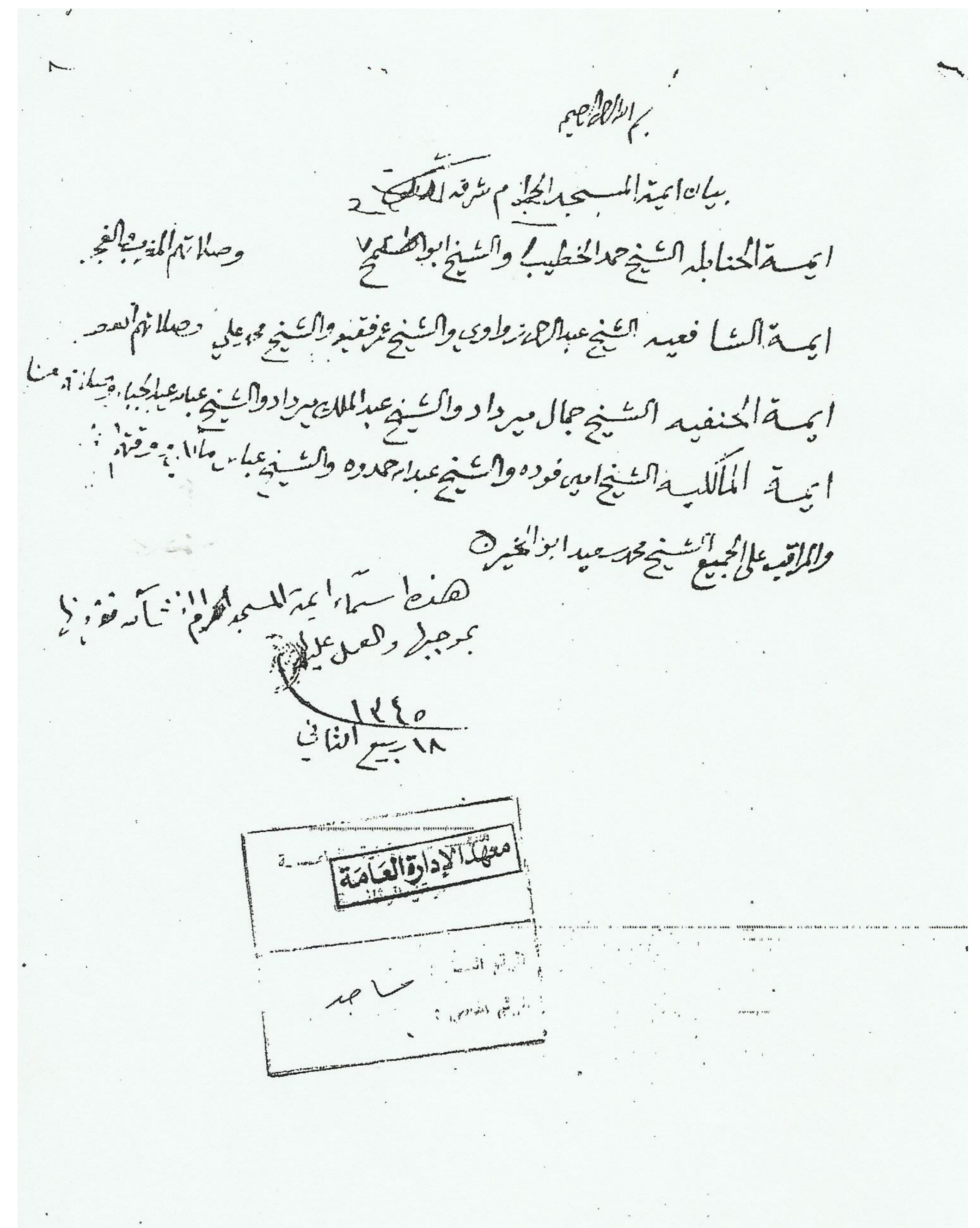
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم تجدون بطيه ورقة فيها اسماء ايمة المسجد الحرام ان شاء الله تقررون العمل عليها بجميع ليكون معلوم والسلام

١٨ ربيع الثاني ١٣٤٥

(١) معهد الإدارة العامة : مركز الوثائق ، وثيقة رقم (بدون) .

(تابع لوحة : ٧)

مرسوم ملكي بخصوص تعيين أئمة المسجد الحرام ، وتوحيد الصلاة خلف إمام واحد



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ايمة المسجد الحرام شرفه الله تعالى

ايمة الحنابلة الشيخ حمد الخطيب والشيخ ابو السمح وصلاتهم المغرب والفجر.

ايمة الشافعية الشيخ عبد الله زواوي والشيخ عمر فقيه والشيخ محمد علي وصلاتهم العصر.

ايمة الحنفية الشيخ جمال ميرداد والشيخ عبد الملك ميرداد والشيخ عباس عبد الجبار وصلاتهم [illegible]

ايمة المالكية الشيخ امين فوده والشيخ عبد الله حمدوه والشيخ عباس مالكي [illegible]

والمراقب على الجميع الشيخ محمد سعيد ابو الخير.

هذه اسماء ايمة المسجد الحرام [illegible] بموجبه والعمل عليه

١٣٤٥

١٨ ربيع الثاني

معهد الإدارة العامة

ساجد

(لوحة : ٨)

كلمة الشيخ محمد بهجت البيطار في صحيفة أم القرى عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) (١) .

العدد ١٠٥ — السنة الثالثة

أم القرى

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر »
« أم القرى ومن حولها »

يوم الجمعة ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ — مكة المكرمة — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٦

ف خق السعد باد والسعود تواكبه ◦ ولاحت على افق الحجاز كواكبه
ي يساوون من نال المكارم والعلى ◦ وقد عرفت في العالمين مناقبه
ص صبا بمجد شعبي في الحجاز فانه ◦ على اهله امن وطابت مشاربه
ل لعمري لقد نال الحجاز بفيصل ◦ ومنه أنسا كتم ما آربه
ا اقول لاصحابي وقد بان الكرى ◦ ما تقينا والليل داج غياهبه
ب بدا الطالع الميمون من آل فيصل ◦ همام تسامت في [illegible] مناسبه
ن نماه الى الاصل الاثيل الذي سما ◦ ابوه بمجد تاهت جوانبه
ح على خيله نصر من الله لائح ◦ وفي كل ارض من فلات ركائبه

ب [illegible] الفج البعيد الى المدى ◦ اذا الخرو طت للسالكين سبائبه
د دعا علماء البلاد كل مجرم ◦ وكل صديق جاءته مواهبه
ا اتام منار الحق بعد اندراسه ◦ وتسد ابناؤه وكتائبه
ل امد عطاء المجد كل مفازة ◦ من الارض اوفجا تنادى ثعالبه
ع على فيصل من والديه ملا سمح ◦ تناجيه اسعد العلى وتخاطبه
ز زها عمياء الحجاز وقد بدا ◦ تليه وخاض البحر خضر اغواربه
ي يسر الاداني والاعادي يفرها ◦ اذا قضيت اوطاره ومطالبه
ز زمانه طاب الحجاز لاهله ◦ وعيشهم رغدا اذا دام صاحبه
(محمد بن بليهد)

توحيد الأمة
بتوحيد الأئمة

للمسجد الحرام ، هو مهد الاسلام ، ومطاف المسلمين كافة ، فما يظهر فيه من ألفة ومحبة ، وما يتم فيه من اصلاح ، يفوح شذى عرفه في سائر الاقطار الاسلامية ، فيكون له اجل وقع في نفس كل مسلم غيور على دينه وامته .

لبثت جراثيم الفساد تفتك في جسم الامة المحمدية دهر آطويلا ، وكان المتعصبون [illegible] القائلون ومن تبعهم من دعاة السوء محاولون الدين الذي هو اقوى جامع للمسلمين ، ومؤلف بينهم ، أداة لتفكيك روابطهم ، وحل عرى وحدتهم .

كان الدور الاول منذ قرن ونصف تقريبا دور تكفير المسلمين بعضهم لبعض ، وتلته حروب وفتن كقطع الليل المظلم ، ونبز اخواننا النجديون باسوأ الالقاب ، وافتريت عليهم مفتريات كانت تخدع الاغرار الغافلين ، وتوسف العقلاء المالين بحقائق الامور ، ومن هذه المفتريات ان النجديين قاطبة يكفرون عامة المسلمين ، الاحياء منهم والاموات من عصر الصحابة الى عصرنا هذا ، الا من كان من اهل مذهبهم أو على طريقتهم !!!

فأخذ علماء نجد الغيورون على الدين ، وحفظ وحدة الاسلام ، يؤلفون الكتب والرسائل ، ويدفعون بها عن انفسهم المطاعن والمثالب ، ويبينون للناس حقيقة ماهم عليه من صحة المعتقد ويبرؤون الى المولى سبحانه مما عزى اليهم من المزاعم الباطلة ، لا سيما تكفير المسلمين ، اللهم الا من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة ، مجمعا عليه اجماعا صحيحا . وهم يسترشدون في أعمالهم بنصوص الكتاب والسنة ، وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، وقد طبعت تلك الرسائل ووزعت في كثير من الامصار الاسلامية فأزالت من العقول الحيرى المسترشدة كل شبهة ، وكشفت عن وجه الحقيقة كل تمويه وتضليل وقربت مسافة التلف بينهم التوحيد .

ثم ان الامام الملك المحبوب رأى ان أفضل ما تداوى به القلوب ، وينتزع به منها مثارات الشكوك هو جمع المصلين في كل صلاة على امام واحد ، كما [illegible] الاسلام [illegible] عمل السلف الصالح ، في خير القرون واقتداء بأسر أيدهم فقد ان يتناوب الامامة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الاربعة يأتم بكل واحد منهم فريق من جميع المصلين ، فتم ذلك بتوفيقه من يد الحد على أحسن وجه ، وعاد المسلمون في بيت الله الحرام كما كانوا جماعة واحدة .

فقضى الامام عبد العزيز آل السعود (أجزل الله ثوابه) بهذا التوحيد العملي على كل خلاف قديم ، وادخل عصر التفريق والتمزيق في خبر كان ، وبات القول بأن النجديين يكفرون اخوانهم المسلمين واخوانهم يكفرونهم أضحوكة العجائز والصبيان واسطورة الكذب والبهتان .

فنحن نذكر اخواننا المسلمين في سائر الاقطار الاسلامية بأن يحذوا حذو البيت الحرام ، قبلة الاسلام بالاقتصار على امام واحد لكل صلاة توحيدا للامة ، وجمعا للكلمة ، ونحذرهم من ضرر تعدد الجماعة في وقت واحد .

ونرى ان هذا من أهم مايجب ان يذكر في الدروس ، وينبه عليه في الخطب ، وينشر على أعمدة الصحف ، تحقيقا لقوله عز من قائل : « وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

محمد بهجة البيطار الدمشقي
المدرس في الحرم المكي

تصريحات
مولانا احمد العثماني

نشرت جريدة (الخليل) الهندية تصريحات فاه بها مولانا شبير احمد العثماني على اثر الاسئلة التي وردت اليه من مولانا حبيب الرحمن رئيس جماعة الخلافة نقتطف منها ما يلي :

وعندي ان الخطة المثلى التي يجب ان يسير عليها مسلمو الهند فيما يتعلق بالحجاز هي تقوية الرابطة الاسلامية بواسطة المؤتمر الاسلامي ، ومن بعده يمكننا المطالبة باصلاح الامور التي هي في حاجة الى ذلك [illegible] المؤتمر ان يكون ذا صوت مسموع ، اذا بقينا مصرين على مناوئة حكومة جلالة الملك ابن السعود التي دعتنا الى عقد مؤتمر لم يسبق ان اقدم على عقده احد من كبار السلاطين . ولذلك فان الاشخاص الذين يعتقدون في اصلاح الحجاز باخراج الملك ابن السعود منه ويعملون على تحقيق هذه الفكرة هم في خطاء مبين ، واطلب التريث في هذه الخطة التي تلحق بالمسلمين الاضرار الفادحة ، فالواجب يقضي عليهم بصرف هذه القوى في سبيل اصلاح الحجاز بدلا من ان يصرفوها في تحقيق فكرة عقيمة تزيد المسلمين متفتتا على الالة .

أما عقيدتي في النجديين فقد تغيرت بعد سفري الى الحجاز ودرس احوالهم ، بحيث وجدت ان ما كان يشاع عنهم هو اختلاق محض والتي اعترف بأن حكومتها هي اقرب الحكومات الاسلامية الى التمسك باحكام الشريعة الاسلامية والعمل بها

اما مقاطعة الحج فهو يدل على قصر نظر في العواقب الوخيمة التي تعود على الاسلام والمسلمين ، فهو لا يزيدهم الا شقاقا وتخاذلا .

وزراء الخارجية

بمناسبة قرب اجتماع عصبة الامم في جنيف سافر المستر اوستن تشمبرلن وزير الخارجية البريطانية الى باريس ، فاجتمع هناك بالموسيو بريان وقال ان البحث في هذا الاجتماع كان دائرا حول تحويل رقابة الحلفاء العسكرية في المانيا الى عصبة الامم والجلاء عن بلاد الرين

وقد صرح تشمبرلن للصحف بأن برنامج اعمال مجلس جمعية الامم استغرق معظم الحديث [illegible] عمومية لابد لوزيري خارجية في دولتين متحدتين في السير على سياسة السلام من النظر فيها معا ، وقد وجدت اننا متفقون في المسائل التي تناولها ولا سيما في ما يتعلق فيها باجتماع مجلس جمعية الامم المقبل

وفي اليوم التالي سافر المستر تشمبرلن والموسيو بريان الى جنيف لحضور اجتماع عصبة الامم

وتقول الصحف الايطالية ان السنيور موسوليني والهر ستريسمان والسر تشمبرلن سيجتمعون بعد انتهاء اعمال مجلس جمعية الامم وان لهذا الاجتماع علاقة بمسألة المستعمرات وان فرنسا وحدها تعارض اماني ايطاليا الاستعمارية .

وروت جريدة (ايكو دي باري) ان موسيو بريان وزير الخارجية الفرنسية وافق على الاشتراك في مؤتمر وزراء الدول الخارجية لينظر فيه في مسائل مختلفة من جملتها تعديل توزيع الانتداب .

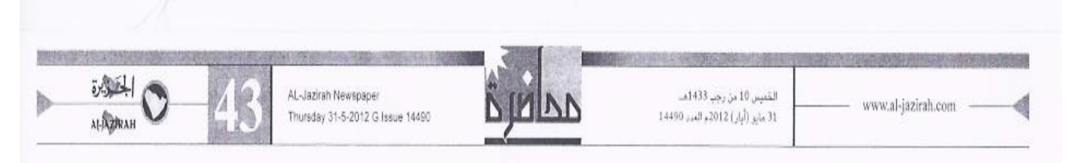
وتتحدث دوائر برلين السياسية بامكان اجتماع وزير خارجية المانيا بالسنيور موسوليني لعقد معاهدة تحكيم بين ايطاليا والمانيا .

---

(١) جريدة أم القرى : ع (١٠٥) ، عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) ، ص ١ .

(لوحة : ٩)

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن مشعل في صحيفة الجزيرة عام (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، حول توحيد الإمامة في المسجد الحرام[1] .



في محاضرته بجامعة شقراء حول المُرتكَز الإسلاميّ للأنظمة السعودية.. الأمير فيصل بن مشعل:

لو لم يكن للملك المؤسس حسنة على الأمة إلا توحيد الإمامة في الصلاة لكفاه

متابعة - بندر الرشودي

« لو لم يكن للملك المؤسس -طيب الله ثراه- حسنة على الأمة الإسلامية إلا توحيد الإمامة في الصلاة لكفاه»..

بهذه العبارة طرز صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز -نائب أمير منطقة القصيم- محاضرته الثرية التي ألقاها عبر منبر جامعة شقراء تحت عنوان (المُرتكَزُ الإسلاميّ للأنظمة السعودية)، مؤكداً أن خطوة توحيد الإمامة في الصلاة خلف إمام واحد في الحرم المكي والحرم النبوي بعدما كان الفرض الواحد يقام لأكثر من مرة لجميع المذاهب خلف العديد من الأئمة، تعد عملاً جباراً وخطوة تكشف مدى بعد نظر الملك عبدالعزيز ورغبته الصادقة في توحيد صفوف المسلمين والتي توجت بتوفيق الله عز وجل لمساعيه سائلاً الله العلي القدير أن يكتب ذلك في ميزان حسناته.

وقال سموه في المحاضرة التي تنشر (الجزيرة) مضامينها القيمة:

تعتبر الأسرةُ هي النواةُ الأولى للمجتمعات الإنسانية، انطلقت منها الشعوبُ، وتكونت منها الدولُ والأقطارُ، التي ترتبطُ فيما بينهما برابط اللغة أو الدين أو الأعراف.

وقد امتزجت هذه الشعوبُ فيما بينها، وتوطدت العلاقةُ عن طريق المصاهرة والأحلاف، ثم تطور الأمرُ حتى تكونت الإمبراطورياتُ الكُبرى التي جعلت من هذه التجمعاتِ دُولاً عظمى، ومن المعلوم أن أيّة تجمعاتٍ لا بد لها من أحكامٍ وأعرافٍ تحكُمها، وهذا ما حصل، فقد حُكمت تلك التجمعاتُ منذ البداية من الأُسرةِ وصولاً بالإمبراطوريات التي حكمتها أعرافٌ وأحكامٌ اصطلحوا عليها فيما بينهم، تتصفُ تلك الأحكامُ بصفاتٍ كُبرى، منها: أنها مُلزمة للجميع، لا يجوزُ الخروجُ عنها وعن قواعدها العامة، ومن خرج عنها فإنه يستحقُ الجزاءَ، بل الجزاء الرادعُ المانعُ لغيرهِ من الخروج عليها، وهذه الأحكامُ والأعرافُ شبيهةٌ بالقواعد النظامية في عصرنا الحاضر.

وكان المجتمعُ العربيُّ، ضمن هذه التكوينات الاجتماعية وفي إطارها، تحكمهُ أحكامٌ وأعرافٌ، تطورت تلك الأعرافُ في المجتمع العربي ابتداءً من الأسرة مرورًا بالقبيلة ثم مجموعة القبائل تصطبغُ أحكامُها بصبغة الإرث الحضاري والثقافي لكل أسرةٍ وقبيلة، ولو أردنا أن نعود إلى الوراء في تاريخ البشرية لوجدنا أن التجمعاتِ الإنسانية كان لها أن كُونت تجمعاتٍ ودُول وأقطار.

وقد حكم تلك التجمعاتِ بدءًا من تكوينها الأول سواء الأسريّ أو القبلي، إلى أن بلغت ذروة الوَحدة أعرافٌ وأحكامٌ اصطلحوا فيما بينهم عليها، وكانت مُلزمةً للكافة، ولا يملك الأفرادُ الخروج عن قواعدها العامة، ثم توسع الأمرُ فأصبح بين القبائل بعضها وبعض قواعدُ ناظمةٌ تحكمها ولا يجرؤون على تخطيها، تحسّبًا من بطش الجزاء الذي اصطلحوا عليه، وأصبح هناك العديدُ من التنظيماتِ التي اصطلح عليها الكثيرُ من التجمعاتِ الإنسانية، التي شكّلت فيما بعد أُطرًا نظاميةً لعلاقاتهم الإنسانية، ومن ثمّ أصبح النظامُ ضرورةً إنسانيةً تدورُ وجودًا وعدمًا مع وجود التجمع البشري الذي ينتجُ عن تعاملاتِ أفرادِه الكثيرُ من النزاعات التي تحتاجُ إلى ضابطٍ ورابطٍ، إذ لو تُرك المجالُ للنزعاتِ الفرديةِ لأصبح الأمرُ ضمنَ مفهوم الثأرِ الشخصيّ وصار الأمرُ إلى مبدأ القوة تُنشِئُ الحقَّ وتحميه، وغلت النزعاتُ الفردية، وانهارت القيمُ الإنسانيةُ في المجتمعات.

ومع بزوغ فجرِ الحضارة العالمية التي فجّرها الدينُ الحنيفُ الذي نظّم شؤونَ البشرِ في معاشِهم ومعادِهم، كان فجرًا جديدًا لحضارةٍ وتنظيم، بلغ بها ما لم تبلُغْهُ كافّةُ الحضاراتِ الغربية، واتسمت قواعدُه بالصلاحية لكل زمانٍ ومكان، فلم تنل قواعده الركينة تحريفٌ أو تغييرٌ وفق الأهواء والنزعاتِ والمصالح، وحازت هذه القواعدُ بهذه الميزةِ الرصينة، نظراً لما تحويه قواعدُه من قواعد ثابتة لا تتغيرُ باختلاف المكان ولا الزمان ولا الأشخاص، وقواعد أخرى ترك لنا الشارعُ عزّ وجلّ ميزةَ تطويعها وفق مصالح العباد دُون الخروج عن الإطارِ العام للقواعد الكلية التي جاءت الشريعةُ بها.

ورغم ذلك فإنّه ما زال الكثيرُ من العامة والمبتدئين يخلطُ بين أمرين في غاية الدقة، هُما القواعدُ الشرعيةُ الثابتةُ بتغير الأزمنة والأمكنةِ والأشخاص، والقواعدُ المرنةُ التي جاءت بها الشريعةُ لتعالجَ الأوضاعَ المستجدةَ والنوازل، فجعل البعضُ يصفُ الثانية بالمحرمة إن تمّ تنظيمُها ووضعُها في قالبٍ نظاميٍّ (قانون)، مستندًا إلى أن الشريعةَ لم تعترف لغير قواعدها بالتحكيم أو الاحتكام، وتوسعوا في الأمرِ مغالاةً وأنكروا فكرةً ما سُنّ لضابط المصلحة، وتمسكوا بالقواعد الكلية التي لا تُنكرُ عليهم الحقّ في التمسك بها، فإذا قيل برجم الزاني المُحصن، وقتل القاتل، وجلد الزاني غير المحصن، وقطع يد السارق، قلنا: صحيحٌ طالما كان الفعلُ متوافرًا فيه شروط



سموه خلال المحاضرة

المُصلح الكبير الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب يومَ قدِم إليه، ثم ساعدهُ على نشر دعوة التوحيد والإصلاح، وبالفعل انتشرت هذه الدعوةُ انتشارًا واسعًا، وتوالت الدولةُ السعودية على هذا النهج إلى أن وصلت للدولة الحديثة التي سارت على درب مؤسسها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمهُ اللهُ تعالى، الذي اتخذ من الشريعةِ وأحكامها ومن التوحيد نبراسًا لنهج الدولة ودُستورها، وأسّس الحُكم في المملكة على نهجٍ من القرآن والسنة، ثم تبعه في ذلك خليفتُه الملكُ سعودُ -طيّب اللهُ ثراهُ- الذي قال في حديثِه (فدستورُنا القرآنُ، وشريعتُنا في عباداتنا ومعاملاتنا ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى اللهُ عليه وسلمَ وما عليه الخلفاءُ الراشدونَ والتابعونَ لهم بإحسان، ومبادئُنا الاجتماعيةُ هي المبادئُ التي جاء بها الإسلام).

وتوالت الأنظمةُ والوثائقُ الدستوريةُ التي كانت بمثابة لبنة البناء في صرح التنظيم السعودي فكان أوّلها قانون الحجاز الأساسي لسنة 1926م ستة وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد، ونظام مجلس الوكلاء لسنة 1931م إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف، ونظام مجلس الشورى، ونظام مجلس الوزراء وتعديلات هذه النُظم المختلفة.

إلى أن صدر النظامُ الأساسيُ للحكم الصادر بالأمر الملكيّ رقم أ/90 وتاريخ 27-08-1412هـ السابع والعشرين من شعبان عام اثني عشر وأربعمائة وألف، ونصّ في مادته الأولى على الآتي: (المملكةُ العربيةُ السعوديةُ دولةٌ إسلاميةٌ ذات سيادةٍ تامة، دينُها الإسلامُ، ودستورُها كتابُ الله وسنة

عن سابقتها، وهي الضمانةُ الشرعيةُ التي كفلت للنظام السعودي مشروعيتَه، بمعنى أن النظام السعوديّ انبثق عن معتبرٍ شرعيٍّ خالص، هو من فروع الفقه الإسلاميّ الموسوم بـ(السياسة الشرعية) ذلك العلمُ الذي لم يضطلعْ به إلا العلماءُ الأفذاذُ الذين كابدوا مشقّةَ الخوض في غماره، رغمَ ما لاقوهُ من معارضاتٍ واتهاماتٍ بالتملق والمحاباةِ والمداراة، حيث لم يدركْ العوامُ ممن هاجموهم بُعْدَ نظرهم فيما كابدُوه، رغم تلمّسهم المصلحة الشرعية، وعليها دارت فتاواهُم واجتهاداتُهم في فَلَكِ مراعاةِ المصلحة على خلاف مستندها الشرعيّ، طالما لم تُخالفْ أصلاً من أصول الشرع الحنيف، فما جاءت به الشريعةُ وثبت عدمُ مخالفتها له، وما لم يكن مناقضا لروح التشريع العامة والمقاصد الأساسية والأصول الكُلية التي عُنيت الشريعةُ بالمحافظة عليها، ولو لم يرد بها نصٌ خاصٌ بعينه، هو ضابطُ السياسة الشرعية التي ميّزها عن غيرها من السياسات.

أما مجلسُ الشورى وهو الجهةُ التنظيميةُ في المملكة فنصت المادةُ الثانيةُ من نظامه على ما يلي: (يقومُ مجلسُ الشورى على الاعتصام بحبل الله والالتزام بمصادر التشريع الإسلامي..).

وإذا كانت جميعُ أنظمة المملكة العربية السعودية يحكمُها كتابُ الله وسنةُ رسوله -صلى الله عليه وسلّم- وتلتزمُ بمصادر التشريع الإسلاميّ، فإنها، والحالةُ هذه، جُزءٌ من الشريعة الإسلامية.

لكنْ لتوضيح هذه المشروعية التي اتسمت بها الأنظمةُ في المملكة كان الوقوف

10- نظام المطبوعات والنشر: المادة التاسعة والمادة السادسة والثلاثون.

11- نظام الأوراق التجارية: المادة التاسعة عشرة والمادة العشرون والمادة التاسعة عشرة بعد المائة والمادة العشرون بعد المائة.

12- نظام ضريبة الدخل: المادة الثانية.

13- نظام مؤسسة النقد: المادة السادسة.

14- نظام العمل والعمال: المادة الخامسة والثمانون بعد المائة.

15- جميع الاتفاقيات التي أبرمتها الدولة ينُص فيها على (يعمل الطرفان المتعاقدان طبقاً للأنظمة الداخلية في كل منهما) أو (يعمل الطرفان المتعاقدان وفقاً للأنظمة والقوانين المعمول بها في كلا البلدين).

ولم يقتصر الأمر على الأنظمة واللوائح بل تعدى ذلك إلى ما تُبرمه الدولة من اتفاقيات دولية في مُختلف الأنشطة السياسية والتجارية والتعليمية والسياحية وغيرها حيث قُيدت هذه الاتفاقيات بأن تكون وفق الأنظمة الداخلية لكل بلد ومنسجمةً مع الشريعة الإسلامية.

وبالتالي فإن السلطة التنظيمية في المملكة تتقيّدُ أيضاً بما لا يُخالفُ التشريع الإسلاميّ، وتنظيمُها يكونُ مبناهُ على تلمُس المصلحة والمفسدةِ وسدِّ الذرائع، هذه التنظيماتُ لم تنشأ من عدمٍ بل إنها ترتكنُ إلى أصلٍ عامٍّ وقاعدةٍ مرعيةٍ مُسْبقًا، تلك التنظيماتُ جاءت لتكشف عن حكم الشرع فيما استجدَّ من نوازل، أو ما طرأ من تغيرات تحتاجُ إلى معالجة بما يُوصدُ الباب على متلمسي ثغراتِ الأحكام، ولاشكّ أن الأحكامَ الظنية التي لم يرد فيها نصٌّ قطعيٌّ ولا إجماعٌ هي التي تقبلُ التغيير وفق تغيُّرِ الظروف المحيطة بالبيئة وتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف وغيرها، وهناك العديدُ من الأمثلة التي كانت مضرب المثل في الأنظمة الحالية والتي تغيرت إما بتشديد جزاء مخالفتها، أو بتخفيف الجزاءات وفقاً لما طرأ على المجتمع من تغيُّراتٍ أثرت فيه.

وقد فصّل علماءُ الأصول في مسألة الفرق بين طاعة وليّ الأمر في المعروف وتغييره للأحكام فقالوا: (فإن طاعته في هذا، أي طاعته في المعروف، تشتملُ على ناحية وجوب طاعته لكونه أميرًا، أمر اللهُ بطاعته وأوجب برّه، وعدم الخروج عليه أو على أوامره، بغض النظر عن كونه مجتهدًا أو مستعينًا بأهل الفقه والاجتهاد، ما دام الذي يأمرُ به ليس معصيةً، أي لا يأمرُ بما حرّمَ اللهُ ولا ينهى عما ألزمنا به اللهُ تعالى، أما عدا ذلك فيجوزُ أن يضع له من الأنظمة ما يرى فيه

إليه الدراسة، حيث عبّر الشيخُ رحمه اللهُ عن رضاهُ عن بعض موادّ النظام لعدم معارضته للشريعة في الجملة، وبيّن بعض ملحوظاته وبين في كلّ ملحوظةٍ البديلَ الشرعيَّ لها، وكلُّها ملحوظاتٌ ومقترحاتٌ لم يَخْرُجْ فيها عن مبادئ علم الأنظمة.

ثم فصّل القول الشيخُ محمدُ الأمينُ الشنقيطي صاحبُ أضواء البيان، وذكر بأن الأنظمة الوضعية تتعددُ تبعًا لما تقضي به، فالتي قضتْ بكُفْر خالق السماوات والأرض بلا شكّ أنظمةٌ فاسدةٌ كافرة، وغيرُ ذلك فلا، ثم قسم الأنظمة إلى أنظمةٍ إدارية وشرعية، وهذا بيانُ ما ذكره رحمهُ الله (اعلم أنه يجبُ التفصيلُ بين النظام الوضعيّ الذي يقتضي تحكيمُه الكفر بخالق السماوات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك، وإيضاح ذلك: أن النظام قسمان: إداريّ وشرعيٌّ، أما الإداريُّ الذي يُرادُ به ضبطُ الأمور وإتقانُها على وجهٍ غير مخالفٍ للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة، فمن بعدهم، فمثلُ هذا من الأمور الإدارية التي تُفعلُ لإتقان الأمور مما لا يخالفُ الشرع لا بأس به كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجهٍ لا يخالفُ الشرع، فهذا النوعُ من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يَخْرُجُ عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة.

أما النظامُ الشرعيُّ المخالفُ لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمُهُ كفرٌ بخالق السماوات والأرض كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وكدعوى أنّ تعددَ الزوجات ظُلْمٌ، وأن الطلاق ظُلْمٌ للمرأة، وأن الرجْمَ والقطعَ ونحوهما أعمالٌ وحشيةٌ لا يسوغُ فعلُها بالإنسان ونحو ذلك.

ومن ثمّ فإذا كان الإمامُ ملزمٌ بالتقيد بالشرع في كل أمر عند سنّ الأنظمة، وطاعةُ الإمام مقيدةٌ بالتزامه بالشرع، فإذا لم يكن النظامُ مخالفًا للشرع فإنه تقتضيه الشريعةُ الإسلاميةُ، وواجبُ طاعتهُ بأمر الله بالتزامه بالشرع، لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، وإذا أكدت لنا كافةُ النصوص الأساسيةُ الحاكمةُ في المملكة بأن النظامَ مرعيٌّ فيه نصوصُ الكتاب والسنة، وأن السلطة التنظيمية تلتزمُ بمصادر التشريع الإسلامي، كان حتمياً أن يكون النظامُ في المملكة مستمدًا شرعيتَه من الأنظمة الأساسية التي تقيدت بنصوص الكتاب والسنة ومصادر التشريع الإسلامي، ومستمدًا لشرعية ركينة أخرى هي أنه جاء فرعا عن السياسة الشرعية التي هي

---

(١) جريدة الجزيرة : ع (١٤٤٩٥) ، عام (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) ، ص ٤٣ .

(لوحة : ١٠)

مرسوم ملكي عام (١٣٧٧هـ) يقضي بتوسيع المطاف وإزالة المقامات الثلاثة[(١)] .

التاريخ
التوابع

ديوان رئاسة مجلس الوزراء

نمرة ١٢٥

الرقم العام : ماجد
الرقم الخاص :

قرار رقم ١٤ وتاريخ ٢٨/ ١/ ١٣٧٧

اطلع مجلس الوزراء علي المكاتبة المرافقة لهذا الواردة علي خطاب الديوان العالي رقم ٣/ ٦/ ٣٤٥ وتاريخ ٠/ ١/ ٧٧ والمشتملة علي ما ياتي :

١ ـ قرار الهيئة العلمية المؤلفة من اصحاب الفضيلة الشيخ عبد الملك بن ابراهيم والشيخ عبد الله بن جاسر والشيخ السيد عباس مالكي والشيخ محمد الحركان ه بمشاركة محمد بن لادن ومحمد صالح القزاز والمعلم حسين عجاج والمهندسين الفنيين طارق الشواف وطه قرملي ه حول توسيع المطاف والذى رات فيه مايلي .

ا ـ ازالة بناية بئر زمزم الحاليه واقامة بناية اخرى مكانها تحت الارض بحيث يصير سقفها مسامتا لارض المطاف وبحيث تبقي سقاية الحاج من بئر زمزم علي وضعها الحاضر .

ب ـ ازالة المقامات الثلاثة المحيطة بالمطاف وضم ارضها اليه بحيث تكون سعة المطاف دائرية حول الكعبة المطهرة في حدود الفضاء الذى يحصل بعد ازالة المقامات وبناية بئر زمزم .

جـ ـ اما مقام ابراهيم الخليل عليه السلام ـ فقد رات الهيئة بقاءه وعدم تغييره من مكانه ويمكن للطائفين ان يطوفوا من ورائه حيث لا محذور في ذلك .

د ـ بما ان المنبر وباب بني شيبه هما في مسامة مقام ابراهيم فقد رات الهيئة عدم ضرورة ازالتهما وبقاءهما تبعا لمقام ابراهيم .

هـ ـ بما ان المبلغين يقومون بالتبليغ في الوقت الحاضر من فوق بناية بئر زمزم ومن فوق بناية المقام الحنفي فترى الهيئة ان يقام للتبليغ بناء صغير مرتفع خارج المطاف في الموضع المناسب ليكون في امكان المبلغ مشاهدة الامام واداء التبليغ من فوق ذلك البناء .

و ـ روئ سد الحفرة الموجوده عن يمين الواقف امام باب الكعبة لما فيها من مضايقة للطائفين .

ز ـ رات الهيئة ان المصلحة عمل حاجز دائرى يقسم المطاف الي قسمين بحيث يكون القسم القريب من الكعبة المطهرة خاصا بالرجال والقسم الاخر خاصا بالنساء .

٢ ـ كتاب سماحة المفتي الاكبر رقم ١٢٩/ ٣٣/ ١ في ٩/ ١/ ١٣٧٧ الذى افاد فيه انه بعد الاطلاع علي قرار الهيئة المذكور اعلاه ظهر له مايلي .

اولا ـ جواز دفن الحفرة التي في المطاف عن يمين الواقف امام الكعبة المطهرة كما في القرار المذكور .

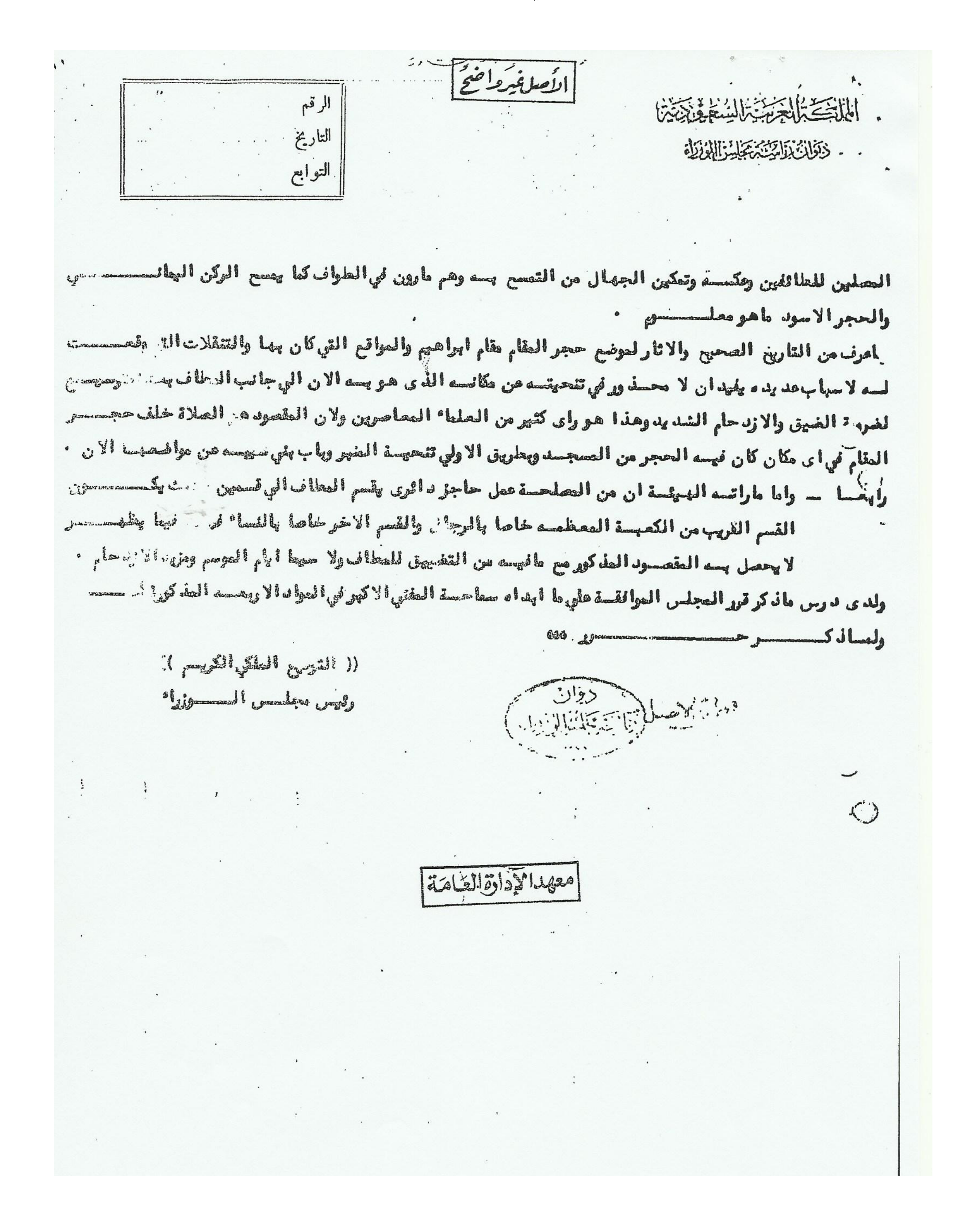
ثانيا ـ جواز توسيع المطاف بادخال المقامات الثلاثة وادخال بئر زمزم بالشكل المبقي لاصلها كما في القرار .

ثالثا ـ اما ماذكر في القرار من بقاء مقام ابراهيم والمنبر وباب بني شيبه بصفتهن في المطاف فهذا غير ظاهر وفيه من التضييق للمطاف وايقاع بعض الجهلة في شئ من الاعتقاد الفاسد بالطواف بالمقام ومضايقة

(١) معهد الإدارة العامة : مركز الوثائق ، وثيقة رقم (١٤) .

(تابع لوحة : ١٠)

مرسوم ملكي عام (١٣٧٧هـ) يقضي بتوسيع المطاف وإزالة المقامات الثلاث .



الأصل غير واضح

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم
التاريخ
التوابع

المصلين للطائفين وعكسه وتمكين الجهال من التمسح به وهم مارون في الطواف كما يمسح الركن اليماني
والحجر الاسود ماهو معلوم .
[illegible]اعرف من التاريخ الصحيح والاثار لموضع حجر المقام مقام ابراهيم والمواقع التي كان بها والتنقلات التي [illegible]
له لاسباب عديدة يفيد ان لا محذور في تحريكه عن مكانه الذى هو به الان الى جانب المطاف [illegible]
لضرورة الضيق والازدحام الشديد وهذا هو راى كثير من العلماء المعاصرين ولان المقصود هو الصلاة خلف حجر
المقام في اى مكان كان فيه الحجر من المسجد وطريق الاولى تنحية المنبر وباب بني شيبة عن مواضعهما الان .
رأيهما — واما ماراته الهيئة ان من المصلحة عمل حاجز دائري يقسم المطاف الى قسمين [illegible] يكون
القسم القريب من الكعبة المعظمة خاصا بالرجال والقسم الاخر خاصا بالنساء [illegible] فيما يظهر
لا يحصل به المقصود المذكور مع مافيه من التضييق للمطاف ولا سيما ايام الموسم ووقت الازدحام .
ولدى درس ماذكر قرر المجلس الموافقة على ما ابداه سماحة المفتي الاكبر في المواد الاربعة المذكورة [illegible]
ولما ذكر حرر ...

((التوقيع الملكي الكريم))
رئيس مجلس الوزراء

صورة الاصل
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

معهد الإدارة العامة

(لوحة : ١١)

مرسوم ملكي عام (١٣٧٧هـ) يقضي بتوسيع المطاف وبقاء مقام إبراهيم ﷺ ، وإزالة المقامات الثلاثة[١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

مؤسسة الادارة العامة
مركز الوثائق

الرقم العام :
الرقم الخاص : إقتصاد ودعوة وإرشاد

أحتاء - ٥٧

الرقم ٧٢٨٢
التاريخ ٥/٨/١٣٧٧
التوابع

صاحب المعالي وزير المالية والاقتصاد الوطني

الحاقا بماسبق اليكم برقم ١٢٠٠ وتاريخ ٣/٢/٧٧ عن توسعة المطاف تجدون طي هذا صورة من المرسوم الملكي الكريم الصادر برقم ٢٢٣٣/٢/٤/٢٧ وتاريخ ٢/٨/٧٧ في الموضوع ببقاء مقام ابراهيم وفوهة بئر زمزم في مكانهما وتوسعة المطاف من وراء ذلك .. نأمل اعتماد ماقضى به الامر العالي ... رئيس مجلس الوزراء

بأمره

نسخه مع نسخه من المرسوم لصاحب السمو الملكي وزير الداخلية
- - - - - - لرئيس اللجنة التنفيذية .
- - - - - - للامين العام لمجلس الوزراء .

ديوان رئاسة مجلس الوزراء ١٣٧٤

١٧/١١

وزارة الداخلية
عدد القيد ٨٧٥
التاريخ ٥/٨/٧٧
المرفقات

٥٠/٩

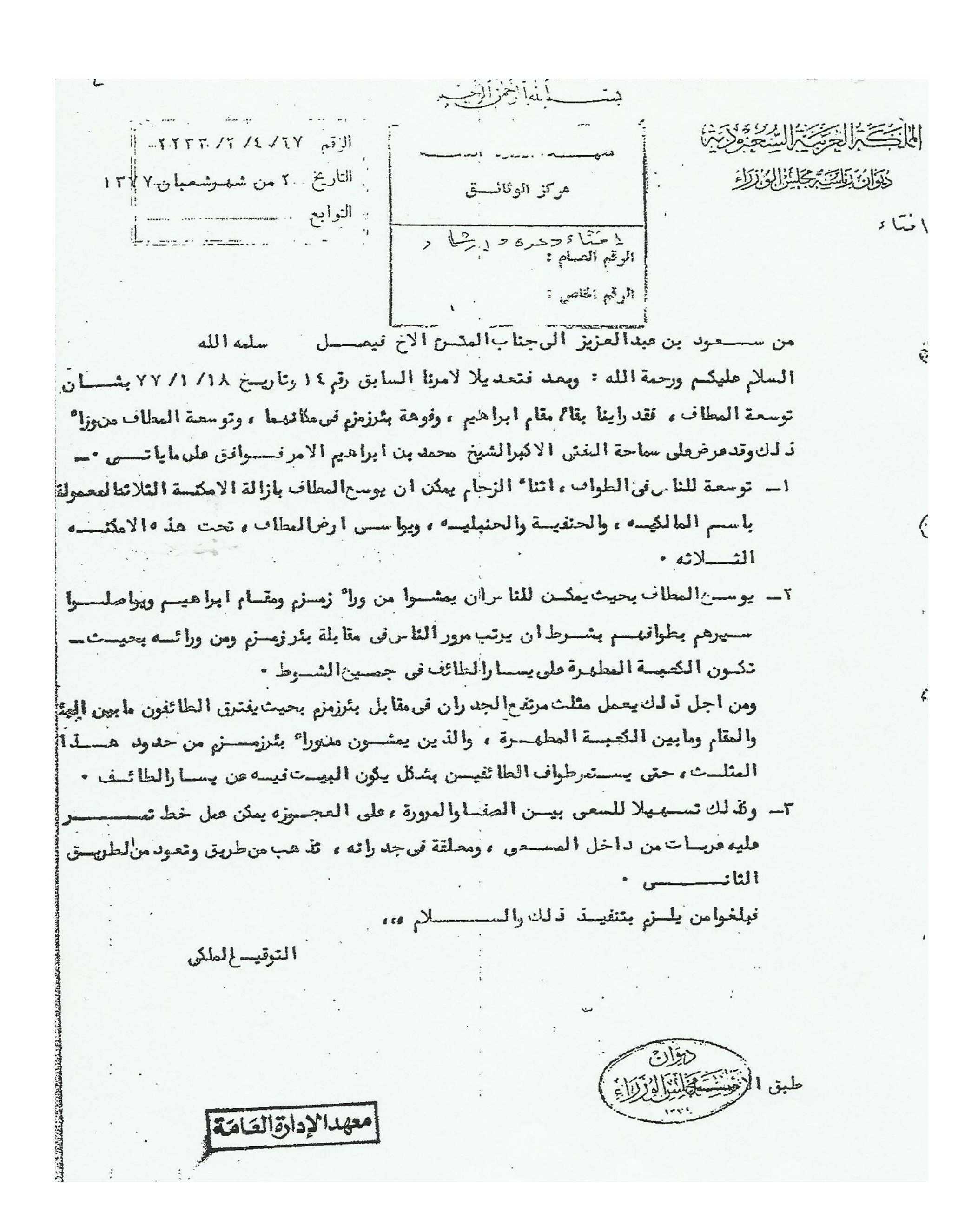
معهد الإدارة العامة

---

(١) معهد الإدارة العامة : مركز الوثائق ، وثيقة رقم (٢٧ / ٤ / ٢ / ٢٢٣٣) .

(تابع لوحة : ١١)

مرسوم ملكي عام (١٣٧٧هـ) يقضي بتوسيع المطاف وبقاء مقام إبراهيم عليه السلام ، وإزالة المقامات الثلاثة .



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

مركز الوثائق
الرقم العام :
الرقم الخاص :

الرقم ٦٧/ ٤/ ٦/ ٢٢٢٣٠
التاريخ ٢ من شهر شعبان ١٣٧٧
التوابع

من سعود بن عبد العزيز الى جناب المكرم الاخ فيصل سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله : وبعد فتعديلا لامرنا السابق رقم ١٤ وتاريخ ١٨/ ١/ ٧٧ بشأن توسعة المطاف ، فقد راينا بقاء مقام ابراهيم ، وفوهة بئرزمزم فى مكانهما ، وتوسعة المطاف من وراء ذلك وقد عرض على سماحة المفتى الاكبر الشيخ محمد بن ابراهيم الامر فوافق على ما ياتى :-

١- توسعة للناس فى الطواف ، اثناء الزحام يمكن ان يوسع المطاف بازالة الامكنة الثلاثة المعمولة باسم المالكيه ، والحنفية والحنبليه ، ويواسس ارض المطاف ، تحت هذه الامكنه الثلاثه .

٢- يوسع المطاف بحيث يمكن للناس ان يمشوا من وراء زمزم ومقام ابراهيم ويواصلوا سيرهم بطوافهم بشرط ان يرتب مرور الناس فى مقابلة بئرزمزم ومن ورائه بحيث تكون الكعبة المطهرة على يسار الطائف فى جميع الشوط .
ومن اجل ذلك يعمل مثلث مرتفع الجدران فى مقابل بئرزمزم بحيث يفترق الطائفون ما بين البئر والمقام وما بين الكعبة المطهرة ، والذين يمشون من وراء بئرزمزم من حدود هذا المثلث ، حتى يستمر طواف الطائفين بشكل يكون البيت فيه عن يسار الطائف .

٣- وكذلك تسهيلا للسعى بين الصفا والمروة ، على العجزه يمكن عمل خط تسير عليه عربات من داخل المسعى ، ومعلقة فى جدرانه ، تذهب من طريق وتعود من الطريق الثانى .

فبلغوا من يلزم بتنفيذ ذلك والسلام ،،

التوقيع الملكى

طبق الاصل
ديوان رئاسة مجلس الوزراء
١٣٧٧

ثانياً : ملحق الجداول

جدول رقم (١)

أسماء أئمة المقام الحنفي في الفترة التي يدرسها البحث[١]

٩٢٣ - ١٣٤٣ هـ / ١٥١٧ - ١٩٢٤ م

م	اسم الإمام	سنة الميلاد	سنة الوفاة	وظيفته
١	علي بن محمد بن محمد بن أحمد الصاغاني الحنفي	٨٧٠هـ	كان حياً في القرن ١٠هـ	إمام للتراويح
٢	أحمد بن محمد بن حسين البخاري الحنفي	-	٩٣٨هـ	إمام
٣	عفيف الدين عبدالله بن محمد البخاري الحنفي	٨٧٠هـ	٩٤١هـ	إمام
٤	إبراهيم بن علي بن إبراهيم القدسي الحنفي	-	كان حياً سنة ٩٤٤هـ	إمام بالنيابة
٥	شهاب الدين أحمد بن محمد البخاري الحنفي	٨٨٣هـ	٩٤٨هـ	إمام
٦	محمد بن أحمد بن محمد جمال الدين البخاري	-	كان حياً سنة ٩٢٤هـ	إمام
٧	سلام الله بن تقي الدين الكازروني البكري الحنفي	-	كان حياً سنة ٩٥٣هـ	إماموخطيب
٨	محمد أبوسلمة الطرابلسي الحنفي	-	٩٨٣هـ	إمام
٩	جارالله بن أمين الدين بن ظهيرة الحنفي	٩٠٤هـ	٩٨٦هـ	إمام وخطيب
١٠	عبدالكريم بن محب الدين بن أحمد أبو الفضائل قاضي خان القطبي الحنفي	٩٦١هـ	١٠١٤هـ	إمام
١١	أكمل الدين بن عبدالكريم بن محب الدين القطبي	٩٨٨هـ	١٠١٩هـ	إمام وخطيب
١٢	عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المرشدي	٩٧٥هـ	١٠٣٧هـ	إمام وخطيب
١٣	تقي الدين بن يحيى بن اسماعيل السنجاري	١٠١٠هـ	١٠٥٧هـ	إمام
١٤	محمد مكي بن عبدالمحسن بن عبدالخالق فروخ أبوعبدالله الموروي الحنفي	٩٩٦هـ	١٠٦١هـ	إمام وخطيب

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى، ١ / ٧٨، وما بعدها، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ٣٧، وما بعدها، والصبحي: وسام الكرم، ص ٨٢، وما بعدها، وعبدالله الغامدي: أئمة الحرمين، ص ١٠، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ٩٣٥، وما بعدها.

١٥	حنيف الدين بن عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد المرشدي العمري الحنفي	١٠١٧هـ	١٠٦٧هـ	إمام وخطيب
١٦	إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم بن محمد الطرابلسي	–	١٠٧٦هـ	إمام
١٧	إمام الدين بن أحمد بن عيسى بن مرشد المرشدي	–	١٠٨٥هـ	إمام وخطيب
١٨	يحيى بن أحمد بن زكريا البهاري الحنفي	–	١٠٩٠هـ	إمام بالنيابة
١٩	صبغة الله بن محمد مكي بن عبدالمحسن الموروي	–	كان حياً في القرن ١٢هـ	إمام وخطيب
٢٠	حسين بن حبيب السندي الحنفي	–	كان حياً سنة ١١٠٦هـ	إمام وخطيب
٢١	علي بن عمر المزجاجي الحنفي	–	كان حياً سنة ١١١٢هـ	إمام وخطيب
٢٢	علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري الحنفي	١٠٥٧هـ	١١٢٥هـ	إمام وخطيب
٢٣	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد شمس الرومي	١٠٧٢هـ	١١٣٧هـ	إمام وخطيب
٢٤	عبدالقادر بن أبي بكر بن عبدالقادر الصديقي الحنفي	١٠٨٠هـ	١١٣٨هـ	إمام وخطيب
٢٥	عيد بن محمد عيد بن محمد الأنصاري الحنفي	١٠٥٩هـ	١١٤٣هـ	إمام وخطيب
٢٦	محمد تاج الدين بن عبدالمحسن بن سالم القلعي	–	١١٤٩هـ	إمام وخطيب
٢٧	إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الرومي	–	١١٦١هـ	إمام وخطيب
٢٨	عارف بن محمد جمال الدين الحنفي	–	كان حياً سنة ١١٦٣هـ	إمام
٢٩	أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد شمس الرومي	–	١١٦٥هـ	إمام وخطيب
٣٠	أسعد بن عبدالله بن شمس الدين عتاقي الحنفي	–	١١٦٩هـ	إمام وخطيب
٣١	عبدالمنعم بن محمد تاج الدين بن عبدالمحسن القلعي	–	١١٧٤هـ	إمام وخطيب
٣٢	مصطفى بن محمد قيّم زادة الحنفي	–	١١٧٨هـ	إمام وخطيب
٣٣	أحمد بن عبدالقادر بن أبي بكر الصديقي	–	كان حياً في القرن ١٢هـ	إمام وخطيب
٣٤	علي بن عبدالقادر بن أبي بكر الصديقي	–	١١٨٧هـ	إمام وخطيب
٣٥	تقي الدين بن عمر بن عبدالقادر أمين الدين الزرعة	–	كان حياً في القرن ١٣هـ	إمام
٣٦	محمد بن محمد صالح بن محمد مرداد الحنفي	–	١٢٠٥هـ	إمام وخطيب

٣٧	عبدالملك بن عبدالمنعم بن محمد القلعي	-	١٢٢٨هـ	إمام وخطيب
٣٨	حسن بن مصطفى بن محمد بن قيم زادة الحنفي	-	١٢٤٣هـ	إمام وخطيب
٣٩	عبدالحفيظ بن درويش بن محمد بن حسن العجيمي	-	١٢٤٥هـ	إمام وخطيب
٤٠	عبدالرحمن بن عثمان بن عارف جمال الكبير	-	١٢٤٩هـ	إمام
٤١	محمد ياسين بن عبدالله بن محمد بن عبدالله المرغني	-	١٢٥٥هـ	إمام
٤٢	عبدالله عبدالشكور بن محمد بن عبدالشكور الحنفي	-	١٢٥٧هـ	إمام وخطيب
٤٣	عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد صالح مرداد	١١٦٣هـ	١٢٥٧هـ	إمام وخطيب
٤٤	أبوبكر بن عبدالوهاب الزرعة الحنفي	-	١٢٦٢هـ	إمام وخطيب
٤٥	عبدالمعطي بن محمد بن محمد صالح مرداد الحنفي	-	١٢٦٢هـ	إمام وخطيب
٤٦	عبدالمنعم بن سليمان قاضي الحنفي	-	١٢٦٢هـ	إمام
٤٧	مصطفى بن عبدالله بن عبدالرحمن مرداد الحنفي	-	١٢٦٤هـ	إمام وخطيب
٤٨	حمودة بن عطية السندي الحنفي	-	١٢٦٧هـ	إمام وخطيب
٤٩	عبدالله بن محمد صالح بن سليمان مرداد الحنفي	١٢١٠هـ	١٢٧١هـ	إمام وخطيب
٥٠	عبدالعزيز بن محمد صالح بن سليمان مرداد	-	١٢٧٥هـ	إمام وخطيب
٥١	محمد بن حسين الفتياني الحنفي	-	١٢٨٠هـ	إمام وخطيب
٥٢	محمد صالح بن سليمان بن محمد صالح مرداد	-	١٢٨٠هـ	إمام
٥٣	صلاح بن عطية السندي الحنفي	-	١٢٨٦هـ	إمام
٥٤	زين العابدين بن علي بن عبدالله عبدالشكور	-	١٢٨٧هـ	إمام وخطيب
٥٥	محمد علي بن سليمان بن عبدالمعطي مرداد	١٢٥٦هـ	١٢٩٤هـ	إمام وخطيب
٥٦	محمد صالح بن محمد حسين الكتبي الحنفي	١٢٤٥هـ	١٢٩٥هـ	إمام وخطيب
٥٧	عبدالله بن محمد بن عبدالله كوجك البخاري الحنفي	-	١٢٩٧هـ	إمام
٥٨	جمال مرداد الحنفي	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام
٥٩	أحمد بن حسين بن إبراهيم قنق الحنفي	١٢٧٠هـ	١٣٠٠هـ	إمام
٦٠	عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن علي العجيمي	١٢٥٣هـ	١٣٠١هـ	إمام وخطيب
٦١	إبراهيم العجيمي الحنفي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم

٦٢	إبراهيم نائب الحرم الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦٣	أبو بكر بن عبدالله مفتي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٦٤	أحمد مفتي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦٥	أحمد مفتي زادة الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦٦	أحمد ميرة الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٦٧	أحمد نائب الحرم الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٦٨	أسعد السني الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٦٩	أمين خداويروي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٧٠	حسن أيد نجقلي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٧١	حسن سني زادة أبو السعود الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٧٢	حسن القلعي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٧٣	حسن بن محمد بن عبدالله بن محمد كوجك البخاري	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٧٤	حسين قاضي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٧٥	حسين بن محمد بن حسين الفتياني الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٧٦	موسى حسين محمد حسين الفتياني	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
٧٧	حمزة مرداد الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٧٨	درويش مفتي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٧٩	سالم العجيمي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٨٠	سليمان نائب الحرم الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٨١	عبدالله علوي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٨٢	عبدالله حسين قاضي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٨٣	عبدالله السني الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٨٤	عبدالله مصطفى مرداد الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٨٥	عبدالحفيظ خوج الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٨٦	عبدالحميد شفي الحنفي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام

٨٧	عبدالرحمن مخدومي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٨٨	عبدالرحمن مفتي زادة الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٨٩	عبدالرحمن نائب الحرم الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٩٠	عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن عثمان جمال الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٩١	عبدالسلام قاضي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٩٢	عبدالغني العجيمي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٩٣	عبدالقادر العجيمي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٩٤	عبدالكريم صلاح الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٩٥	عبدالمعطي جمال الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٩٦	عبدالهادي بن محمد بن محمد حسين الكتبي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٩٧	عثمان حديدي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٩٨	علي القلعي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٩٩	علي المرغني الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١٠٠	عمر بن محمد بن عبدرب الرسول الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
١٠١	عمر مرداد الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٠٢	محمد أفندي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٠٣	محمد تقي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٠٤	محمد بن جعفر الرومي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٠٥	محمد بن حسن بن عبدالرحمن العجيمي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
١٠٦	محمد ذاكر خوج الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
١٠٧	محمد بن صالح عطية الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٠٨	محمد صالح العجيمي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
١٠٩	محمد صالح مرداد الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١١٠	محمد عباس مرداد الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب

١١١	محمد بن عبدالله بن محمد كوجك البخاري	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١١٢	محمد علي العجيمي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١١٣	محمد قاضي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١١٤	محمد المرغني الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١١٥	محمد ياسين الحنفي		كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١١٦	مصطفى مرعشلي الحنفي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١١٧	عبدالقادر بن محمد علي بن عبدالقادر خوقير	١٢٤٦هـ	١٣٠٤هـ	إمام
١١٨	محمد عارف بن عبدالقادر بن محمد علي خوقير	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام
١١٩	صديق بن عبدالقادر بن محمد علي خوقير الحنفي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام
١٢٠	حسن بن عبدالقادر بن طيب الحنفي	١٢٥٥هـ	١٣١٠هـ	إمام ملازم
١٢١	محمد مكي بن محمد بن محمد حسين الكتبي الحسني	–	١٣١٣هـ	إمام وخطيب
١٢٢	حسين بن محمد مكي بن محمد الكتبي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
١٢٣	أحمد بن محمد بن محمد حسين الكتبي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
١٢٤	عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن سراج الحنفي	١٢٤٩هـ	١٣١٤هـ	إمام وخطيب
١٢٥	حسن بن إبراهيم عرب السندي الحنفي	–	١٣١٦هـ	إمام ملازم
١٢٦	عباس بن جعفر بن عباس بن محمد بن صديق	١٢٤١هـ	١٣٢٠هـ	إمام ملازم
١٢٧	عبداللطيف بن عبدالله بن حمودة بن عطية الحنفي	١٢٧٩هـ	١٣٢٠هـ	إمام وخطيب
١٢٨	أحمد بن أمين بن محمد سعيد بن محمد العطار الشهير ببيت المال بن عبدالشكور	١٢٥٥هـ	١٣٢٣هـ	إمام ملازم
١٢٩	عثمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد الراضي	١٢٦٠هـ	١٣٣١هـ	إمام
١٣٠	عبدالملك بن عبدالوهاب بن صالح بن عيد الفتني	١٢٥٥هـ	١٣٣٢هـ	إمام للتراويح
١٣١	محمد صالح بن صديق بن عبدالرحمن كمال الحنفي	١٢٦٣هـ	١٣٣٢هـ	إمام وخطيب
١٣٢	أحمد بن عبدالله بن محمد صالح أبو الخير مرداد	١٢٥٩هـ	١٣٣٥هـ	إمام وخطيب
١٣٣	عبدالرحمن بن أحمد بن أسعد بن أحمد دهان الحنفي	١٢٨٣هـ	١٣٣٧هـ	إمام للتراويح

١٣٤	أسعد بن أحمد بن أسعد بن أحمد دهان الحنفي	١٢٨٠هـ	١٣٣٨هـ	إمام للتراويح
١٣٥	جعفر بن أبي بكر بن جعفر بن محمد لبني الحنفي	١٢٨٢هـ	١٣٤٠هـ	إمام
١٣٦	أمين بن محمد علي بن سليمان مرداد	١٢٧٧هـ	١٣٤٢هـ	إمام وخطيب
١٣٧	أحمد إسماعيل الحنفي	-	١٣٤٣هـ	إمام ملازم
١٣٨	خليل العجيمي الحنفي	-	١٣٤٣هـ	إمام
١٣٩	عبدالله بن أحمد بن عبدالله أبو الخير مرداد الحنفي	١٢٨٥هـ	١٣٤٣هـ	إمام وخطيب
١٤٠	درويش بن حسن بن محمد بن علي العجيمي الحنفي	١٢٧٦هـ	١٣٤٦هـ	إمام ملازم وخطيب
١٤١	رضوان مرداد المكي الحنفي	١٢٨٠هـ	١٣٥٠هـ	إمام وخطيب
١٤٢	حسن بن عبدالرحمن بن حسن العجيمي الحنفي	١٢٨٩هـ	١٣٦١هـ	إمام وخطيب
١٤٣	عبدالله بن محمد غازي الهندي الحنفي	١٢٩٠هـ	١٣٦٥هـ	إمام للتراويح
١٤٤	محمد بن عبدالرحمن بن محجوب المرزوقي	١٢٨٤هـ	١٣٦٥هـ	إمام للتراويح
١٤٥	مختار بن عثمان بن مخدوم السمرقندي الحنفي	١٣١٦هـ	١٣٦٧هـ	إمام للتراويح
١٤٦	سالم بن عبدالحميد شفي الحنفي	١٣٠٦هـ	١٣٧٣هـ	إمام
١٤٧	محمد نور بن محمد إبراهيم الكتبي الحسني	١٣٢٣هـ	١٤٠٢هـ	إمام

جدول رقم (٢)

أسماء أئمة المقام المالكي في المدة التي يدرسها البحث [(١)]

٩٢٣ -١٣٤٣ هـ/ ١٥١٧ - ١٩٢٤ م

م	اسم الإمام	سنة الميلاد	سنةالوفاة	وظيفته
١	عبدالوهاب بن يعقوب تاج الدين المالكي	–	كان حياً سنة ٩٣٦هـ	إمام
٢	حسين بن أبي بكر بن إبراهيم القبيباتي الدمشقي	–	كان حياً سنة ٩٤٢هـ	إمام للتراويح
٣	إبراهيم بن عبدالوهاب بن يعقوب برهان الدين	–	كان حياً سنة ٩٤٤هـ	إمام للتراويح
٤	حسين بن أبي بكر الحسيني المالكي	–	٩٩٠هـ	إمام
٥	خالد بن محمد بن محمد بن عبدالله الجعفري	-	١٠٤٤هـ	إمام وخطيب
٦	أحمد بن خالدبن محمد بن محمد الجعفري	–	كان حياً في القرن ١١هـ	إمام وخطيب
٧	علي بن خالد المالكي	–	كان حياً في القرن ١١هـ	إمام
٨	محمد بن تاج الدين بن أحمد الأنصاري المالكي	–	١١٣٧هـ	إمام وخطيب
٩	سليمان الدري المصري المالكي	–	١١٧٥هـ	إمام
١٠	عبدالوهاب المفتي بن محمد بن تاج الدين المالكي	٩٠٥هـ	كان حياً في القرن ١٢هـ	إمام وخطيب
١١	حسين مفتي بن علي المالكي	–	١٢٢٨هـ	إمام وخطيب
١٢	حسين بن إبراهيمبن حسين بن محمد الأزهري	١٢٢٢هـ	١٢٩٢هـ	إمام وخطيب
١٣	سليمان بن سعيد بن عثمان أبو الفرج العيباتي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام ملازم وخطيب
١٤	عبدالقادر بن علي المشاط المالكي	١٢٤٨هـ	١٣٠٢هـ	إمام
١٥	علي بن عبدالقادر مشاط المالكي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام
١٦	إبراهيم بن محمد كبير المالكي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٧	درويش الزواوي المالكي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى ، ٢ / ٦٢٣، وما بعدها، ومرداد: مختصر نشر النور، ص ٦٢، وما بعدها، والصبحي: وسام الكرم، ص ٨٣، وما بعدها، وصالح بن حميد: تاريخ أمة، ٣ / ٩٤٢، وما بعدها.

١٨	صديق المالكي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
١٩	سليمان بن محمد كبير المالكي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٢٠	عبدالرحمن بن محمد كبير المالكي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٢١	عبدالله المالكي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٢٢	عبدالعزيز عباس المالكي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام وخطيب
٢٣	محمد الأمير المالكي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٢٤	أبوبكر بن حجي بسيوني المالكي	١٢٢٥هـ	١٣١٠هـ	إمام وخطيب
٢٥	عمر بن أبي بكر بن حجي بسيوني المالكي	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
٢٦	يحيى بن أبي بكر بن حجي بسيوني المالكي	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
٢٧	سراج بن عمر بن أبي بكر بن حجي بسيوني	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
٢٨	حسن بن محمد الشهير بأبي زهير المالكي	-	١٣١٠هـ	إمام
٢٩	محمد بن عبدالعزيز بن عباس الحسني المالكي	١٢٨٧هـ	١٣١٢هـ	إمام وخطيب
٣٠	أحمد الزواوي المالكي	١٢٦٢هـ	١٣١٦هـ	إمام ملازم
٣١	عبدالله بن أحمد الزواوي المالكي	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام ملازم
٣٢	محمد بن أحمد الزواوي المالكي	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام ملازم
٣٣	محمد بن عبدالله المنصوري المالكي	-	١٣٢٨هـ	إمام وخطيب
٣٤	محمد عابد بن حسين بن إبراهيم بن حسن	١٢٧٥هـ	١٣٤١هـ	إمام ملازم
٣٥	عباس بن عبدالعزيز بن عباس المالكي	١٢٨٥هـ	١٣٥٣هـ	إمام وخطيب
٣٦	خليفة بن محمد بن موسى النبهاني المالكي	١٢٧٠هـ	١٣٥٥هـ	إمام
٣٧	شعيب بن عبدالرحمن الدكالي المغربي المالكي	١٢٩٥هـ	١٣٥٦هـ	إمام
٣٨	محمد علي بن حسين بن إبراهيم المالكي	١٢٨٧هـ	١٣٦٧هـ	إمام

جدول رقم (٣)

أسماء أئمة المقام الشافعي في المدة التي يدرسها البحث[١]

٩٢٣ - ١٣٤٣ هـ / ١٥١٧ - ١٩٢٤ م

م	اسم الإمام	سنة الميلاد	سنةالوفاة	وظيفته
١	عمر بن محمد بن محمد بن محمد سراج الدين ابن ظهيرة القرشي	٨٥٣هـ	كان حياً سنة ٩٢٧هـ	إمام للتراويح
٢	أبو اليمن بن محمد أبي السعادات الطبري	-	كان حياً في القرن ١٠هـ	إمام وخطيب
٣	محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد جمال الدين أبو السعود ابن ظهيرة الشافعي	٨٥٩هـ	كان حياً في القرن ١٠هـ	إمام للتراويح
٤	عبدالحق بن محمد أبي السعادات الطبري الشافعي	-	كان حياً سنة ٩٣٥هـ	إمام
٥	محمد بن محمد بن محمد البكري القاهري الشافعي	-	كان حياً سنة ٩٣٨هـ	إمام للتراويح
٦	أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الطبري الشافعي	-	كان حياً سنة٩٣٩هـ	إمام وخطيب
٧	عياض بن محمد بن عبدالبر زين الدين الطبري	-	كان حياً سنة ٩٤٢هـ	إمام للتراويح
٨	إسماعيل بن محمد أبي السعادات الطبري الشافعي	-	كان حياً سنة ٩٤٣هـ	إمام
٩	جعفر بن عصفور الكازروني الشافعي	-	كان حياً سنة ٩٤٣هـ	إمام
١٠	برهان الدين إبراهيم بن محمد الطبري الشافعي	-	٩٤٤هـ	إمام
١١	يحيى بن مكرم بن محب الدين الطبري الشافعي	-	كان حياً سنة ٩٤٤هـ	إمام
١٢	شهاب الدين أحمد بن عبدالحق السنباطي	-	٩٥٠هـ	إمام

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى ، ١ / ٤٣٤ ، وما بعدها، وعبدالقادر الطبري: إنباء البرية ، مكتبة الحرم المكي، (مخطوط)، رقم: ٢٧٦٧، ومرداد : مختصر نشر النور، ص ٥٣، وما بعدها، والصبحي: وسام الكرم ، ص ٨٢ ، وما بعدها، وصالح بن حميد: تاريخ أمة ، ٣ / ٩٣٦، وما بعدها.

١٣	أحمد بن محمد بن أبي اليمن الطبري الشافعي	٩٧٧هـ	١٠٠٢هـ	إمام
١٤	أحمد بن عبدالله بن محمد الطبري الشافعي	٩٢٧هـ	١٠٠٣هـ	إمام
١٥	محمد بن محب الدين بن يحيى الطبري الشافعي	٩٧٠هـ	١٠٠٦هـ	إمام
١٦	محمد بن أبي اليمن بن محمد الطبري	–	١٠١٠هـ	إمام
١٧	أبو الخير بن محمد العيدروس بن أبي الخير الطبري	–	١٠١١هـ	إمام
18	علي بن محب الدين بن محمد الطبري الشافعي	٩٣٨هـ	١٠١١هـ	إمام
١٩	محمد بن يحيى بن مكرم بن محمد الطبري الشافعي	٩٣٧هـ	١٠١٨هـ	إمام للتراويح
٢٠	رضي الدين بن يحيى بن مكرم بن محمد الطبري	٩٤٨هـ	١٠٣٠هـ	إمام
٢١	محمد بن عبدالله بن عبدالمعطي بن محمد الطبري	٩٦٢هـ	١٠٣٢هـ	إمام
٢٢	عبدالقادر بن محمد بن يحيى الطبري الشافعي	٩٧٦هـ	١٠٣٣هـ	إمام وخطيب
٢٣	محمد بن محمد بن أبي اليمن الطبري الشافعي	٩٨٦هـ	١٠٣٣هـ	إمام
٢٤	محمد بن أحمد المنوفي الشافعي	–	١٠٤٤هـ	إمام
٢٥	عبدالله بن محمد بن يحيى بن مكرم الطبري الشافعي	٩٩٤هـ	١٠٦١هـ	إمام
٢٦	عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الطبري	١٠٠٢هـ	١٠٦٣هـ	إمام
٢٧	عبدالجواد بن محمد بن أحمد المنوفي الشافعي	–	١٠٦٨هـ	إمام
٢٨	علي بن عبدالقادر بن محمد بن يحيى الطبري الشافعي	١٠١٢هـ	١٠٧٠هـ	إمام وخطيب
٢٩	عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيزالزمزمي	٩٧٥هـ	١٠٧٢هـ	إمام وخطيب
٣٠	زين العابدين بن عبدالقادر بن يحيى بن مكرم الطبري	١٠٠٢هـ	١٠٧٨هـ	إمام وخطيب
٣١	فضل الله بن عبدالله بن يحيى بن مكرم الطبري	–	١٠٨٤هـ	إمام ملازم
٣٢	أبو بكر بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي الحسيني	١٠٢٦هـ	١٠٨٥هـ	إمام

٣٣	محمد سعيد بن محمد بن أحمد جمال الدين المنوفي	–	١٠٩١هـ	إمام وخطيب
٣٤	سعيد بن محمد بن محمد بن أحمد المنوفي الشافعي	–	١١٢٠هـ	إمام
٣٥	علي بن فضل بن عبدالله الطبري الشافعي	–	١١٢٠هـ	إمام
٣٦	حسن بن علي بن عبدالقادر الطبري الشافعي	–	١١٢٢هـ	إمام
٣٧	أحمد بن محمد بن أحمد بن علي شهاب الدين النخلي	١٠٤٤هـ	١١٣٠هـ	إمام
٣٨	عبدالوهاب الهادي بن محمد الطاهر الشافعي	–	١١٣٨هـ	إمام وخطيب
٣٩	يحيى بن أحمد بن زين العابدين الطبري	–	١١٣٧هـ	إمام
٤٠	محمد صالح بن عبدالوهاب الهادي بن محمد الشهير بالطاهر	–	١١٤١هـ	إمام وخطيب
٤١	زين العابدين بن سعيد بن محمد بن محمد المنوفي	–	١١٥١هـ	إمام
٤٢	حسين بن سعيد بن محمد بن محمد المنوفي الشافعي	–	١١٦٧هـ	إمام
٤٣	محمد جمالالدينبن علي بن فضل بن عبدالله الطبري	١١٠٠هـ	١١٧٣هـ	إمام
٤٤	عبدالوهاب بن علي بن فضل الطبري	-	١١٧٦هـ	إمام
٤٥	إبراهيم بن سعيد بن محمد بن محمد المنوفي الشافعي	–	١١٨٧هـ	إمام
٤٦	عبدالله بن عبدالله بن علي بن محمد الريس الشافعي	–	كان حياً في القرن ١٣هـ	إمام
٤٧	محمد صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبداللطيف جمال الدين أبو عبدالله الريس الشافعي	١١٨٧هـ	١٢٤٠هـ	إمام
٤٨	صالح بن حسين بن محمد جمل الليل الشافعي	١١٧٠هـ	١٢٦٩هـ	إمام وخطيب
٤٩	عبدالله بن جعفر الفقيه الشافعي	–	١٢٩٥هـ	إمام وخطيب
٥٠	عثمان بن محمد بن محمود بن علي شطا الشافعي	١٢٦٣هـ	١٢٩٥هـ	إمام وخطيب

٥١	إبراهيم بن علي بن حسن السقَّا الشافعي	١٢١٢هـ	١٢٩٨هـ	إمام
٥٢	محمد سعيد بن عثمان بن محمد بن محمود شطا	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
٥٣	زين العابدين بن علوي جمل الليل الشافعي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام ملازم
٥٤	عبدالله الكردي الشافعي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام
٥٥	علي أبو الخير الحضرمي الشافعي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام ملازم
٥٦	عمر بن عبدالله بن حسين بن علوي فدعق العلوي	–	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام ملازم
٥٧	محمد بسيوني بن محمد الشافعي	١٢٥٣هـ	١٣٠٢هـ	إمام ملازم
٥٨	أبو بكر الشلي الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٥٩	عبدالله الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٦٠	عقيل بن قاسم الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦١	عيدروس السقاف الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
٦٢	محمد بن سعيد رزق الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦٣	محمد سعيد بصراوي الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦٤	محمد فدعق الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
٦٥	أحمد بن زيني بن أحمد دحلان الشافعي	١٢٣٢هـ	١٣٠٤هـ	إمام وخطيب
٦٦	حسين جمل الليل بن صالح بن سالم الشافعي	–	١٣٠٥هـ	إمام وخطيب
٦٧	عمر بن عبدالله السقاف العلوي الشافعي	–	١٣٠٥هـ	إمام
٦٨	صالح بن عبدالرحمن بن أبي بكرالزواوي	١٢٤٦هـ	١٣٠٨هـ	إمام
٦٩	محضار بن عبدالله بن محمد السقاف الشافعي	–	١٣١١هـ	إمام ملازم
٧٠	سليمان بن أحمد بن جعفر فقيه الشافعي	١٢٥٧هـ	١٣١٥هـ	إمام ملازم وخطيب
٧١	عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد الشيبي الحجبي	–	١٣٢٠هـ	إمام ملازم

٧٢	محمد سعيد بابصيل الحضرمي الشافعي	١٢٤٥هـ	١٣٣٠هـ	إمام ملازم
٧٣	محمد بن عبدالله السقاف الشافعي	١٢٤٥هـ	١٣٣٢هـ	إمام
٧٤	حسن بن محمد بن عبدالله السقاف الشافعي	–	كان حياً سنة ١٣٣٢هـ	إمام
٧٥	أحمد بن عبداللطيف بن عبدالله الخطيب الفاداني	١٢٧٦هـ	١٣٣٤هـ	إمام وخطيب
٧٦	عبدالحميد بن محمد علي قدس بن عبدالقادر الخطيب	١٢٨٠هـ	١٣٣٥هـ	إمام
٧٧	علوي بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد السقاف	١٢٥٥هـ	١٣٣٥هـ	إمام ملازم
٧٨	محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبي الشافعي	١٢٧١هـ	١٣٣٥هـ	إمام ملازم
٧٩	أحمد بن عبدالله بن جعفر فقيه الشافعي	١٢٧٣هـ	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام وخطيب
٨٠	حسن بن صدقة بن زيني دحلان الشافعي	١٢٩٤هـ	١٣٤٠هـ	إمام للتراويح
٨١	عبدالله بن محمد صالح الزواوي الشافعي	١٢٦٦هـ	١٣٤٣هـ	إمام ملازم
٨٢	عمر بن محمد بن عبدالله بن محمود الكردي الشافعي	١٢٩٢هـ	كان حياً سنة ١٣٤٣هـ	إمام
٨٣	عبدالقادر بن محمد بن صالح بن محمد الشيبي الحجبي	١٢٤٧هـ	١٣٥١هـ	إمام ملازم
٨٤	سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله يماني الشافعي	١٢٦٥هـ	١٣٥٢هـ	إمام
٨٥	ياسين بن محمد بن محمد بسيوني الشافعي	١٢٧٣هـ	١٣٥٤هـ	إمام ملازم
٨٦	محمد سعيد بن محمد بن أحمد اليماني الخليدي	١٢٧٠هـ	١٣٥٤هـ	إمام
٨٧	عبدالله بن صدقة بن زيني دحلان الشافعي	١٢٨٨هـ	١٣٦٣هـ	إمام
٨٨	محمد علي بن عبدالرحمن بن عبدالله سراج	١٢٩٧هـ	١٣٧٧هـ	إمام وخطيب
٨٩	حسن بن محمد بن عمر بن عبدالله فدعق الشافعي	١٣٠٩هـ	١٤٠١هـ	إمام

جدول رقم (٤)

أسماء أئمة المقام الحنبلي في الفترة التي يدرسها البحث(١)

٩٢٣ - ١٣٤٣ هـ/ ١٥١٧ - ١٩٢٤ م

م	اسم الإمام	سنة الميلاد	سنةالوفاة	وظيفته
١	حسن بن محب الدين بن محمد بن محمد بدرالدين الزين القسطلاني الحنبلي	-	كان حياً سنة ٩٢٤هـ	إمام
٢	علي بن محمد نور الدين القزويني	-	كان حياً سنة ٩٢٥هـ	إمام للتراويح
٣	عبدالقادر بن محمد بن محمد بن محمد ابن ظهيرة	٨٩١هـ	٩٣٠هـ	إمام
٤	ابن عبدالرحمن المسعودي المغربي	-	كان حياً سنة ٩٤٢هـ	إمام للتراويح
٥	أحمد بن عطية بن عبدالحي القيوم بن أبي بكر ابن ظهيرة الحنبلي	٨٧٩هـ	٩٤٢هـ	إمام
٦	عبدالله بن عبدالقادر بن محمد عفيف الدين ابن ظهيرة القرشي الحنبلي	-	كان حياً سنة ٩٤٤هـ	إمام للتراويح
٧	عبدالله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي الحنبلي	-	كان حياً سنة ١٠٤٠هـ	إمام وخطيب
٨	أبو بكر بن ظهيرة الحنبلي	-	كان حياً سنة ١٠٥٧هـ	إمام
٩	محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد الحنبلي	١٢٢٦هـ	١٢٩٥هـ	إمام وخطيب
١٠	أحمد بن ظهيرة الحنبلي	-	كان حياً في القرن ١٤هـ	إمام
١١	صالح بن أحمد الحنبلي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١٢	عبدالله بن خلف الحنبلي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٣	علي بن محمد بن عبدالله بن حميد الحنبلي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام
١٤	محمد صالح الحنبلي	-	كان حياً سنة ١٣٠٣هـ	إمام ملازم
١٥	خلف بن إبراهيم بن هدهد بن علي النجدي الحنبلي	-	١٣١٥هـ	إمام
١٦	عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالله بن حميد الحنبلي	١٢٩١هـ	١٣٤٦هـ	إمام
١٧	أبوبكر بن محمد عارف بن عبدالقادر بن محمد علي خوقير السلفي الحنبلي	١٢٨٤هـ	١٣٤٩هـ	إمام
١٨	عبدالرحمن بن محمد بن حمد بن داود النجدي الحنبلي	١٣٠٠هـ	١٣٥٥هـ	إمام وخطيب

---

(١) انظر: ابن فهد: نيل المنى ، ١ / ٦٧، وما بعدها، والصبحي: وسام الكرم ، ص ٩٨، وما بعدها، وصالح بن حميد: تاريخ أمة ، ٣ / ٩٣٤، وما بعدها.

جدول رقم (٥)

أسماء أمراء مكة المكرمة في الفترة التي يدرسها البحث [١]

٩٢٣ - ١٣٤٣ هـ / ١٥١٧-١٩٢٤ م

م	اسم الأمير	زمن حكمه
١	بركات بن محمد	٩٠١ – ٩٣١هـ
٢	أبو نمي محمد بن بركات	٩٣١ – ٩٩٢هـ
٣	حسن بن أبي نمي الثاني	٩٩٢ – ١٠١٠هـ
٤	أبو طالب بن حسن	١٠١٠ – ١٠١٢هـ
٥	إدريس بن حسن	١٠١٢ – ١٠٣٢هـ
٦	محسن بن حسين	١٠٣٢ – ١٠٣٧هـ
٧	أحمد بن عبد المطلب بن حسن	١٠٣٧ – ١٠٣٩هـ
٨	مسعود بن إدريس بن حسن	١٠٣٩ – ١٠٤٠هـ
٩	عبدالله بن حسن	١٠٤٠ – ١٠٤١هـ
١٠	محمد بن عبدالله بن حسن	١٠٤١ – ١٠٤١هـ
١١	نامي بن عبدالمطلب	١٠٤١ – ١٠٤٢هـ
١٢	زيد بن محسن	١٠٤٢ – ١٠٧٧هـ
١٣	سعد بن زيد بن محسن	١٠٧٧ – ١٠٨٢هـ
١٤	بركات بن محمد بن إبراهيم	١٠٨٢ – ١٠٩٤هـ
١٥	سعيد بن بركات بن محمد	١٠٩٤ – ١٠٩٥هـ
١٦	أحمد بن زيد	١٠٩٥ – ١٠٩٩هـ

(١) دحلان: تاريخ أشراف الحجاز، ص ٩١؛ والكردي: التاريخ القويم، ٥ / ٥٠١ – ٥٠٤ ؛ ومساعد بن منصور: جداول أمراء مكة ، ص ص ٣٠ ، ٧٣ .

١٧	أحمد بن غالب	١٠٩٩ – ١١٠١هـ
١٨	محسن بن حسين بن زيد	١١٠١ – ١١٠٣هـ
١٩	سعيد بن سعد بن زيد	١١٠٣ – ١١١٦هـ
٢٠	عبد المحسن بن أحمد	١١١٦ – ١١١٦هـ
٢١	عبد الكريم بن محمد بن يعلي	١١١٦ – ١١١٦هـ
٢٢	سعد بن زيد	١١١٦ – ١١١٦هـ
٢٣	عبد الكريم بن محمد بن يعلي	١١١٦ – ١١١٦هـ
٢٤	سعيد بن سعد	١١١٦ – ١١٢٩هـ
٢٥	عبدالله بن سعيد	١١٢٩ – ١١٣٠هـ
٢٦	يحيى بن بركات	١١٣٠ – ١١٣٢هـ
٢٧	مبارك بن أحمد	١١٣٢ – ١١٣٤هـ
٢٨	يحيى بن بركات	١١٣٤ – ١١٣٦هـ
٢٩	بركات بن يحيى	١١٣٦ – ١١٣٦هـ
٣٠	مبارك بن أحمد	١١٣٦ – ١١٣٦هـ
٣١	عبد الله بن سعيد	١١٣٦ – ١١٤٣هـ
٣٢	محمد بن عبدالله	١١٤٣ – ١١٤٥هـ
٣٣	مسعود بن سعيد	١١٤٥ – ١١٤٥هـ
٣٤	محمد بن عبدالله	١١٤٥ – ١١٤٦هـ
٣٥	مسعود بن سعيد	١١٤٦ – ١١٦٥هـ
٣٦	مساعد بن سعيد	١١٦٥ – ١١٧٢هـ
٣٧	جعفر بن سعيد	١١٧٢ – ١١٧٣هـ
٣٨	مساعد بن سعيد	١١٧٣ – ١١٨٤هـ

٣٩	عبدالله بن سعيد	١١٨٤ – ١١٨٤هـ
٤٠	أحمد بن سعيد	١١٨٤ – ١١٨٤هـ
٤١	عبدالله بن حسين	١١٨٤ – ١١٨٤هـ
٤٢	أحمد بن سعيد	١١٨٤ – ١١٨٦هـ
٤٣	سرور بن مساعد	١١٨٦ – ١٢٠٢هـ
٤٤	غالب بن مساعد[1]	١٢٠٢ – ١٢٢٩هـ
٤٥	يحيى بن سرور	١٢٢٩ – ١٢٤٢هـ
٤٦	محمد بن عبدالمعين	١٢٤٢ – ١٢٦٧هـ
٤٧	عبدالمطلب بن غالب	١٢٦٧ – ١٢٧٢هـ
٤٨	محمد بن عبدالمعين	١٢٧٢ – ١٢٧٤هـ
٤٩	عبدالله بن محمد بن عبدالمعين	١٢٧٤ – ١٢٩٤هـ
٥٠	حسين بن محمد	١٢٩٤ – ١٢٩٧هـ
٥١	عبدالمطلب بن غالب	١٢٩٧ – ١٢٩٩هـ
٥٢	عون الرفيق بن محمد	١٢٩٩ – ١٣٢٣هـ
٥٣	علي بن عبدالله	١٣٢٣ – ١٣٢٦هـ
٥٤	حسين بن علي	١٣٢٧ – ١٣٤٣هـ
٥٥	علي بن الحسين	١٣٤٣ – ١٣٤٣هـ
٥٦	خالد بن لؤي	١٣٤٣ – ١٣٤٤هـ

---

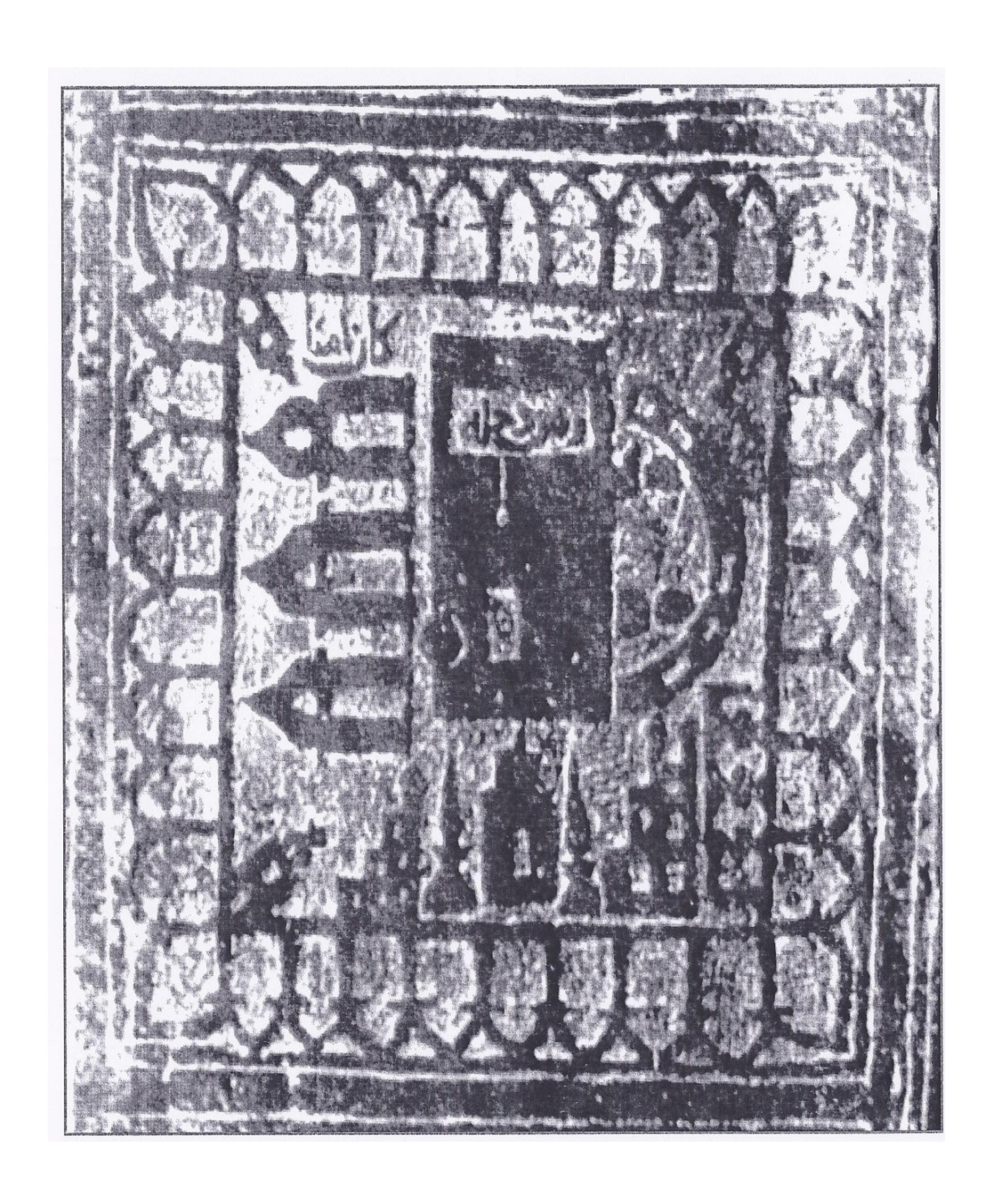
(١) استمرت فترة إمارة الشريف غالب باسم الدولة العثمانية إلى عام (١٢١٨هـ) ، ثم باسم الدولة السعودية الأولى إلى عام (١٢٢٩هـ) .

ثالثاً

ملحق الخرائط والصور

(لوحة : ١)

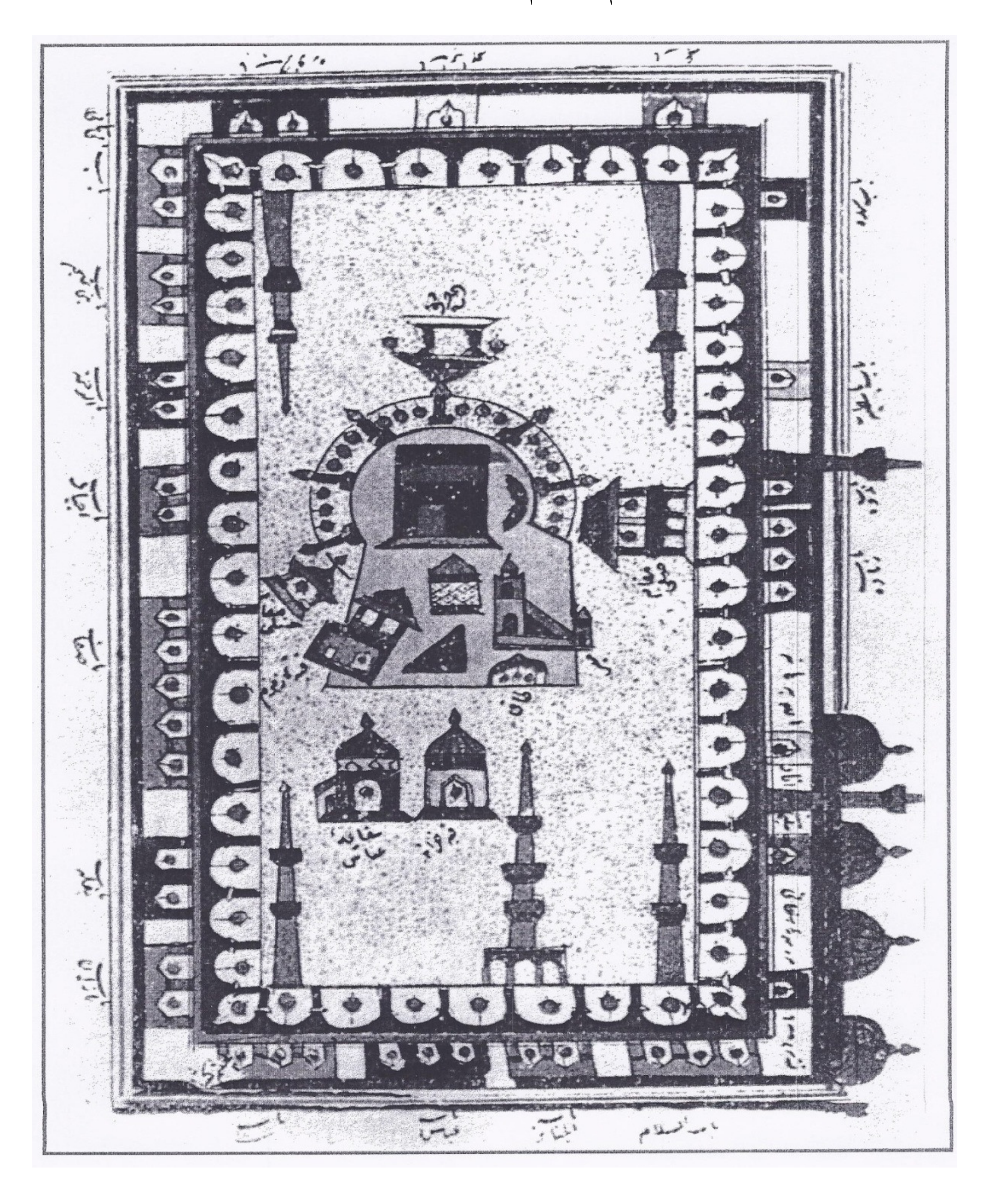
صورة ما يعتقد أنه أقدم رسم للمسجد الحرام في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ويظهر فيه أسفل الكعبة مقام إبراهيم ﷺ وإلى يمينه المنبر ثم محاريب المقامات(١) .



(١) مرزا وآخر : الأطلس ، ص ١١ .

(لوحة : ٢)

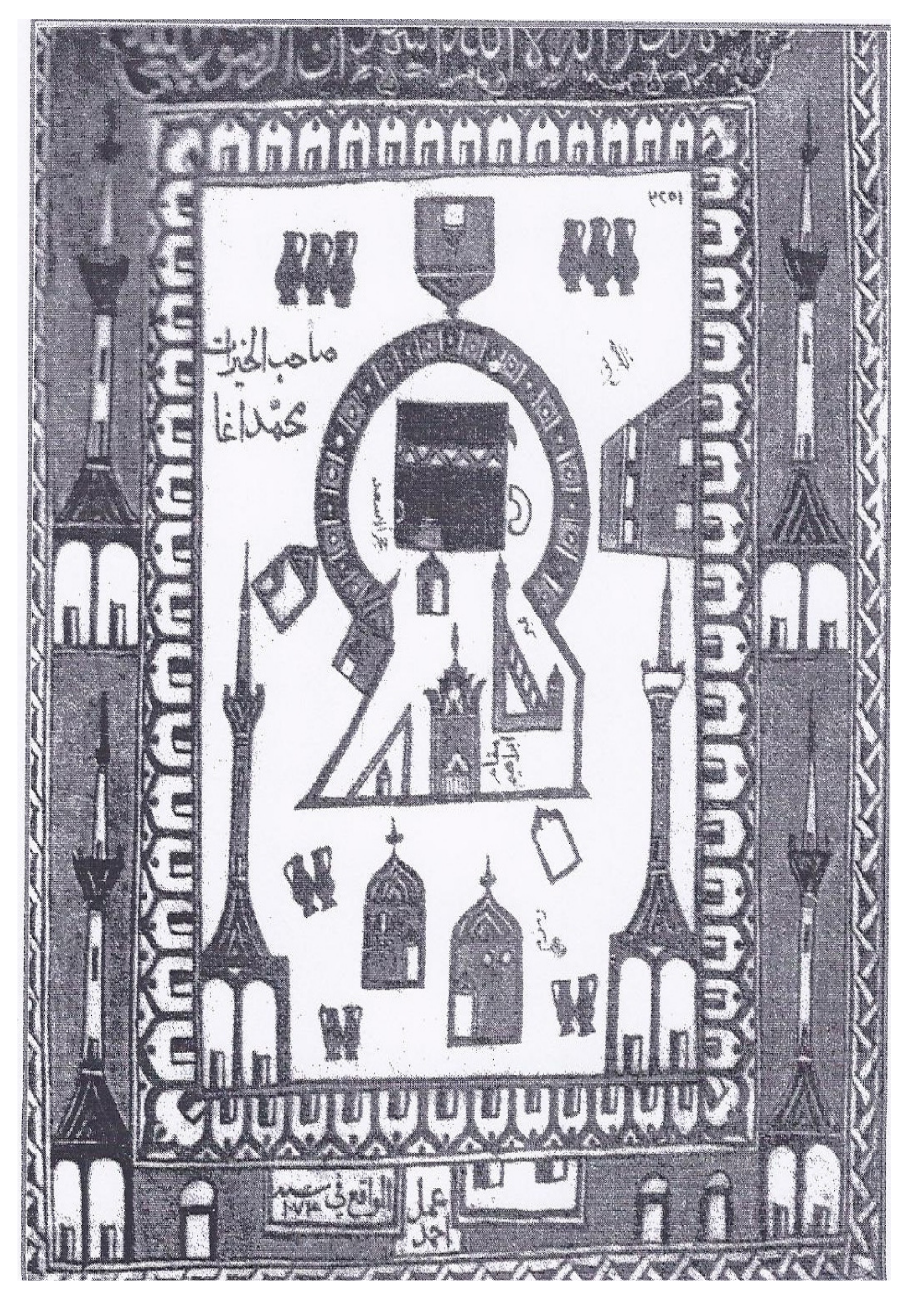
رسم للمسجد الحرام يعود إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ويظهر فيه مقام إبراهيم ، والمقامات الأربعة[١]



(١) مرزا وآخر: الأطلس، ص ١٤.

(لوحة : ٣)

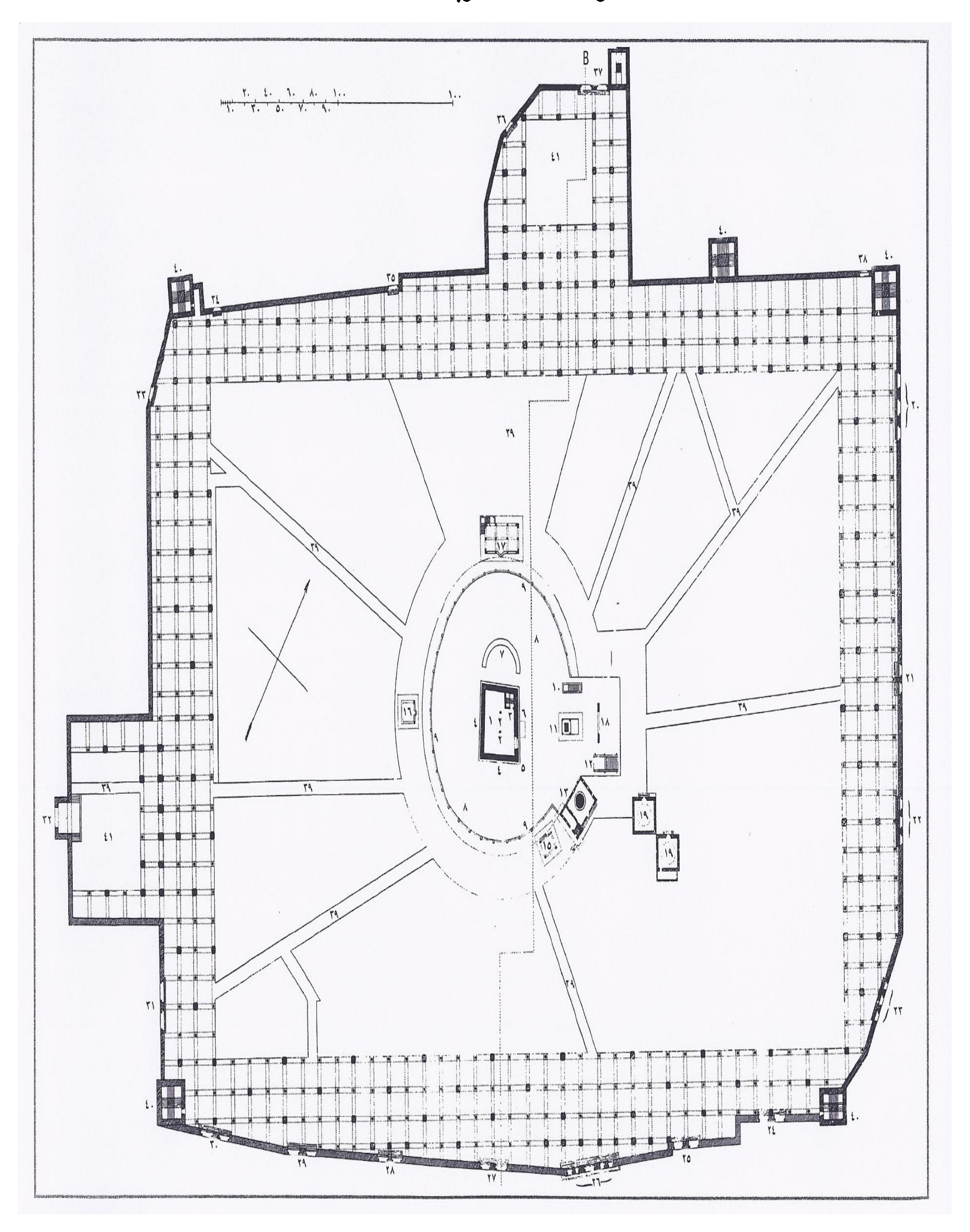
رسم للمسجد الحرام عام ١٠٧٣هـ / ١٦٦٣م ، ويظهر فيه مقام إبراهيم ، والمقامات الأربعة[١]



(١) مرزا وآخر: الأطلس، ص ١٨.

(لوحة: ٤)

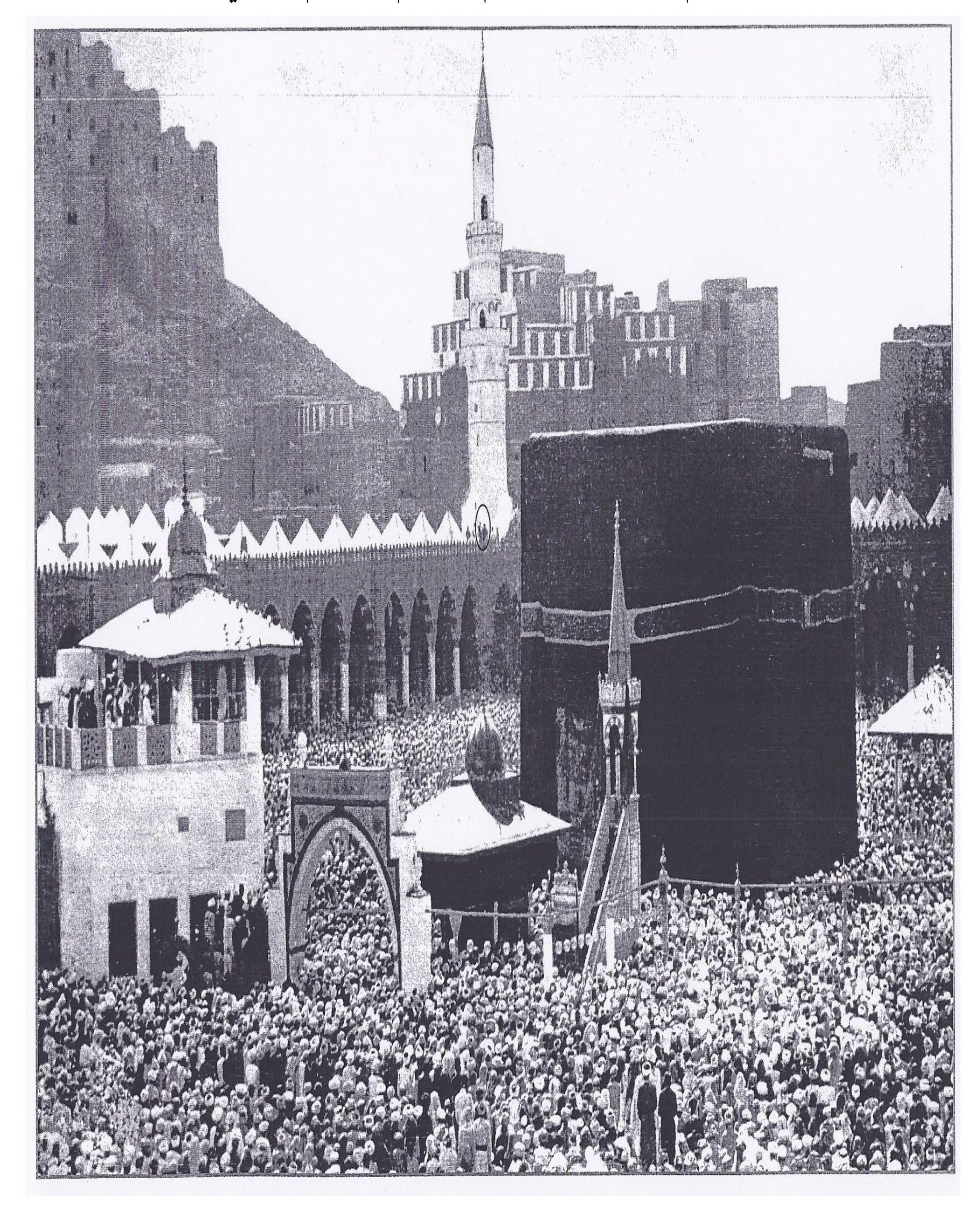
رسم للرحالة الإسباني باديا عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٧م، ويظهر فيه مقام إبراهيم، والمقامات الأربعة[1]



(١) صالح السنيدي: رحالة إسباني، ص ١٨١، ومرزا وآخر: الأطلس، ص ١٤، والحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٦٩.

(لوحة : ٥)

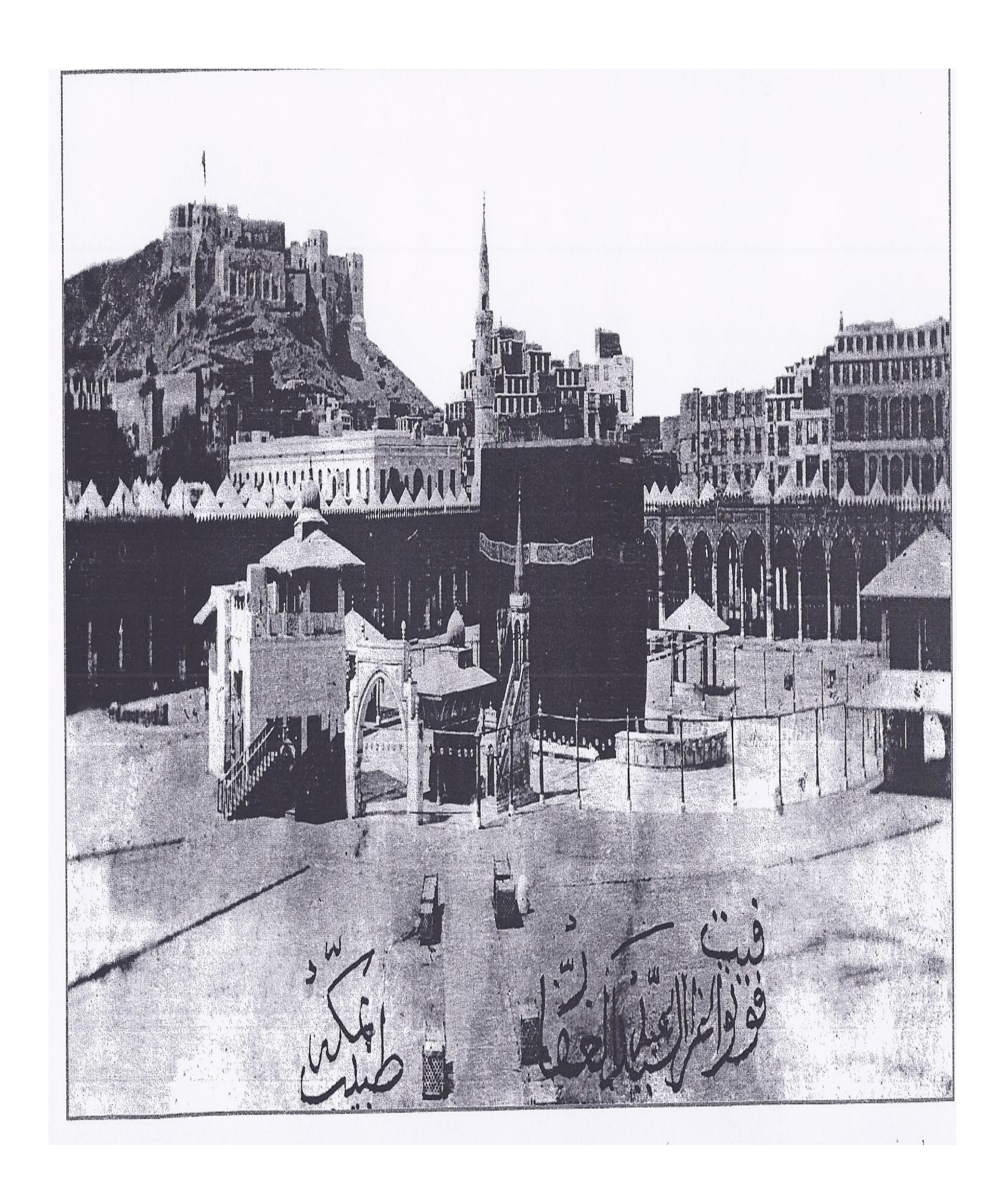
صورة للمسجد الحرام التقطتها البعثة العسكرية العثمانية في موسم حج عام : ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م ، ويظهر فيها مقام إبراهيم ، والمقام المالكي[١]



(١) مرزا وآخر: الأطلس، ص ٧٥.

(لوحة : ٦)

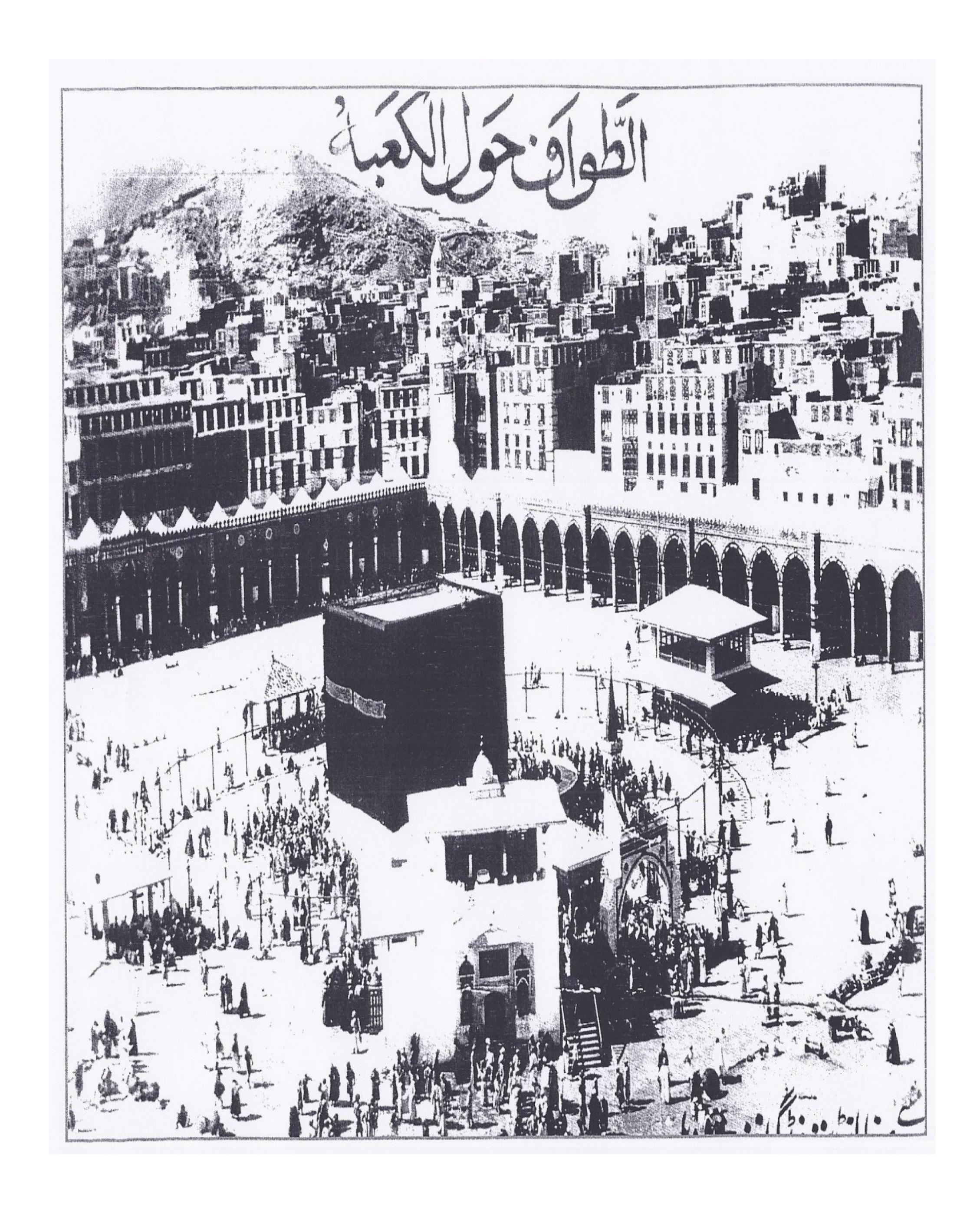
صورة للمسجد الحرام مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، من تصوير السيد عبدالغفار ، ويظهر فيها مقام إبراهيم ، والمقامات الأربعة[١]



(١) مرزا وآخر: الأطلس، ص ٩٩.

(لوحة : ٧)

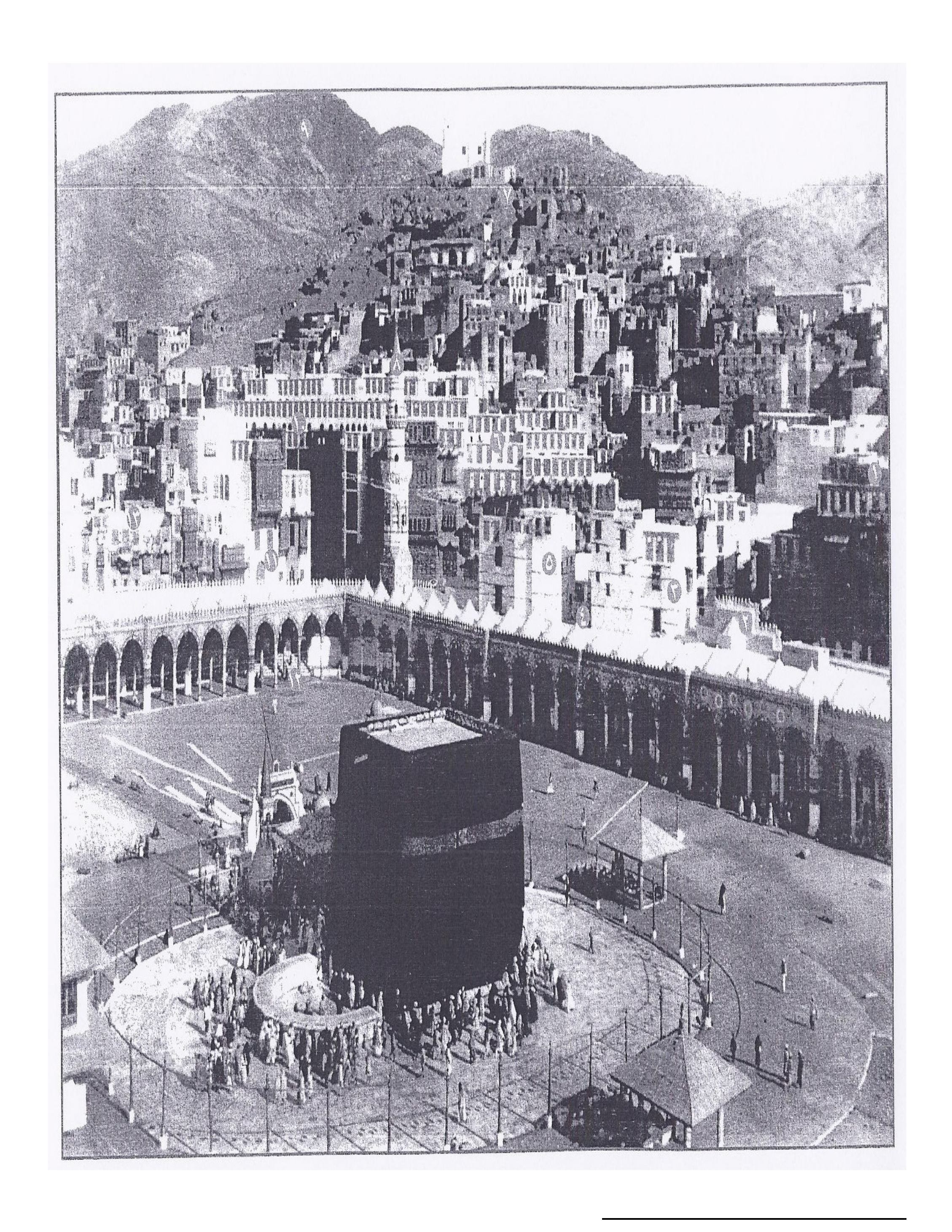
صورة للمسجد الحرام التقطها مرزا حوالي عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م ، ويظهر فيها مقام إبراهيم ، والمقامات الأربعة[١]



(١) مرزا وآخر: الأطلس، ص ١١١.

(لوحة : ٨)

صورة للمسجد الحرام التقطها محمود عرب قرلي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، وتبين الصورة مقام إبراهيم ، والمقامات الأربعة[١]



(١) مرزا وآخر: الأطلس، ص ١٣٨، والحارثي: الآثار الإسلامية، ص ٥٦.

(لوحة : ٩)

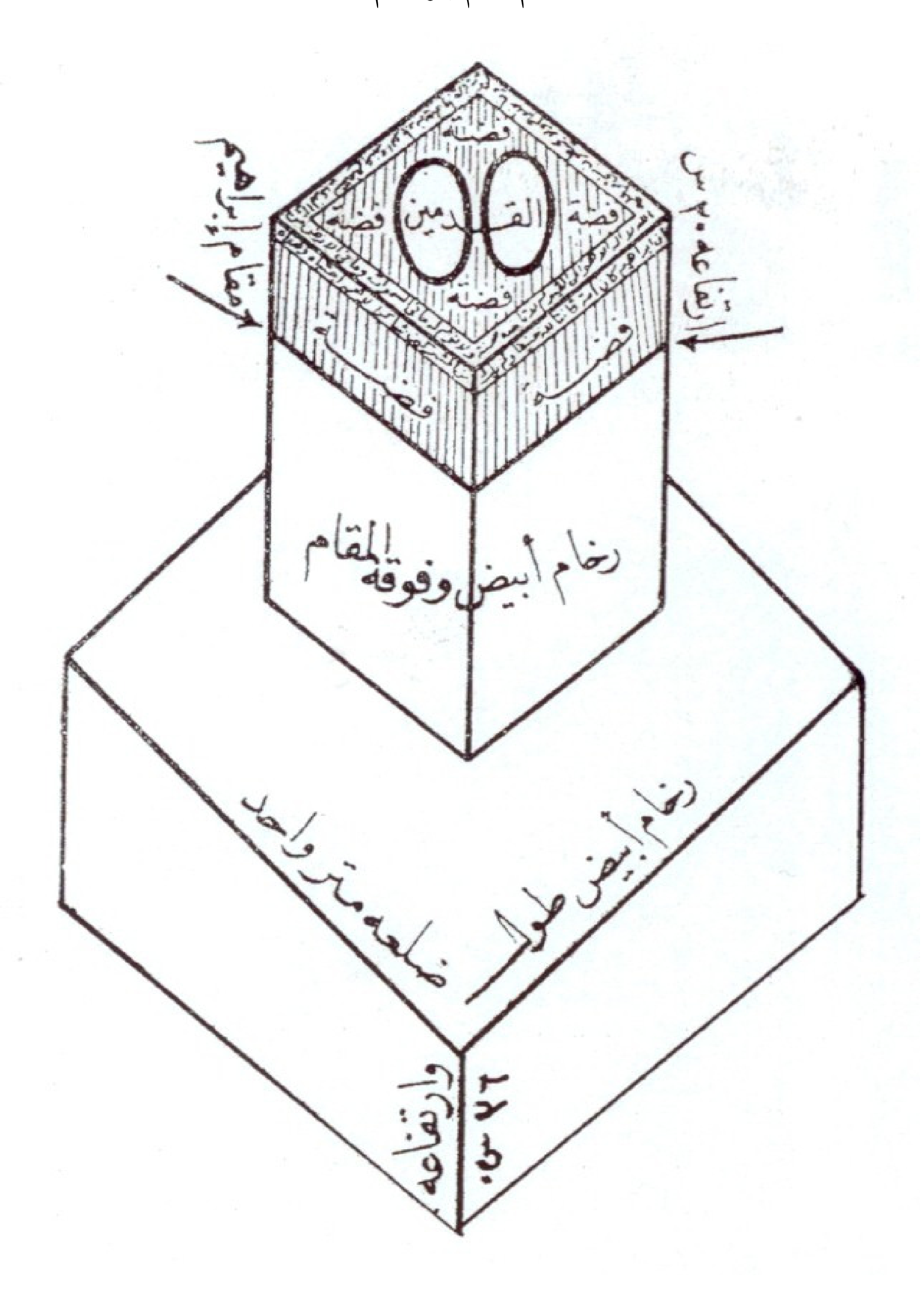
صورة لمقام إبراهيم عليه السلام[1]



(١) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٢٩٨، والحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٣٣.

(لوحة :١٠)

رسم لمقام إبراهيم عليه السلام[1]

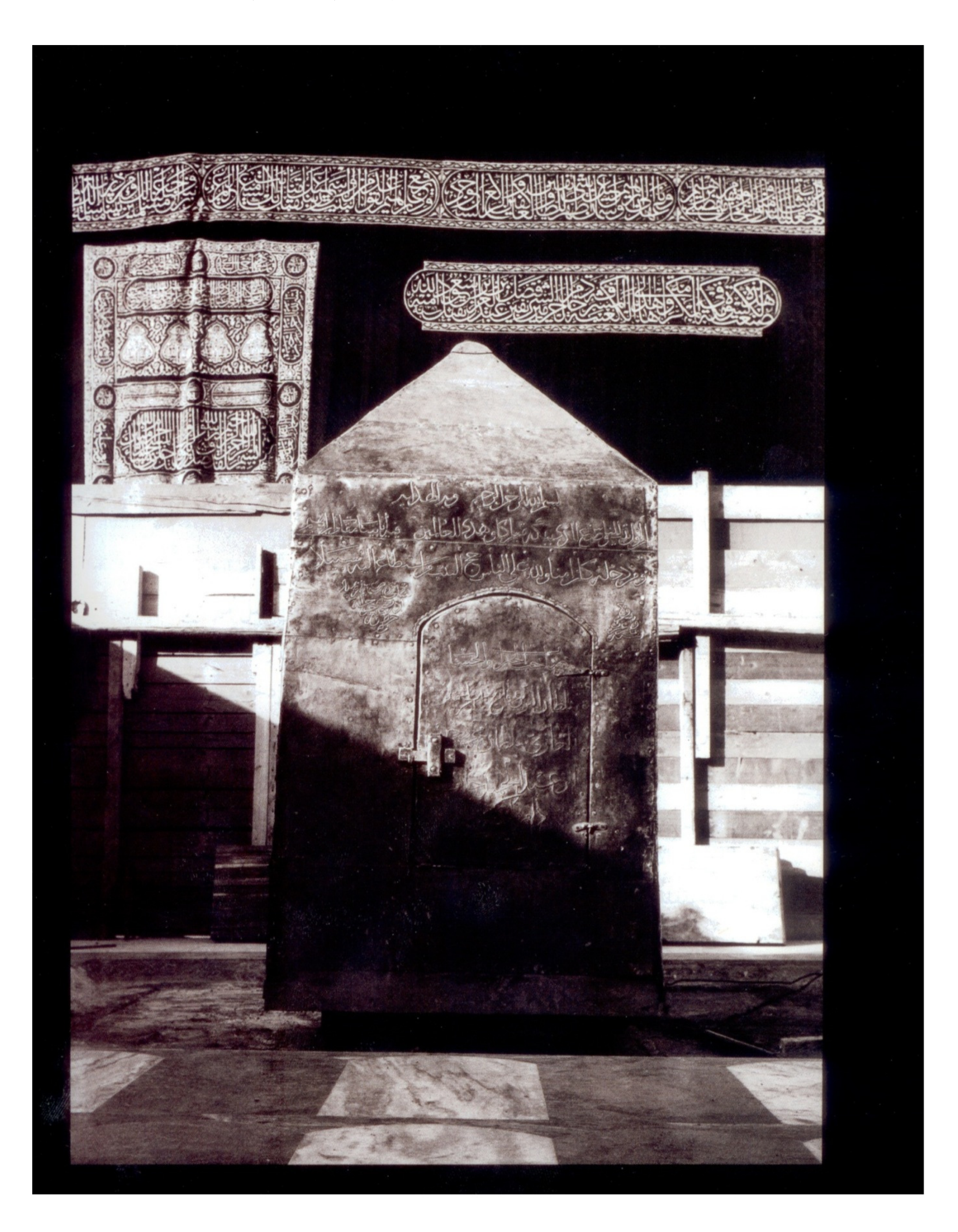


---

(١) الكردي: مقام إبراهيم، ٢٠٤، والحارثي: الآثار الإسلامية، ١٣١ .

(لوحة : ١١)

صورة للصندوق المعدني الذي كان يغطي مقام إبراهيم عليه السلام[1]



(١) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٣٠١ ، والحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٣٣

(لوحة : ١٢)

صورة توضح قبة مقام إبراهيم عليه السلام عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، قبل إزالتها(١)



(١) الكردي: مقام إبراهيم، ص ٣٠٢ ، والحارثي: الآثار الإسلامية، ص ١٧٣

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الوثائق (غير المنشورة – المنشورة) .

٣- المخطوطات.

٤- المصادر والمراجع.

٥- المصادر والمراجع المعربة.

٦- الرسائل الجامعية.

٧- البحوث والندوات.

٨- الدوريات.

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الوثائق .

أ– غير المنشورة.

١- دارة الملك عبدالعزيز بالرياض:

- مجموعة الوثائق العثمانية:
  - وثيقة رقم: ٦.
  - وثيقة رقم: ١٤ .
  - وثيقة رقم: ٢٧ .
  - وثيقة رقم: ٥١ .
  - وثيقة رقم: ٦٤ .
  - وثيقة رقم: ٨١ .
  - وثيقة رقم: ٨٩ .
  - وثيقة رقم: ٩٥ .
  - وثيقة رقم: ١٠٢ .
  - وثيقة رقم: ١٦٧ .
  - وثيقة رقم: ١٧٠ .
  - وثيقة رقم: ١٧٥ .
  - وثيقة رقم: ٢٥٠ .
  - وثيقة رقم: ٢٣٦ .
  - وثيقة رقم: ٣٠٦ .
  - وثيقة رقم: ٥٢١ .
  - وثيقة رقم: ٥٤١ .

- وثيقة رقم: ١٤٦٦ .
- وثيقة رقم: ١٤٩٦ .

٢- معهد الإدارة العامة:

- وثيقة رقم: ٥٧٠٨٤.
- وثيقة رقم: ٥٧٠٨٥.
- مرسوم ملكي بخصوص تعيين أئمة المسجد الحرام، في (١٨) ربيع الثاني عام (١٣٤٥هـ)، رقم: (بدون).
- مرسوم ملكي يقضي بتوسيع المطاف وإزالة المقامات الثلاثة، في (٢٨) محرم عام (١٣٧٧هـ)، رقم: ١٤ .
- مرسوم ملكي يقضي بتوسيع المطاف وبقاء مقام إبراهيم ﷺ، وإزالة المقامات الثلاثة، في (٢) شعبان عام (١٣٧٧هـ)، رقم: (٢٧ / ٤ / ٢ / ٢٢٣٣) .

ب – الوثائق المنشورة:

١- أسماء أئمة وخطباء المسجد الحرام، بداية من القرن الرابع الهجري / التاسع عشر الميلادي، المنشورة في كتاب عبدالله الزهراني. أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه، ط١، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، عام (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٢- أسماء الأئمة والمؤذنين بالمسجد الحرام، المخصص لهم رواتب عام (١٣٣٣هـ) المنشورة في كتاب. حسن بن محمد سفر. من أعلام علماء المسجد الحرام ومنهجهم العلمي الشرعي في التدريس بالحرمين الشريفين. (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ٤٥.

٣- أسماء علماء مكة المكرمة والموظفين بالمسجد الحرام ممن شملتهم منح السلطان المولى عبدالرحمن عام (١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م)، المنشورة في كتاب عبدالهادي

التازي. رحلة الرحلات .. مكة المكرمة في مئة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة عباس صالح طاشكندي. الرياض: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ج ٢، ص ٥٠٨.

٤- رسالة من علماء ووجوه مكة المكرمة حول التطورات التي أعقبت منع بيع الرقيق في شوراع مكة. عام (١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م)، المنشورة في كتاب سنان معروف أُغلو. نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ط ١، بيروت: دار الساقي، عام (٢٠٠٢م)، ص ص ٦٢، ١٥٩- ١٦٢.

٥- سالنامة ولاية الحجاز، ١٣٠١- ١٣٠٩هـ، المنشورة في كتاب سهيل صابان. مكة المكرمة والمدينة المنورة بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني والمصادر التركية. الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ص ٢٨٥ – ٣٠٦.

٦- وثائق تحت رقم: ١ – س / ١ / ١٤٥ / ١، ٨٢. المنشورة في كتاب عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية. الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ص ص ٢٦، ١٣٢ .

٧- وثائق مخصصات الحرمين الشريفين، المنشورة في بحث مصطفى محمد رمضان. وثائق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني. مقدم إلى الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية « حلقة المصادر » عام (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، ص ص ٢٦ – ٣٥.

٨- وثيقة تأييد علماء مكة لمحمد علي، (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م). المنشورة في كتاب عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم. من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر

محمد علي (١٢٢٨- ١٢٣٤هـ / ١٨١٣- ١٨١٨م). القاهرة. دار الكتاب الجامعي، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، المجلد الثاني، ص ص ٢١- ٢٧.

ثالثاً: المخطوطات.

١- إجازة عبدالرحمن بن عبدالله سراج للشيخ عبدالرحمن بن حسن العجيمي، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١٣٠٢ .

٢- أسماء علماء وقراء المدينة المنورة ومكة المكرمة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٣٩٠٨ / ١٧ عام.

٣- تاريخ مكة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٤٢٦٩ عام.

٤- رسالة في أخبار عمارة الكعبة المعظمة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٣٤٨٨ / ١ عام.

٥- رسالة مفيدة لبعض علماء الشافعية من أهل مكة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٣٨٠٤ / ١١ عام.

٦- رسالة هامة في دخول الإمام سعود مكة المكرّمة، مخطوط بالمكتبة المركزية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم: ٨٧٣٦ / خ تاريخ، ضمن مجموع ١١٩ – ١٢٠ ل.

٧- الرومي: محيي الدين بن يوسف الإيديني .

- رسالة في تكرار الجماعة في الحرمين الشريفين. مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم: ١٠٢ فقه حنفي، ٢ ق، كتابتها تعود للقرن ١٣هـ.

٨- الطبري: محب الدين عبدالقادر بن محمد بن يحيى (ت: ١٠٣٣هـ).

- إنباء البرية بالأنباء الطبرية. مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٢٧٦٧ عام.

٩- ابن عبدالشكور: عبدالله بن عبدالشكور هندية (ت: ١٢٥٧هـ).

-   تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، ميكروفيلم بدارة الملك عبدالعزيز، رقم: ٤٩.

١٠- العجيمي: حسن بن علي (ت: ١١١٣هـ).

-   خبايا الزوايا في ذكر بعض الأكابر المشهورين بمكة المشرفة وذكر ما تيسر من الزوايا. مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٢٨٠٤ عام .

١١- المحجوب: محمد (عاش في القرن التاسع الهجري).

-   قرة العينين في أوصاف الحرمين الشريفين. مخطوط بدارة الملك عبدالعزيز، رقم: ١٦٥.

١٢- المرشدي: عبدالرحمن بن عيسى العمري (ت: ١٠٣٧هـ) وآخرون .

-   مجموعة فتاوى بعض علماء البلد الحرام. مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٢٠٨٦، ٢٠٨٧، ٢٠٨٨ عام.

١٣- المكي: أبو بكر بن عبدالوهاب زرعة (ت: ١٢٦٢هـ).

-   بساط الكرم في القول على أوقاف الحرم. مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ١٧٦٩ عام.

رابعاً: المصادر والمراجع.

١-   أبكر: عبدالله محمد .

-   صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر، ط ٢، جدة، مؤسسة علوم القرآن: ١٤٢٩هـ.

٢-   ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ) .

-   الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣-   أرسلان: شكيب.

- الرحلة الحجازية المسمَّاة الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، صححها وعلق عليها: حسن السمّاحي سويدان، ط ١، بيروت، دار النوادر: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٤- الأزرقي: محمد بن عبدالله (ت: حوالي ٢٥٠هـ).

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط١١، مكة المكرمة، مكتبة الثقافة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

٥- الأشقر: عمر سليمان .

- تاريخ الفقه الإسلامي، ط ٣، عَمَّان، دار النفائس: ١٤٠٢هـ / ١٩٩١م .

٦- أشموني: السيد محمد علي بن منصور (وآخرون) .

- مكة المكرمة التاريخ والعلم والحضارة، تقديم: السيد محمد بن علي الحبشي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٧- أغلو: سنان معروف .

- نجد والحجاز في الوثائق العثمانية ((الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني))، ط ١، بيروت، دار الساقي: ٢٠٠٢م .

٨- بازمول: محمد بن عمر بن سالم.

- مكة في حياة العلم والعلماء، ط ١، القاهرة، دار الاستقامة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٩- باسلامة: حسين عبدالله .

- تاريخ الكعبة المعظمة. عمارتها وكسوتها وسدانتها، تعليق يوسف بن علي الثقفي، الرياض، الأمانة العامة للإحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

١٠- باسلامة: حسين عبدالله .

- تاريخ عمارة المسجد الحرام، ط ٣، تهامة: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

١١- البتنوني: محمد لبيب .

- الرحلة الحجازية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية .

١٢- ابن بشر: عثمان .

- عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: محمد بن ناصر الشثري، ط ١، الرياض، دار الحبيب: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣- بكداش: سائد.

- فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم ﷺ، ط ١، بيروت، دار البشائر الإسلامية: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٤- البلادي: عاتق بن غيث.

- معجم معالم الحجاز، ط ١، مكة المكرمة، دار مكة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٥- البلادي: عاتق بن غيث .

- نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين، تراجم (مؤرخي مكة وجغرافييها) على مر العصور، ط ١، مكة المكرمة، دار مكة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٦- البوسنوي: علي دده .

- تمكين المقام في المسجد الحرام « رسالة مقامية في فضل المقام والبيت الحرام »، حققها وقدم لها: أحمد جمعة عبدالحميد، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث .

١٧- بيومي: محمد علي فهيم.

- دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ / ١٥١٧-١٨٠٥م)، ط ١، القاهرة، دار القاهرة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م .

١٨- بيومي: محمد علي فهيم .

- مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ / ١٥١٧-١٨٠٥م)، ط ١، القاهرة، دار القاهرة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

١٩- بيومي: محمد علي فهيم .
- تاريخ القضاء في الحرمين الشريفين إبان القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، ط ١، القاهرة، زهراء الشرق: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م.
٢٠- التازي: عبدالهادي.
- رحلة الرحلات، مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .
٢١- التركي: عبدالله بن عبدالمحسن .
- المملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل، الرياض، المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
٢٢- التركي: محمد بن عبدالرحمن بن أحمد.
- الإمام محمد بن سعود وجهوده في الدعوة إلى الله، ط ١، جدة، دار الأندلس الخضراء: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٢٣- تيمور: أحمد باشا .
- نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة وانتشارها، ط ١، القاهرة، دار الكتاب العربي: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
٢٤- ابن جبير: أبو الحسين محمد .
- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المُسمّى رحلة ابن جبير، اعتنى به: معين الشريف، ط ١، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
٢٥- الجاسر: حمد.
- ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي، ط ٢، دار الرفاعي: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٢٦- الحارثي: ناصر بن علي .

- أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٦هـ .

٢٧- الحارثي: ناصر بن علي .

- الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، ط ١، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٨- الحاكم: محمد بن عبدالله.

- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٩- الحامد: محمد بن معجب وآخرون.

- التعليم في المملكة العربية السعودية « رؤية الحاضر واستشراف المستقبل » ط ١، مكتبة الرشد: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٣٠- الحضراوي: أحمد بن محمد.

- العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية .

٣١- الحلواني: سعد بدير.

- تعمير مكة المكرمة (١٨١٢-١٨٤٠م)، ط ١، مصر، مطبعة الحسين الإسلامية: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٣٢- ابن حميد: صالح بن عبدالله بن محمد .

- تاريخ أمة في سِيَرَ أئمة (تراجم لأئمة الحرمين الشريفين وخطبائهما منذ عهد النبوة إلى سنة ١٤٣٢هـ)، ط ١، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة: ١٤٣٣هـ .

٣٣- ابن حنبل: أحمد .

- الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، ط ١، دار الثبات .

٣٤- ابن حنبل: أحمد.

- المسند، تحقيق: شعيب الأرنأوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٥- الحويس: صالح بن سليمان بن حمد .

- أحكام عقد الحكر في الفقه الإسلامي، ط ١، مكة المكرمة، المكتبة المكية للنشر والتوزيع: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

٣٦- ابن خلدون: عبدالرحمن .

- المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

٣٧- أبو الخير: عبدالله مرداد.

- نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب وتحقيق: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، ط ٢، جدة، عالم المعرفة: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٣٨- دحلان: أحمد زيني.

- تاريخ أشراف الحجاز (١٨٤٠-١٨٨٣م) المسمّى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام. تحقيق وتحليل: محمد أمين توفيق، ط ١، بيروت، دار الساقي: ١٩٩٣م .

٣٩- ابن دهيش: عبداللطيف بن عبدالله.

- الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها، ط ٣، بيروت، دار خضر: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٤٠- ابن دهيش: عبداللطيف بن عبدالله .

- عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٤١- الديار بكري: حسين بن محمد .

- ذرع الكعبة المعظمة ومساحة المسجد الحرام، تقديم وتحقيق: يحيى حمزة الوزنة، ط ١، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

٤٢- الذهبي: محمد بن أحمد.

- سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، إشراف شعيب الأرناؤوطي، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م؛ ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٤٣- رفعت: إبراهيم .

- مرآة الحرمين، ط ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٤- الزركلي: خير الدين.

- الأعلام، ط ٨، بيروت، دار العلم للملايين: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٤٥- الزركلي: خير الدين.

- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط ١٠، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٩٩م.

٤٦- الزهراني: عبدالله سعيد .

- أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي، ط ١، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٤٧- آل زيد: مسعود محمد .

- تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد، ط ١، القاهرة، دار القاهرة: ٢٠٠٥م.

٤٨- الساعاتي: فوزي محمد عبده .

- مناهل العلم بالبلد الحرام وأعلام المكيات خلال العصر المملوكي، ط ١، مكة المكرمة، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

٤٩- السباعي: أحمد.

- تاريخ مكة « دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران »، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٥٠- السبيل: محمد بن عبدالله .

- رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين، ط ٢، مكة المكرمة، مطابع الوحيد: ١٤٢٢هـ.

٥١- ابن سعد: أبو عبدالله محمد بن سعد البصري .

- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٥٢- سفر: حسن بن محمد.

- من أعلام علماء المسجد الحرام، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م؛ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥٣- السلمان: محمد بن عبدالله بن سليمان .

- التعليم في نجد في عهد الملك عبدالعزيز (دراسة تاريخية حضارية)، ط ١، بريدة، نادي القصيم الأدبي: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٥٤- أبو سليمان: عبدالوهاب بن إبراهيم .

- الحرم الشريف الجامع والجامعة، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي: ١٤١٧هـ.

٥٥- أبو سليمان: عبدالوهاب بن إبراهيم .

- مكتبة مكة المكرمة قديماً وحديثاً « دراسة موجزة لموقعها وتاريخها وأدواتها ومجموعاتها »، ط ٢، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .

٥٦- السنجاري: علي بن تاج الدين بن تقي الدين.

- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، دراسة وتحقيق: جميل عبدالله المصري وماجدة فيصل زكريا وملك محمد خياط، ط ١، مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٥٧- الشامخ: محمد بن عبدالرحمن.

- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ط ١، الرياض، دار العلوم: ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

٥٨- الشكعة: مصطفى .

- الإمام أبو حنيفة النعمان، ط ٥، القاهرة، دار الكتاب المصري: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م .

٥٩- الشكعة: مصطفى .

- الإمام مالك بن أنس، ط ٥، القاهرة، دار الكتاب المصري: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م.

٦٠- الشكعة: مصطفى .

- الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ط ٥، القاهرة، دار الكتاب المصري: ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢م .

٦١- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم .

- الملل والنحل، مؤسسة الحلبي .

٦٢- صابان: سهيل .

- مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة – المدينة المنورة)، في الفترة من ١٢٨٣إلى ١٢٩١هـ، الرياض، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٣- صابان: سهيل .

- مكة المكرمة والمدينة المنورة بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني والمصادر التركية، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة: ١٤٢٦هـ.

٦٤- صابان: سهيل .

- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٦٥- صابان: سهيل .

- نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز – الأوقاف – المدارس – المكتبات، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٦٦- الصباغ: محمد بن أحمد بن سالم .

- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

٦٧- الصبحي: يوسف بن محمد بن داخل .

- وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم (تراجم أئمة وخطباء المسجد الحرام عبر العصور)، ط ١، بيروت، دار البشائر الإسلامية: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

٦٨- ابن الضياء: محمد بن أحمد بن محمد.

- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينةالشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٩- الطبري: علي بن عبدالقادر.

- الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق: أشرف أحمد الجمال، ط ١، مكة المكرمة، المكتبة التجارية: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٧٠- طراوة: حجازي حسن علي.

- دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهدي الراشدين والأمويين، ط ١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

٧١- ابن ظهيرة: محمد بن محمد بن أبي بكر.

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، ط ١، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٧٢- عبدالجبار: عمر .

- دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط ١، دار ممفيس للطباعة: ١٣٧٩هـ.

٧٣- عبدالجبار: عمر .

- سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري، ط ٣، جدة، تهامة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٧٤- عبدالغني: محمد إلياس .

- تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً، ط ١، المدينة المنورة، مطابع الرشيد: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٧٥- العثيمين: عبدالله الصالح .

- تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ط ٤، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ؛ ج ٢، عهد الملك عبدالعزيز، ط ٤، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٧٦- العجلاني: منير .

- الإمام تركي بن عبدالله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، الرياض، دار الشبل: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٧٧- العجلاني: منير .

- تاريخ البلاد العربية السعودية (الدولة السعودية الثانية)، ط ١، بيروت، دار النفائس: ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٧٨- عطار: أحمد عبدالغفور .

- صقر الجزيرة، ج ٤، ط ٣، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٧٩- عطار: ضياء بن محمد .

- آيات المسجد الحرام، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢٩هـ .

٨٠- ابن علان: محمد علي الصديقي المكي .

- عمارة الكعبة المشرفة في عهد السلطان مراد الرابع الموسوم إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد، دراسة وتحقيق: خالد عزام الخالدي، الإصدار الخامس، الرياض، الجمعية التاريخية السعودية: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

٨١- أبو عليه: عبدالفتاح حسن.

- محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، الرياض، دار المريخ: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٨٢- ابن عيسى: إبراهيم بن صالح .

- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض، الأمانة العامة للإحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٨٣- الغازي: عبدالله بن محمد.

- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٨٤- الغامدي: عبدالله بن أحمد.

- أئمة الحرمين (١٣٤٣-١٤٣٢هـ)، الطائف، دار الطرفين: ١٤٣٢هـ.

٨٥- الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد.

- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: أديب محمد الغزاوي، ط ١، بيروت، دار صادر: ٢٠٠٠م.

٨٦- الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد.

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله لجنة من كبار العلماء والأدباء، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨٧- ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد المالكي.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط ٢، القاهرة، دار التراث: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨٨- فريد: محمد بك المحامي.

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: احسان حقي، ط ١، بيروت، دار النفائس: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٩- ابن فهد: عمر بن محمد.

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط ١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٩٠- ابن فهد: جار الله بن العز بن النجم.

- كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

٩١- فيسي: وليام، وجيليان غرانت .

- المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٩٢- القطان: مَنَّاع .

- تاريخ التشريع الإسلامي، ط ٢، الرياض، مكتبة المعارف: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٩٣- القطبي: عبدالكريم بن محب الدين.

- إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، ط ٢، الرياض، دار الرفاعي: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٩٤- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل القرشي .

- البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط ١، القاهرة، دار هجر: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٩٥- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل القرشي .

- تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار التراث العربي .

٩٦- الكردي: محمد طاهر.

- التاريخ القويم لمكة والبيت الكريم، ط ١، بيروت، دار خضر: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

٩٧- الكردي: محمد طاهر .

- مقام إبراهيم عليه السلام، دراسة وتكملة: عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، مكة المكرمة، مركز تاريخ مكة المكرمة: ١٤٣٣هـ .

٩٨- مالكي: سليمان عبدالغني .

- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٩- مرزا: معراج بن نواب وآخرون .

- الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٤هـ.

١٠٠- المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة .

١٠١- المعلمي: عبدالله بن عبدالرحمن .

- قضاة مكة المكرمة من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر، جدة، ١٤٣١هـ .

١٠٢- المعلمي: يحيى بن عبدالله .

- رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله ١١٣٣-١٢١٨هـ إلى العلماء والقضاة، الرياض، دار المعلمي للنشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

١٠٣- مغربي: محمد علي.

- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

١٠٤- منصور: مساعد.

- جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح إلى الوقت الحاضر، ط ٢، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

١٠٥- موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، ط ٢، الرياض، وزارة المعارف: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠٦- النهروالي: محمد بن أحمد بن محمد.

- كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، ط ١، مكة المكرمة، المكتبة التجارية: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠٧- الهيلة: محمد الحبيب.

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، « جمع وعرض وتعريف »، ط ١، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٩٩٤م.

١٠٨- ياغي: إسماعيل أحمد.

- الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط ٢، الرياض، مكتبة العبيكان: ١٤٣٤هـ.

١٠٩- ابن أبي يعلي: أبو الحسن محمد.

- الاعتقاد، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن الخميس، ط ١، دار أطلس الخضراء: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١١٠- يوسف: عماد عبدالعزيز.

- الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦-١٩١٨م)، ط ١، بغداد، الوراق للنشر: ٢٠١١م.

خامساً: المصادر والمراجع المعربة .

١- أوغلي: اكمل الدين احسان.

- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، مكتبة الشروق الدولية.

٢- جارشلي: إسماعيل حقي.

- أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن اللغة التركية: خليل علي مراد، ط ١، بيروت، الدار العربية للموسوعات: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣- جلبي: أوليا.

- الرحلة الحجازية، ترجمها عن التركية وقدم لها: الصفصافي أحمد المرسي، القاهرة، دار الآفاق العربية .

٤- جودت: أحمد باشا .

- تاريخ جودت، تعريب: عبدالقادر أفندي الدَّنا، تحقيق: عبداللطيف الحميد، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٥- الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام ١٣١٩ – ١٤١٩هـ، ط٢، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦- خسرو: ناصر .

- سفر نامة رحلة ناصر خسرو القبادياني، ترجمة وتحقيق: أحمد خالد البدلي، ط ١، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود: ١٩٨٢م .

٧- رالي: أغسطس.

- مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، نقله إلى العربية: حسن سعيد غزالة، راجعه وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٣٠هـ .

٨- سزكين: فؤاد.

- تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، وراجعه: عرفة مصطفى، سعيد عبدالرحيم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩- العباسي: علي باي .

- رحّالة إسباني في الجزيرة العربية رحلة دومنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٧م، ترجمه ودرسه وعلق عليه: صالح بن محمد السنيدي، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٩هـ .

١٠- مولين: فان در .

- الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، ترجمه: ويسي آي. سي، علق عليه: فهد بن عبدالله السماري، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

١١- هورخرونيه: سنوك.

- صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، محمد محمود السرياني، معراج نواب مرزا، راجعه: محمد إبراهيم علي، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

سادساً: الرسائل الجامعية :

١- الحويس: صالح بن سليمان بن حمد .

- أحكام عقد الحكر في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراة منشورة، ط ١، مكة المكرمة، المكتبة المكية للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢- دهيش: نعيمة عبدالله .

- عهد الإمام محمد بن سعود، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣- الدوسري: حمساء بنت حبيش.

- العلاقات بين مصر والحجاز (٩٢٣- ١٠٠٣هـ / ١٥١٧- ١٥٩٤م)، رسالة ماجستير منشورة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ.

٤- السنيدي: عبدالعزيز راشد.

- الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، رسالة دكتوراة منشورة، ط ١، الرياض: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥- شافعي: حسين عبدالعزيز.

- الأربطة في مكة المكرمة في العهد العثماني، دراسة تاريخية حضارية، (٩٢٣-١٣٣٤هـ / ١٥١٧-١٩١٥م)، رسالة دكتوراة منشورة، مراجعة عباس صالح طاشكندي، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٦- شاهين: عزة عبدالرحيم محمد.

- خدمات الحج في الحجاز في العصر العثماني إبتداء من عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، حتى عام (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧- الشثري: محمد بن ناصر .

- الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، رسالة دكتوراة منشورة، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٨- الشهري: فاطمة بنت عبدالله بن علي.

- الحياة العلمية في مكة المكرمة (١٢٥٦-١٣٣٤هـ / ١٨٤٠-١٩١٦م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩- عبدالحميد: آمال رمضان.

- الحياة العلمية في مكة المكرمة (١١١٥-١٣٣٤هـ / ١٧٠٣-١٩١٦م)، رسالة دكتوراة منشورة، مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة المكرمة: ١٤٣٢هـ.

١٠- العبدلي: عائشة مانع عبيد .

-	إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها في الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة، (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٨-١٥١٧م)، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

١١- العيسى: منى بنت عبدالعزيز.

-	الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، رسالة دكتوراة منشورة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

١٢- القحطاني: منى بنت قائد آل ثابتة.

-	التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٣-١٣٥١هـ / ١٩٢٤-١٩٣٢م). رسالة ماجستير منشورة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

١٣- مطر: فوزية حسين.

-	تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول. رسالة ماجستير منشورة، ط ٢، جدة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٤- الهميل: خالد.

العلاقات بين الملك عبدالعزيز آل سعود والأشراف وضم الحجاز. رسالة دكتوراة منشورة، ط ١، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض: ١٤١٣هـ .

سابعاً: البحوث والندوات .

١-	بحوث الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ط ١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى: ١٤٢٦هـ .

٢- ابن دهيش: عبداللطيف عبدالله .
- نظرة على تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، بحث ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبدالجليل التميمي، ط ١، زغوان، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية: ١٩٩٠م .

٣- الثقفي: يوسف بن علي رابع .
- نشأة الدولة السعودية: التطور التاريخي، بحث ضمن كتاب بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧.

٤- الشويعر: محمد بن سعد .
- نشأة الدولة السعودية، بحث ضمن كتاب بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧ .

٥- العمري: عمر بن صالح بن سليمان.
- احترام الشرع والتحاكم إليه عند الملك عبدالعزيز "دراسة تاريخية وثائقية"، بحث ضمن كتاب بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧ .

٦- بن منصور: عبدالوهاب .
- صدى الحركة الإصلاحية السعودية في المغرب وموقف سلطانه وعلمائه منها،بحث ضمن كتاب بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ثامناً: الدوريات.

أ- الصحف:

١- إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا، صحيفة أم القرى، ع ٣، السنة الأولى، في ٢٩ / ٥ / ١٣٤٣هـ .

٢- البيطار: محمد بهجت .

- توحيد الأمة بتوحيد الأئمة، صحيفة أم القرى، ع ١٠٥، السنة ٣، في ١١ / ٦ / ١٣٤٣هـ .

٣- تشكيل المجلس الأهلي، صحيفة أم القرى، ع ٣، السنة الأولى، في ٢٩ / ٥ / ١٣٤٣هـ .

٤- حفلة العلماء، صحيفة أم القرى، ع ١، السنة الأولى، في ١٥ / ٥ / ١٣٤٣هـ.

٥- آل سعود: فيصل بن مشعل .

- محاضرة في جامعة شقراء حول المرتكز الإسلامي للأنظمة السعودية، صحيفة الجزيرة، ع ١٤٤٩٠، في ١٠ / ٧ / ١٤٣٣هـ .

٦- عظمة السلطان والأهلون، صحيفة أم القرى، ع ٢، السنة الأولى، في ٢٢ / ٥ / ١٣٤٣هـ .

٧- كتاب عظمة السلطان، صحيفة أم القرى، ع ٣، السنة الأولى، في ٢٩ / ٥ / ١٣٤٣هـ .

٨- لأجل الصلاة، صحيفة أم القرى، ع ١٠، السنة الأولى، في ١٩ / ٧ / ١٣٤٣هـ .

٩- هذا بلاغ، صحيفة أم القرى، ع ١، السنة الأولى، في ١٥ / ٥ / ١٣٤٣هـ.

ب – المجلات :

١- بلاغ من علماء الحرم المكي في اتفاقهم مع علماء نجد، مجلة المنار، ج٣، المجلد ٢٦، ١٣٤٣هـ .

٢- البيومي: محمد رجب .

- الحج مجمع علمي، مجلة الحج، ج ٦، السنة ٥٢، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣- بيومي: محمد علي فهيم .

- قضاة مكة المكرمة إبان الفترة (١٢٢٠-١٢٦٦هـ / ١٨٠٥-١٨٤٨م)، الرياض، مجلة الدارة، ع ٤، السنة ٣١، شوال ١٤٢٦هـ .

٤- خطاب عام فيما يجب على المسلمين لبيت الله الحرام، مجلة المنار، ج١، المجلد ٢٥، في ٣٠ / ٦ / ١٣٤٣هـ .

٥- خطاب عام للمسلمين في شأن الحجاز، مجلة المنار، ج٦، المجلد ٢٥، في ٣٠ / ٦ / ١٣٤٣هـ .

٦- الزهراني: عائض بن محمد .

- دور المرأة المكية في الحركة الفكرية في القرن التاسع الهجري، الرياض، مجلة الدارة، ع ٣، السنة ٣١، شوال ١٤٢٦هـ .

٧- الشهري: محمد بن هزاع .

- شاهد قبر أول القرن السابع الهجري لإمام المقام الشافعي بالمسجد الحرام (٥٩٨ – ٦٠٤هـ)، دراسة تاريخية حضارية، الرياض، مجلة الدارة، ع ٣، السنة ٣١، شوال ١٤٢٦هـ .

٨- الصباغ: عبداللطيف بن محمد.

صورة المجتمع المكي في كتابات الرحَّالة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، الرياض، مجلة الدارة، ع ٤، السنة ٣١، شوال ١٤٢٦هـ .



فهرس الموضوعات